

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
Tlemcen Algérie
تمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات العربية

تخصص: الصوتيات العربية بين التراث والمعاصرة

البناء الصوتي للقسم المدني من القرآن الكريم وأثره في الدلالة

إشراف:

أ.د. أحمد قريش

إعداد الطالبة:

فاطمة حجاري

أعضاء اللجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد عباس
مشرفا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. أحمد قريش
عضوا	جامعة س/ بلعباس	أستاذة التعليم العالي	أ.د. أمينة طيبي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الجليل مصطفىاوي
عضوا	المركز الجامعي النعامة	أستاذ التعليم العالي	أ.د. جلايلي أحمد
عضوا	المركز الجامعي مغنية	أستاذ محاضر "أ"	د. بوشيبة عبد القادر

السنة الجامعية : 1438-1439هـ/2017-2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Handwritten Arabic calligraphy in a bold, stylized script. The text is arranged in a roughly circular pattern. The words are: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. The calligraphy features thick black lines and includes several annotations: small numbers (1, 2, 3) and arrows indicating stroke direction, and larger, more decorative script elements at the bottom.

كلمة شكر وتقدير

"رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ"

(الأحقاف 15)

أحمد الله الكريم المَنَّان، أن أنعم علي بتوفيقه وعونه، حتى أتممت هذا العمل المتواضع.
ثم إنني أتوجه بالشكر والعرفان ووافر التقدير، إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد
قريش لحسن متابعته لهذه الرسالة وعنايته بها وتوجيهاته السديدة خدمة للبحث العلمي،
فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة، على ما سيبذلونه من جهد في إصلاح ما
اعوج من هذا العمل فلهم على ذلك مني كل التقدير والاحترام.

فاطمة حجابري

الإهداء

إلى النبراس الذي أضاء لي الظلمات،

إلى من تعجز عن شكرهم أجمل العبارات والدي ووالدتي

إلى من تجمعني بهم رابطة الأخوة ، أعز الناس: أخواتي ، وأخي محمد نجيب .

إلى قرة عيني وفلذة كبدي ، صغيرتي لجين .

إلى الذين جعلوا حياتهم وقفا على القرآن .

إلى جميع الأهل والأصدقاء .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين .

وصف الرافي يوما العربية على أنه بها قوة عجيبة من الاستهواء وكأنها أخذة سحر، وجعل مردّ ذلك إلى كونها فلكا دائرا للنيرين الأرضيين العظيمين، كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي بحملها لهذين الخالدين ضمنت لنفسها الخلود والقوة .

على أن هذه القدرة على استيعاب كتاب الله وسنة نبيه لم تأت من العدم، وإنما هي انعكاس لقوة في ذاتها ولقدرة سحرية هي من صلب تكوينها؛ إذ بها تحققت المعادلة الصعبة للقرآن الكريم إذ مادته من حرف ولفظ وعبارة هي من مادة كلام العرب ولهجاتهم وعلى الرغم من ذلك أكتبهم وأعجزهم ووقفوا حائرين - وهم أدرى الناس بلغتهم- يتأملون هذا النظم العجيب والصوغ المتين، ليتحول الانبهار إلى بحث ودرس جسّدته كتب علوم اللغة والقراءات والبلاغة والإعجاز .

ونحن إذ نسير متتبعين لجهاذة العربية وأعلامها، نحاول سير بحور العربية من خلال أرقى ما كتب بها كتاب الله عز وجل -القرآن الكريم - متأملين بحر الصوت فيها، وبدقة أكبر بحر الصوت في كتاب الله عز وجل.

ولأن الدرس الصوتي بناء متكامل، ولأن النص القرآني متنوع لغته بتنوع موضوعاته وأغراضه، جاء هذا البحث وقفة عند الجزء المدني للقرآن الكريم، معتبرينه مدونة أساسية لاستنباط الجانب الفونيتيكي والفونولوجي للغة العربية . وإنما جاء اختيار القرآن الكريم لأنه أرقى ما جاءت به العربية، لغنى أساليبه، وتعدد أوجه قراءته، وملمحه الأدائي المميّز، ثم لحمله اللغة المعيارية التي يقل ويندر الغريب والشاذ فيها وبهذا استقر عنوان هذه الرسالة ، على الصيغة التالية :

البناء الصوتي للقسم المدني من القرآن الكريم وأثره في الدلالة.

ولقد آثرت الاشتغال على القرآن المدني لتتمة العمل الذي أجزته في الماجستير، والذي كان الهدف منه الوقوف على البناء الصوتي لسورة آل عمران - ومعلوم أن سورة آل عمران سورة مدنية - وقد توصلت فيه إلى مجموعة من النتائج، أردت معرفة مدى قدرتها على أن تكون قواعد عامة، تضبط الصياغة الصوتية للقرآن الكريم في جزءه المدني تحديدا. لاسيما أن الخصائص الصوتية في القرآن المدني هي أقل ظهورا وبروزا منها إذا قورنت بالقرآن المكي، إذ هي تحتاج إلى مزيد البحث وإمطة اللثام على مزاياه الصوتية.

ولأن كتاب الله يخدم بعضه بعضا، حاولت معرفة مدى قدرة النظام الصوتي على توجيه الدلالة القرآنية أو الإيحاء بها لتشكيل من هذه الانشغالات إشكالية بحثي هذا، وهي كالتالي: كيف يتحلى توظيف القرآن المدني للجوانب الصوتية، وما مظاهر هذا التوظيف، وما خصائصه، وما مستوياته، وهل يمكن أن يكون مظهرا من مظاهر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم؟

كيف يتحلى مبدأ السهولة واليسير في شقه الأدائي والصوتي للجزء المدني من القرآن الكريم؟

كيف تتحلى الظواهر الصوتية في القرآن المدني؟

ما مدى بروز الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن المدني؟ وكيف تظهر النماذج التنغيمية في كتاب الله عز وجل؟ هل يمكن أن يسهم النظام المقطعي بما يحمله من ظواهر أدائية، في توجيه الدلالة وإظهارها؟

على أنه تمت محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات وفق مراحل ومستويات تجسدت في خطة هذا العمل، فأما المدخل: فهو إبراز لأولية الشق الصوتي في كتاب الله عز وجل، ثم أولية

الدرس الصوتي ضمن دروس العربية ، معرّجة في ذلك على أهم مراحل الضبط الصوتي للقرآن الكريم، ثم أبرز الظواهر الصوتية التي بيّنتها بواكير الدراسات اللغوية العربية .

ثم الفصل الأول : عالجت فيه أبرز الظواهر التشكيلية الواردة في الجزء المدني، من ظواهر تماثلية كالإدغام والإمالة، وأخرى تخالفية كالحذف والهمز وتخفيفه.

أما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه الظواهر ما فوق التشكيلية، بداية من الإيقاع ثم الدراسة المقطعية، ثم النبر والتنغيم ، وأخيرا الفاصلة القرآنية .

أما الفصل الثالث: فقد قدمت فيه محاولات لربط الصوت بالدلالة، ابتداء من الصوت مفردا، ثم حال وجوده في التركيب، ثم النسيج المقطعي، وما يجمله من ظواهر ما فوق تشكيلية من نبر وتنغيم .

وأخيرا خاتمة ، ضمّنتها أبرز النتائج المتوصل إليها.

وقد سبقت هذه الدراسة بدراسات تتنوّع ما بين مذكرات ماجستير ورسائل دكتوراه، عُيّنت بالدرس الصوتي في القرآن الكريم، سواء من خلال الوقوف على نصوص قرآنية ، كنحو رسالتي هذه، أو الوقوف عند كتب تفاسير والمحتوى الصوتي فيها، أم الوقوف عند ظواهر صوتية في كتاب الله عز وجل .

وهذا العمل هو متضمن في بناء إجراءات الدراسات السابقة، إذ يعنى بالمستوى الصوتي لجزء مهم من كتاب الله عز وجل مع اهداء إلى مضانه الصوتية بمساعدة كتب التفاسير والقراءات، كالنشر لابن الجزري، والكشف للمكي بن أبي طالب، والرعاية في تحقيق لفظ التلاوة للمكي بن أبي طالب، وعلى كتب التفاسير، كالكشف للزمخشري ، ، والبحر المحيط بأبي حيان التوحيدي، كالتحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب كما اعتمدت على أمات كتب علوم اللغة، كالكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني،

وكتب معاني القرآن، نحو معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للنحاس، ومعاني القراءات للأزهري، وعلى كتب علم الأصوات الحديث، نحو مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ، وغيرها.

وعلى الرغم من تشعب مظان أي دراسة تتناول القرآن الكريم في مختلف مستوياته إلا أنني شهدت في أحيان كثيرة ضعف تحليل بعض الشواهد القرآنية، إذ تجمع التفاسير وكتب القراءات على تحليل واحد يظهر بلفظه ومعناه في أكثر من مصنف وأكثر من علم مما يشتمل الجهود على مجموعة مهمة من المصادر والمراجع ، والنتيجة أحيانا تحليل ضئيل أو ناقص .

زد على إشكالية كيفية التعامل مع الظواهر ما فوق التشكيلية في القرآن الكريم، إذ يقوم الأمر على دعامين أساسيتين هما الأداء القرآني وقواعد العربية التي توصل إليها الباحثون ، ولكن تبقى هذه القضايا التطريزية مظاهر أدائية بحتة ، تحتاج إلى معاملة صوتية لضبطها بدقة.

وقد استعنت في إنجاز هذا العمل بالمنهج الوصفي التحليلي الملائم لمعطيات الرسالة والمراد منها .

وأخيرا لا يفوتني، أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور أحمد قریش، على جميل صبره، وعظيم تعاونه ومساندته، وعلى نصائحه وتوجيهاته، التي لم ييخل بها علينا حتى وصلت هذه الرسالة إلى النور، فله مني عظيم الشكر والامتنان.

فاطمة حجّاري

2017/10/05 بتلمسان .

المدخل :

المعطيات الصوتية

للقرآن الكريم

كرّم الله عز وجل اللغة العربية بأن جعلها الحاملة لكتابه العزيز ، وكرّم أمة العرب بأن جعل تلقي كتابه من نبيّه الكريم ، بما يلائم قدرات الإنسان العربي، الجاهل بالقراءة والكتابة، فجعل وحيه لنبيه ، عن طريق السماع ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المنهاج في تبليغ كلام المولى عز وجل، فلقنه لصحابته ثم سمعه منهم، ثم طلب التوسعة على أمته في قراءة الكتاب فكان حديث الأحرف السبعة.

إن هذه المراحل مبناها ومبداها وقف على مستوى صوتي، يستجوب العناية والتمحيص، لا سيما أن كتاب الله عز وجل سينقل العقل العربي إلى مراحل متقدمة، تدفعه إلى الإبداع في شتى مجالات العلوم والمعرفة، وتفصيل كل هذا فيما يلي :

نزل القرآن الكريم نزولا صوتيا، ولم يترل مدونا في سطور أو مكتوبا في كتاب بخلاف الكتب السماوية الأخرى ففي شأن التوراة مثلا، يقول عز وجل ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾¹، وعن القرآن الكريم جاء في السنة النبوية، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، قال : ويقولون يا جبريل ماذا قال ربكم، قال: فيقول الحق، قال فينادون الحق الحق.".

¹ سورة الأعراف ، الآية 145

يوضح هذا الحديث أن الله تعالى يتكلم بالوحي، ويتلق جبريل هذا الكلام صوتا شديدا، فيتبع المنهج ذاته في تبليغ ما سمعه إلى الرسول عليه السلام، وهذا ما يسجله الحديث النبوي الموالى: "عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه، سأل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت ما قال، وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"¹.

" وبهذا فإن القرآن قد بلغ محمدا صلى الله عليه وسلم صوتا مسموعا عن طريق ملك الوحي، أو بدونه، وهذا التلقي الصوتي تؤكد آيات ووقائع كثيرة نثبت منها"²، قوله تعالى ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى﴾³، وقول ابن عباس: كان رسول الله يعالج من التريل شدة، وكان مما يحرك شفثيه...، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾⁴ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ⁴، قال جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾⁵، فقال استمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾⁶ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله

¹ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1996، ص 422/15.

² البايي، أحمد، القضايا النظرية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، على الكتب الحديث، إربد، 2012، ص 176، 177/1.

³ سورة الأعلى، الآية 06.

⁴ سورة القيامة، الآيتين (16)، (17).

⁵ سورة القيامة، الآية 18.

⁶ سورة القيامة، الآية 19.

صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه.¹

فهذه النصوص القرآنية والحديثية وغيرها كثير تقرر طبيعة التزول الصوتي للقرآن الكريم من الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، ثم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن فضلا عن ذلك كاتباً قارئاً، بل رسولا مبلغاً مبيناً، وطالما وصفه القرآن نفسه بالرسول الأمي المبعوث في الأميين، كقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾²، فهو لا يعرف الكتابة ولا القراءة من مكتوب، وذلك بخلاف غيره من الأنبياء.

وكما كان تلقي القرآن شفهيًا تم تبليغه أيضًا تبليغًا صوتيًا شفهيًا إلى الصحابة ثم إلى الناس كافة، لقد تلاه النبي صلى الله عليه وسلم بدوره على الناس تلاوة صوتية من فمه يبلغهم به عن طريق هذه التلاوة فتلقوه منه بأسماعهم، وحفظوه في صدورهم، ومنهم كتبه الوحي الذين كتبوه ودوّنوه في العسب واللخاف، والرقاع وغير ذلك، ومن هنا ظهر من الصحابة من هم مهرة في الحفظ وطرائق الأداء ومن هؤلاء المهرة: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء.³

ثم إن المولى عز وجل أمر رسوله أن يرتل القرآن ترتيلاً، وترتيل النبي صلى الله عليه وسلم، مقصود به طريقة من طرق الأداء والقراءة، وهو مصطلح مرادف لتجويد القرآن، هذا الأخير يشمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقها على أمور أخرى منها المد بأنواعه والغنة والسكت وما إلى ذلك، مما يعد من قبيل الانقطاع المؤقت لتوالي الأصوات التي تتكون منها الألفاظ، فالمد

¹ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ص 43/1.

² سورة الجمعة، الآية 02.

³ البيهقي أحمد، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، ط1988/1، 1408هـ، ص 36.

كالسكون والسكون كالسكوت وانقطاع الكلام، وقل ذلك على الغنة لأنها مد بالنون، وقل ذلك أيضا عن السكت وهكذا، فإذا قرأ القارئ مع الترتيل أتى بكل رتل وآخر وبينهما فترة انقطاع هي إما مدُّ أو غنةٌ أو سكتٌ، وفي ذلك كمال عناية بأداء الذكر الحكيم.¹

فالترتيل إنما هو التحقيق والتبيين والتّمين، وقال أبو إسحاق: والتّمين لا يتم بأن يعجل في القراءة، وإنما يتم التّمين بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقّها من الإشباع، وقال الضحاك: انبذه حرفا حرفا².

بل إن علماء اللغة والقراءات، يجعلون لفظ التلاوة مراتب، يقول الإمام السيوطي: "التجويد حلية القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، يعني ابن مسعود، وكان رضي الله عنه، قد أعطي حظًا عظيمًا في تجويد القرآن، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه."³

وقراءة القرآن الكريم تقع ضمن كفاءات ضبط العلماء الجائز منها في، ما أسموه التحقيق والحدرد وبينهما التدوير، "فأما التحقيق فهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف، وتفكيكها وإخراج بعضها عن بعض بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن

¹ ينظر: القضايا التطريزية في اللغة العربية، ص 79/1

² ينظر: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش ت437هـ، التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: محمد غوت الندوي، الدار السلفية، ط2، 1402هـ/1982م، ص63.

³ السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الحجازي، القاهرة، دط، دت، ص 120/1.

يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتحريك السواكن وتطين النونات بالمبالغة في الغنات... والحدرد بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين، هو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير، وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك مما صححت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة... والتدوير وهو التوسط بين المقامين بين التحقيق والحدرد وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مدَّ المنفصل، ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء".¹

فهذه الجوانب المشرقة التي نراها في اهتمام علماء القراءات بطرق أداء القرآن الكريم وتجويده، تقفنا على كم من المصطلحات التي تحمل في جنباتها آليات التنعيم ودرجاته - باعتباره ظاهرة صوتية- . "قراءة التحقيق هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة".²

والتجويد هو "الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين".³ "لذا اهتموا بالوقف، وبيان ما يحسن منه وما يقبح، لأن الوقف استراحة يقوم بها القارئ، فقد يضطر أن يقف لئلا ينقطع نفسه، فما كان منهم إلا أن أشاروا وبينوا أنواع الوقف فصنفوا المطولات والمختصرات توضح مواطنه لكيلا يوقف على ما

¹ الإتيان في علوم القرآن، ص1/101.

² الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعيد، مكتبة صفاء، ط1، 1420هـ/1999، ص28.

³ ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ)، النشر في القراءات العشر، قدم له: علي محمد الضباع، خرَّج آياته: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م/1427هـ، ص1/167.

يُحل بالمعنى".¹ ولهذا قرّر الدارسون المحدثون أن أنواع الوقف تحتاج إلى دراسة تؤخذ من قراءة القراء المجودين لأن النغمات التي تنشأ عنها متباينة وتؤدي معاني مختلفة لاحظها علماء القراءات.²

فهذه المراتب في حقيقتها ماهي إلا أداءات صوتية، يرجى من وراءها كمال تلاوة الذكر الحكيم، وفق ضوابط وقواعد حدّدها علماء القراءات، وأهل فن التجويد، مدرجينها ضمن ما أسموه باللحن الخفي.

فصيانة النص القرآني من التغيير والتحريف تقتضي صيانتها من اللحن والتصحيح، وتؤكد الدراسات القرآنية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض على ملك الوحي القرآن في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين.³ وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته أن يقرأ على أصحابه حتى يتعلموا أدق دقائق الأداء بما فيها العناصر التطريزية، وبخاصة الوقف، والتنغيم، والنغم وهذا ما سجّله أبو الليث السمرقندي (ت373هـ) في سياق حديثه عن الحكمة من قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب، وذلك بقوله " وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أبي فهو أن يتعلم: أي ألفاظه وصيغة أدائه ومواقع الوقوف وضبط النغم، فإن نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره ولكل ضرب من النغم أثر مخصوص في النفوس، فكانت القراءة عليه ليعلّمه لا ليتعلم منه.⁴

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على الصحابة ليتعلموا منه طريقة الأداء، ومواقع الوقف، وصور النغم والتنغيم.

وهذا ما جعل القرآن الكريم يظل منذ اللحظة الأولى لتروله يتردد على ألسنة الأجيال وينتقل من الصدور إلى الصدور غضا على نفس هيئته يوم نزل أول مرة، وبذا تتحقق تجليات المعجزة

¹ رحمان، زهر الدين، دلالة التنغيم في اللغة العربية، ص09، من موقع revue.ummo.dz

² ينظر: النشر في القراءات العشر، ص177/1 وما بعدها .

³ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشر صحيح البخاري، ص822/4.

⁴ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بستان العارفين ويليّه تنبيه الغافلين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ص319.

القرآنية في خلود النص المقدس وحماية مبناه ومعناه من التحريف والتغيير، ويكون القرآن بحق مصدقا لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمننا عليه... وذلك لأن الأداء الصوتي الصحيح الدقيق هو الوسيلة الوحيدة المثلى التي تضمن تماما توصيل الفكر. بمنتهى الدقة والضبط والإحكام.¹

ويبدو أن الاعتماد على النقل الصوتي المراعي للخصائص الأصواتية وعدم التعويل على الكتابة في تبليغ النص القرآني يعود إلى القصور الذي يعترى الكتابة - على أهميتها- في أداء المنطوق، ومن جملته التطريز، لكن واقع الحال يبين عجز هذه العلامات الخطية في نقل الكلمات المنطوقة، رغم أن الكتابة تشكل في رأي ثلة من اللسانيين نسقا لغويا مستقلا على النسق اللغوي المنطوق، إلا أنها تبقى في نظر اللسانيين التقليديين نظاما ناقصا لا يمكنه أن يمثل المنطوق تمثيلا أميناً.²

"فرغم أن الحروف الخطية جعلت سمات يستدل بها على الحروف اللفظية - كما يقول إخوان الصفا- إلا أن واقع معظم اللغات يبين عجز تلك الحروف عن تمثيل إمكانياتها الصوتية بصورة كاملة سواء المستخدمة منها بالفعل، أو التي يمكن استخدامها، وقصورها عن التعبير الدقيق عن الفروق الصوتية الدقيقة بين الأصوات، وهي قادرة على إيجاد رموز خطية للبدائل والملامح الصوتية المتعددة للصوت الأصلي الذي قد تختلف صور نطقه عند الناطقين به تبعا لاختلاف لهجاتهم المحلية .

هناك إذن فرق كبير بين الحدث اللغوي المنطوق وصورته المكتوبة حتى في الأبجديات المخترعة، لذلك كان من الأهمية بمكان أن يتزل القرآن الكريم نزولا صوتيا على أصل الظاهرة اللغوية، فالسيطرة على النظام الصوتي للغة هي البداية الأساس المتينة لفهم اللغة وامتلاك ناصيتها، وذلك لضمان وصول معناه بدقة إلى الناس. وكان هذا الضمان أعظم دليل على تحقيق الوعد

¹ ينظر: القضايا التطريزية، ص178.

² نفسه، ص179.

الإلهي بحفظ القرآن الكريم وصونه من التحريف والتبديل والضياع وتخليده تخليداً صحيحاً مضبوطاً إلى الأبد".¹

من هنا دُبت الهيئات العلمية الحديثة عند طباعة المصاحف الكريمة إلى وضع علامات ورموز واصطلاحية تعين القارئ على القراءة الصحيحة المجودة، لأن تلك الرموز والعلامات لها دور كبير في إبراز وبيان الأداء الصوتي الصحيح بما يتبعه من سكت، ومد، ووقف، ووصل.

كما أن علامات الترقيم في الكتابة تقوم مقام التنغيمية والأداء حيث أنها تيسر عملية الإفهام وتحدد "مواضع الوقف حيث ينتهي المعنى أو جزء منه، والفصل بين أجزاء الكلام، والإشارة إلى انفعال الكاتب في سياق الاستفهام أو التعجب".²

فالفاصلة تدل على أن يقف القارئ وقفة خفيفة، ولولم يضع هذه الفاصلة لربما يلتبس المعنى، أما الفاصلة المنقوطة فإنها تتطلب أن يكون الوقف أطول وهي في رأي بعض الدارسين تؤدي ما يقوم به التنغيم. أما علامة الاستفهام فإنها توضح ما إذا كانت الجملة استفهامية أو تعجبية مثل قولنا (تعرف هذا وتسكت) وعلامة التأثر (!) تعبر عن الانفعالات النفسية، كالتعجب، والفرح، والحزن، والدعاء، والدهشة، والاستغاثة، ونحو ذلك.³

ولهذا حرص العلماء على صيانة القرآن من اللحن وجعلوه نوعان أخفاهما وأصعبهما ما تعلق بالأداء الصوتي، وسموه باللحن الخفي، ذلك أن المميز في إنجاز هؤلاء، أنهم قسّموا اللحن إلى جلي وخفي، "فالجلي خطأ يطرأ على الألفاظ، فيُخل بعرف القراءة، سواء أخلَّ بالمعنى أم لا كتغيير حرف بحرف أو حركة بحركة، وسمي جلياً أي ظاهراً لاشتراك القراء وغيرهم في معرفته،

¹ أبو السعود، عبد الله بدر، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، مجلة الإعجاز العلمي، العدد 07، أوت 2000، ص 53.

² السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدم له: فايز الترجيني، دار الكتاب العربي، ط1، دت، ص 245/3.

³ عبد العليم، إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، دار المعارف، مصر، ص 95.

والخفي هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالحرف دون المعنى، كترك الغنة، وقصر الممدود ...
وسمي خفياً لاختصاص أهل هذا الفن بمعرفته.¹

يقول أبو العطار الهمداني " وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير
القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين : أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا
بالمشاهدة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات
والملطفات والمشبعات والمختلصات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار
والإدغام، والحذف والإتمام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تقيد بالخط،
واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط".² فالقارئ الذي ليس له القدرة على التمييز
بين الأساليب والأبواب يقع في اللحن الخفي، إذ التمييز بين هذه الأبواب والأساليب ضروري
لتحقيق كمال الترتيل.

فاللحن الخفي في حقيقته إذن، ما هو إلا خطأ في الأداء الصوتي، وقد عُدَّ العلة الأساس
لنشوء الدرس الصوتي يشركه في ذلك أسباب أخرى من ذلك، التعدد اللهجي، وكون قراء الذكر
الحكيم ينتمون إلى قبائل عدة فيهم القرشي وغيره، وكان الناس على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم،
في سعة من أمرهم في قراءة القرآن، كل يقرأ بلحن قومه³، حتى إذا أنس أحدهم اختلافًا في قراءة
سمعها من إنسان عما أقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم، هرع إليه شاكياً، فسمع الرسول من كل
قراءته، فأقره عليها قائلاً : (هكذا أنزلت)⁴.

¹ ينظر: محمد الصادق قمحاي، البرهان في تجويد القرآن، ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان،
1407هـ/1987م، ص 05.

² الهمداني، التمهيد في علم التجويد، ص 119 نقلاً عن : القدوري الحمد القدوري، الدراسات الصوتية عند علماء
التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، 1986، ط1، ص 567 .

³ ينظر: ابن زنجلة أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ/1997م، ص8.

⁴ ينظر: البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 100/6.

فإقرار النبي صلى الله عليه وسلم، هو نوع من السّعة على أمة تتنوع لغتها تبعاً لتنوع بيئاتها وتوسّع جغرافيتها، " فلو فرض الله تعالى على هؤلاء أن يقرأوا كلمات القرآن كافة بصورة واحدة لا يعدونها، لكان تكليفاً بما لا يطاق، ولعجز كثير منهم أن يتحول عن لهجته التي نشأ عليها إلى لهجة أخرى .

فمن ذلك اختلافهم في قوله تعالى ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾¹.

إذ قرئت لفظة (الصراط) بالسين، والصاد، والزاي، والإشمام، فقد قرأ ابن كثير في رواية القواس وجماعة من العلماء (السُّراط) بالسين، وهذا أصل الفظة، وقرأ في رواية البزّي (الصراط) بالصاد في كل القرآن، وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأ (الزُّراط) بالزاي خالصة، وقرأ باقي القراء السبع (الصراط) بالصاد، غير أن حمزة يشم الصاد زايًا، فيلفظ بها بين الصاد والزاي، ولا يضبطها الكتاب فينطق كطاء العوام².

والتفسير الصوتي لهذا الاختلاف في القراءة أورده الكسائي بقوله " السين في (الصُّراط) أثير في كلام العرب، ولكن أقرأ بالصاد أتبع الكتاب، والكتاب بالصاد، والسين الأصل، وإنّما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء لأن الطاء لها تصعّد في الحنك، وهي مطبقة والسين مهموسة، وهي من حروف الصّفير، فنقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضاً ومستعلياً في كلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصاد، لأنّها مؤاخية لطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفير، ليعمل السان فيهما متصعداً في الحنك عملاً واحداً"³.

¹ الآية (06) من سورة الفاتحة .

² ينظر : الكشكي، عطية ابو زيد محبوب، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ، دراسة قرآنية حديثة، نشر جامعة الملك سعود، الريا ، 1432هـ/2011م، ص12، وينظر : ابن زنجلة ،حجّة القراءات ، ص 80.

³ الكشكي، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ،ص 13،12.

ولذا فقد أذن الله تعالى، أن يقرأ أفراد كل قبيلة كما اعتادت ألسنتهم، فبنو تميم يهمزون ، والقرشيون لا يهمزون¹، وأهل الحجاز يفتحون أول المضارع في مثل ((نستعين)) وبعض القبائل يكسره ، وهكذا في الصور المختلفة حسب اختلاف اللهجات.

بل إن أعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها، تبعا لتنوع الخواص الطبيعية المزوّد بها كل شعب من الشعوب المختلفة والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف. ومن سنة الله - عز وجل أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾²، وأن العرب كانوا مختلفي اللهجات، متعددي اللغات، متنوعي الألسن، ومن أجل ذلك أنزل الله تعالى كتابه على لهجات العرب ليتمكنوا من قراءته ويتفهموا بما فيه من أحكام وشرائع، إذ لو أنزله - تعالى - بلهجة واحدة - ... لحال ذلك دون قراءته، والانتفاع بهدايته، لأن الإنسان يتعذر عليه أن يتحول من لهجته التي درج عليها، ومرن لسانه على التخاطب بها منذ نعومة أظفاره.

" فلو فرض الله تعالى على هؤلاء جميعا، أن يقرأوا كلمات القرآن كافة بصورة واحدة، لا يعدونها، لكان تكليفا بما لا يطاق، ولعجز كثير منهم أن يتحوّل من لهجته التي تنشأ عليها إلى لهجة أخرى."³

وبعد هذا كان هذا التنوع والتعدد فتحا عظيما للعقل العربي، ولتكون العلوم اللغوية أولى نتاج النهضة الفكرية العربية، وليكون القرآن الكريم سر تفتق القرية العربية.

¹ ينظر: محيسن محمد سالم ، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دار محيسن، ط1442هـ/6/2003م، ص68.

² سورة إبراهيم ، الآية 04.

³ الببلي أحمد ، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1408هـ/1988، ص53.

"فقد انشعبت من ألفاظ القرآن الكريم، علم اللغة، ومن إعراب ألفاظه، علم النحو، ومن وجوه إعرابه، علم القراءات، ومن كيفية التصويت بحروفه، علم مخارج الحروف، إذ أوّل أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت."¹

والدراسة الصوتية مع كتاب الله عز وجل ستأخذ مستويين اثنين، دراسة الأصوات العربية من ناحية المخارج والصفات، ثم استثماراً لهذه المعطيات في دراسة الصوت داخل التركيب، وليلتفت اللسانيون العرب القدامى بذلك إلى كثير من الظواهر الصوتية التي تعتري الأبنية في التشكيل كالإدغام، والإبدال والإعلال وغيرها، مما لاحظوه أثناء إخضاع اللسان العربي للبحث والدرس. وقد أيقن هؤلاء العلماء أن هذه الظواهر الصوتية هي المسئولة عن إعادة الاستقرار والتوافق إلى أصوات هذه الأبنية التي عصفت بها تقلبات السياق المختلفة².

يقول ابن الجزري " فإذا أحكم القارئ النطق بكل صوت على حدته موفّ حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يُحسن الأصوات مفردة ولا يُحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه، إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب³.

إن الجانب الأدائي للغة هو الفيصل في ضبط الصياغة العربية، فالنظام الصوتي للغة يقرر مثلاً أن الدالّ مجهورة وأن التاء مهموسة، ويُصرّ النظام على اضطراد هذه القاعدة وإطلاقها، ولكن

¹ ينظر: الغزالي، أبو حامد (ت505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رضا رشيد الفياني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1986، ص36.

² ينظر: بوروية المهدي، ظواهر التشكيل الصوتي عند العرب حتى أواخر القرن 3هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ/2002م، ص15.

³ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص170/1.

الكلام، وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دال ساكنة متبوعة بتاء متحركة، وهنا نجد أن تجاور الحرفين على هذا النحو، يتسبب في صعوبة عضوية تتحدى محاولة الحفاظ على ما قرره النظام، كما يتسبب التقاء المتقاربين دائماً في احتمال اللبس لو حاولنا في نطقهما عبثاً أن نرضي مطالب النظام، لأن جهر الدال الساكنة المتبوعة بتاء متحركة أمر ثقيل التحقيق في النطق، وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق يلجأ إليها السياق بظاهرة المماثلة التامة فتكون الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة تماماً (قَعَدْتُ-قَعْتُ)¹.

فالبعد عن الثقل وتوخي الانسجام هو مطلب العربية في تأليف كلامها، وما الإدغام أو المماثلة التامة إلا واحدة من الظواهر التي يدعو إليها تحقيق الانسجام الصوتي والتخلص من الثقل الناتج عن تجاور الأصوات المتحدة أو المتقاربة في المخرج "فالتاء والدال مثلاً كل واحدة منها تدغم في صاحبتهما حتى تصير التاء دالا والدال تاء، لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس، وذلك قولك : انعدلاما، وانقتلك، فتدغم، ولو بينت فقلت : اضبط دلاما، واضبط تلك، وانعت دلاما لجاز، وهو يثقل التكلم به لشدتهن، ولزم السان موضعهن ، لا يتجافى عنه."²

ولعلّ الثقل نفسها لجأت العربية إلى ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بظاهرة المخالفة أو ما عبّر عنه سيبويه بكراهية التضعيف، يقول المبرد : "واعلم أنّ التضعيف مستثقل وأنّ رفع اللسان عنه مرّة واحدة ثمّ العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما، فلذلك وجب"³. وعلى هذا الأساس "تبدل الياء مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا في

¹ ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1421 هـ/1986م، ص 262.

² ينظر: سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت، ص4/461.

³ المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت: 285هـ) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1926م، ص 272/1.

مثل قولك "دينار" و"قيراط" فإنّما الأصل تثقيل النون والراء، ألا ترى أنّهما إذا افترقا ظهرا تقول دنانير وقراريط.¹

ومن أشكال المخالفة ما يعرف بتخفيف الهمز حيث حاولت بعض القبائل العربية القديمة التخلص من الهمزة وعلى الأخص قبائل الحجاز، كما تخلّصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة، وصوت الهمز عسير النطق لأنّه يتمّ بانحباس الهواء خلف الوترين الصوتيين، ثمّ انفراج هذين الوترين الصوتيين فجأة، وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير.² فكان في التخلص منه جنوح نحو السهولة والتيسير.

وطلبا لتحقيق سهولة النطق والجودة في الصياغة، ذكر العلماء أن قرب المخارج مدعاة للثُفرة والثقل في الصيغة، وقد فصلّ ابن دريد في ذلك تفصيلا دقيقا، فقال "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا أو حركات مختلفة؛ ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء، فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاءا في بعض اللغات لقربها منها؛ نحو قولهم في: (آم والله)، هم والله وكما قالوا في (أراق) هراق، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاءا... وإذا تباعدت مخارج الحروف حسُن وجه التّأليف... واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لصعوبة ذلك عليهم؛ وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل أخ.³

¹ نفسه، ص102/1.

² ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1412هـ/1990م، ص76

³ ينظر: ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، دت، ص9/1.

لذا رفض الخليل بعض التراكيب، لأنها مخالفة للطبيعة الموسيقية لغة العربية، ولذلك لم ترد في كلام العرب "فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب، وما ليس تأليفهم نحو قعثج، ونعثج، ودعثج لا ينسب إلى العربية، ولو جاء عن ثقة لم ينكر، ولم نسمع به، ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل."¹

لذا فقد اختار الذوق العربي منذ الزمن الأبعد أن يجانب المنطق في بعض اللغة ويميل إلى الموسيقى في اللفظ في كل لفظ تكسبه تلك الموسيقى خفة وجمالاً.²

وبحثاً عن هذه الموسيقية في الكلمة العربية، حاول علماء العربية ضبط الأبنية العربية، وترتيبها وفق معيار جودتها، فقد قدّم السبكي تقسيماً لتأليف التي تأتي بها الكلمة العربية، وقد قسم المخارج إلى ثلاثة مجموعات، العليا، الوسطى، والدنيا، وجاء بإثني عشرة تركيباً على النحو التالي:

الأول- الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو(ع د ب) الثاني- الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو (ع ر د).

الثالث- من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو(ع م ه).

الرابع - من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ع ل ن).

الخامس-من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ب د ع) .

السادس-من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط ، نحو(ب ع د).

السابع - من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى ،نحو(ف ع م).

الثامن - من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو (ف د م).

التاسع - من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو(د ع م).

¹ الفاراهيدي، الخليل بن أحمد(ت175هـ)، العين، تحقيق:عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص6/1.

² ينظر: عمر فروخ ، عبقرية اللغة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص 108.

العاشر- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (د م ع).

الحادي عشر - من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ن ع ل).

الثاني عشر - من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو(ن م ل).¹

واعتمادا على هذه الاعتبارات الذوقية أفاد دارسو الإعجاز من الدراسة الصوتية عند اللغويين، ووجهوا خطاهم نحو تأليف حروف الكلمة بحسب المخارج الصوتية وماله من دور في حسن التلفظ وفصاحته أو سوءه وعدم فصاحته.²

قال الإمام أبي الحسن الرماني: "مخارج الأصوات مختلفة، منها ما هو من أقصى الحلق ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك، والسبب في التلاؤم، تعديل الأصوات في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، فإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال."³ وما الانصراف عما سمي بالألفاظ المهملة إلا نتيجة لكونها مؤلفة من أصوات شديدة القرب في المخارج.⁴

¹ السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه وصححه ووضع حواشيه، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص157/1.

² عبد القادر سلامي، الفصاحة بين اللفظ والمعنى، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، صفر، 1425هـ/ أبريل 2005، مج 79، ص266.

³ ينظر: الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386هـ)، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر، ط3، ص26.

⁴ ينظر: الخفاجي محمد بن سعيد بن سنان (ت 466هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/ 1982م، ص51-52.

فهذه الموسيقى التي امتازت بها العربية، إنما جاءت محاكاة للنسق القرآني، وتمتد عناصرها من مراعاة القرب المخرجي حين تأليف الكلمة، إلى غاية مراعاة تأليف الجملة العربية ككل وموسيقى الجملة العربية، إنما تتجلى فيما يسمى بظاهرة الإيقاع، وقد أحسَّ علماء اللغة بهذه الظاهرة في النص القرآني، فها هو الشَّهاب الخفاجي يلمح إلى الإيقاع القرآني وإن لم يستطع الإشارة إليه على علاته، وإنما انتقى من العبارات القرآنية ما أمكنه أن يُطوِّعه للوزن الشعري.

قال في تحديد كمية البحر الطويل :

أَطَالَ عَزُوبِي فِيكَ كُفْرَانُهُ الْهَوَى * وَأَمِنْتُ يَا ذَا الظُّبِي فَأَنْسُ وَلَا تَنْفُرُ

فَعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ

وقال في البسيط :

إِنِّي بَسَطْتُ يَدِي أَدْعُو عَلَى فِتْنَةٍ * لَأَمُوا عَلَيْكَ عَسَى تَخْلُو أَمَا كُنْهُمْ

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ.¹

زد على ذلك أن "اللغة الغنيّة بالموسيقى يفوق سحرها وتأثيرها سحر الموسيقى وتأثيرها، لأن اللغة معاني مؤثرة، فإذا انتظمت بطريقة تنغيمية أو موسيقية صار التأثير مضاعفا لوجود عاملين مؤثرين: المعاني أولا والتنغيم ثانيا، والكلام الذي يتوفر فيه الإيقاع والتنغيم يث في السامع انتباها عجبيا لما فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتحفز النفس وتتهيأ لاستقبال المعاني والاستجابة لها أيّا كانت تلك المعاني."²

¹ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م، ص267، 268.

² البياتي، سناء حميد، التنغيم في القرآن الكريم (دراسة صوتية)، مركز إحياء التراث العلمي والعربي، العراق، ص05.

لذا كان لزاما التنبيه إلى جانب المعنى وعلاقته بالصوت والأداء في كتاب الله عز وجل ، وهو جانب لم يخفى على علماء لعربية، بل أشاروا إلى ضرورة أن يراعى في الأداء المعاني والدلالات، يقول الزركشي " فحق على كل امرئ مسلم أن يرتله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعة ... فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم ... فإذا مرَّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منه، واستبشر إلى ذلك وسأل الله تعالى أن يعينه من النار، وإن هو مرَّ بآية فيها نداء للذين آمنوا، فقال : (يا أيها الذين آمنوا) وقف عندها، ... وإن كان ما يقرأه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام، والانتهاز عن المنهي والاجتناب له، فإن كان ما يقرأه من ذلك وعيد أو وعد الله به المؤمنين فلينظر إلى قلبه، فإن جنح إلى الرجاء فزَّعه بالخوف، وإن جنح إلى الخوف فسح له في الرجاء، حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين، فإن ذلك كمال الإيمان ... وإذا كان موعظة تعظ بها، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل."¹

فكمال ترتيل كتاب الله عز وجل، وإن ارتبط بأدائه وفق ضوابط العربية وقوانينها، فإنه لا يبلغه منتهاه، إلا إذا روعي في قراءته المقام والسياق، وليأتي الأداء محملا بما يدل على معاني كتاب الله عز وجل وأغراضه.

"فالقارئ هو الذي تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم، من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتحديد، وهذا القارئ أحسن الناس صوتا بالقرآن، فإذا كان التنعيم الباكي مقبولا مثلا في آيات الاستغفار والتوبة، فلا بد له من أن يختلف عن تنعيم الآيات التي تحضُّ على القتال أي يجب أن يوائم التنعيم المعنى ويظهره، ليجعل المقروء مستقرا في

¹ الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، خرَّج حديثه وقدم له وعق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص532/1-533.

ذهن السامع وقلبه. فاللين غير الشدة والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام والوعد غير الوعيد".¹

فالترتيل ليس فقط تجويد الحروف بل هو أيضا مراعاة المستوى اللحني، وهذا ما ننبّه إليه المفسر الكبير **القرطبي** بقوله: "القراءة هي أصوات القراءة ونغماتهم"². فهي ليست أصواتا يختص علم التجويد بإتقان مخارجها وإعطائها حقها ومستحقها فحسب، إنما هي أيضا ملامح نغمية وتنغيمية ينبغي أن تصان وتحفظ. إنَّ ثمة صلة وثيقة بين تحقيق الصوامت والمصوتات تحقيقا مجودا وتوظيف ملامح العلو الموسيقي، لذلك فإن القاضي عبد الجبار "يشير إلى ما يسميه بالنغم فيربطه بصفاء مخارج الحروف".³

ويتحدث المحدثون اليوم عن النغمات والإيقاع وضرورة مراعاتهما في تلاوة كلام الله عز وجل، "والإيقاع في النص القرآني يقع من اندماج عنصرين من نغمة خاصة تناسب الفكرة، وتقوم القافية فيها بدور المفتاح ومن لحن ينتظم النغمات جميعا على اختلاف درجاتها وفي شكل منسجم ومتناسب يخلف في روح المتلقي شعورا ما. فبالنغمات يوقع القرآن إيقاعات شتى على أوتار النفس وباللحن المتساق يترك وحدة الأثر. والعلاقة بين النغمات التي تصنع اللحن علاقة ذات أساليب شتى. فقد تقوم على الشوق أو الترقب، أو على التراجع أو على سواها من قواعد التشكل حتى يثير القرآن في أنفسنا ألوانا من الانفعالات تنصهر أخيرا في بوتقة الإحساس النهائي حين تتجه إلى غايتها المنشودة".⁴

¹ دلالة التنغيم في اللغة العربية ، ص15.

² القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب المصرية ، دط ، 1361هـ/1942م ، ص1/04.

³ المسدي عبد السلام ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس ، ط2 ، 1986 ، ص265 .

⁴ نعيم البافي، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، العدد25-26، دمشق ، أكتوبر /يناير 1986-1987،

"إن للكلام الشفاهي آليات يعمل من خلالها، أوضحها حضور المتكلم وحضور السامع معاً، كما أن للكلمة المنطوقة قوة خاصة، ليست للكلمة المكتوبة تتجلى في استحوادها على إحساس السامع، وإثارتها دلالات خاصة، ليست الدلالات المعهودة من مدلولاتها، بل من قوة الصوت، وهو يعبر ويرمز ويشير".¹

"كما أن الكلمة المنطوقة وسط كل العوالم الرائعة التي تتيحها الكتابة لا يزال لها حضور وحياء، وذلك لأن كل الكتب المكتوبة مضطرة بطريقة ما مباشرة أو غير مباشرة، إلى الارتباط بعالم الصوت، الموطن الطبيعي للغة، كي تعطي معانيها. وقراءة النص تعني تحويله إلى صوت... فالكتابة لا يمكن أبداً أن تستغني عن الشفاهية".² وبهذا يحصل التعاضد بين الطبيعة الصوتية للنص القرآني وأدائه أداء مرتلاً حسناً الذي كان مطلباً قرآنياً أيضاً.

من هنا كان لزاماً التركيز على حسن الأداء وجعله جزءاً من دراسة الأصوات وطرق أدائها، فابراهيم أنيس يرى "أنَّ لطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقاً صحيحاً، فالإسراع بالنطق أو الإبطاء به يترك في لهجة المتكلم أثراً أجنبياً عن اللغة ينفر منه أبناءها".³

ويرى أبو حاتم الرازي أن تطويل الصوت - أي مدّه - يدل على معنى النداء، وعلى معنى الشكائية، فربط مد الصوت بالمعنى، وهذا أمر لا يمكن إدراكه إلا بالكلام المنطوق، ويقصر الكلام المكتوب على نقله، ويؤيد هذا الرأي ما ذكره بعض الباحثين من أن الخطاب المكتوب يعتمد في نقل المعنى على البنية اللغوية، لأنه يفتقر إلى السياقات الوجودية الكاملة العادية التي تحيط بالخطاب الشفاهي، وتساعد على تحديد المعنى فيه، مستقلة في ذلك إلى حد ما عن القواعد النحوية.⁴

¹ الكواز، محمد كريم، كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، دار الساقى، بيروت، لبنان، ص 9-10.

² أونج، والترج، الشفاهية والكتابية تر: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة، العدد 182، فبراير 1994، ص 44.

³ ينظر دلالة التنغيم في اللغة العربية، ص 07.

⁴ ينظر: نفسه، ص 14.

وهكذا تتضافر المعطيات والأحداث المتعلقة بكتاب الله عز وجل لترسم لنا بناء صوتيا متكاملًا، لا يحتاج إلا إلى التنقيب والبحث في مكنوناته واستكشاف أسرارها، زيادة في فهم كتاب الله عز وجل، وتبيننا لمظاهر جديدة من مظاهر إعجازه، ووصولًا إلى معرفة أفضل لخصائص و مميزات اللغة العربية.

الفصل الأول :

الظواهر التشكيكية

في السور المدنية.

أولا : الظواهر التماثلية :

1- المماثلة بين الصّوامت :

تشكل المماثلة ظاهرة صوتية، يتجلى من خلالها تعاون أعضاء النطق في خلق نوع من الانسجام الصوتي في أثناء النطق، بحيث لا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى فيؤدّي ذلك إلى نوع من التوازن والتوافق، فييسّر عملية النطق ويقتصد في الجهد العضلي الذي يبذله الإنسان في أثناء النطق،¹ وهو قانون يسري في السلسلة الكلامية فيشمل الصّوامت والصّوائت على السواء، وأظهر أشكاهها مع الصّوامت ما اصطلح عليه القدماء بالإدغام.

أ- الإدغام :

يعرف الإدغام اصطلاحاً، على أنه رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة، ووضعك إياهما وضعاً واحداً، ولا يكون ذلك إلا في المثليين والمتقاربين²، فالقدماء يرون أنّ الإدغام يجعل من الحرفين حرفاً واحداً طويلاً، وقد أورد ابن جني وشارح الشافية نصوصاً، تدلّ على أن الصوت المشدّد حرف واحد من الناحية النطقية.³ ذلك أنّنا إذا نظرنا إلى نطق الصّامت المخفّف من حيث طبيعته العلمية التطبيقية ووجدتها، قلنا أنّه صامت طويل يشبه الحركة الطويلة التي تساوي

¹ ينظر: فدوى، محمد حسّان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص

² السيوطي جلال الدين، (ت: 911هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص 280/06.

³ إستيته، سمير شريف، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية (منهج لساني معاصر)، عالم الكتب الحديث، إربد، 2005، ص 218.

ضعف الحركة القصيرة، هذا من الناحية الصوتية، وأما إذا نظرنا إلى أصله من الناحية الصرفية، أي من حيث جواز تقسيمه إلى صامتين قصيرين، قلنا أنه صامت مكرر.¹

ويرى فنديس أن المشدّد،² لا يقابل صوتين مستقلين إنما هو صوت واحد أطيل زمن الاعتماد عليه،³ ويقول براجستراسر: "التشديد مدّ للحروف الصّامتة ونظير لمدّ الحروف الصّائتة"⁴.

لذا فالإتجاه الصوتي في دراسة ظاهرة الإدغام يكون فيه الصوت المشدّد صوتاً واحداً أطيل الاعتماد عليه، ولكن دون أن يستغرق زمان صوتين اثنين في طوله، من منطلق أن الدرس الصوتي يعتمد في تحديد الصوت المشدّد على ما هو منطوق ومسموع.⁵

فالْحرف المشدّد الذي يحدث من عملية الإدغام هو في واقعه حرف واحد لا حرفان، إلّا أن المدّة التي يستغرقها النطق به تبلغ ضعفي مدّة الحرف البسيط أو الاعتيادي، وهذا من وجهة نظر صوتية أمّا من وجهة النظر الصرفية، فلا بد من اعتبار الحرف المشدّد حرفين لأننا نراه

¹ ينظر: شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، مؤسسة الرسالة، 198م، ص 207.

² اصطلاح المشدّد أو السّاكن المضعّف، هو اصطلاح مضلل جدّاً، لأنه قد استعير من طريقة الكتابة، ففي النطق بمدّ الصوت السّاكن بتطويل مدّة النطق، إذا كان هذا المدّ ممكناً، ويكون هذا ممكناً، إذا لم يكن الصوت السّاكن انفجارياً، ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1403هـ/1983م، ص 146.

³ جوزيف فنديس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، د.ت، ص 49.

⁴ ينظر: براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1400هـ/1980م، ط 2، 1414هـ/1994م، ص 34.

⁵ ينظر: عبد داود، أبحاث في اللغة، بيروت، 1973، ص 30 - 32.

ينقلب الى حرفين في تصاريف الكلمة المختلفة، فالذال من "مدّ" نراها دالين في "مددت - لم يمدد - أمدد - المدد - المديد - الممدود - المداد ... الخ"¹.

ولحدوث الإدغام ينبغي أن تنهياً أسباب محددة، تتوزع بين التماثل والتجانس والتقارب، فأسباب التماثل معناه أن يتحد الصوتان مخرجا وصفة، كالباء في الباء والكاف في الكاف، والتجانس، وهو أن يتفقا مخرجا و يختلفا صفة، كالذال في التاء والتاء في الطاء، والتاء في الذال، والتقارب وهو أن يتقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة.²

"فالشرط الأساسي لإحداث التفاعل بين الأصوات في السياق هو التقارب بينهما في المخرج، فلا يمكن أن يتأثر صوت شفوي مثلا بآخر حنجري أو حلقي، أو يؤثر فيه، فلا يتأثر طبقي أو غاري بآخر أسناني أو لثوي، فبعد المساحة لا يجعل ثمة مجالا بينهما لتبادل التأثير والتأثر، فالتفاعل بين الأصوات يتطلب إذا تقاربا في المخرج، فإذا أضيف إلى ذلك التقارب في الصفات، كان التفاعل بينهما أشدّ وأقوى."³ "ذلك أنه من العسير أن تكون عناصر الكلمة الصوتية متساوية القيمة في داخلها، فمنها القوي و منها الضعيف، ومنها ما يستسلم بسرعة للسيادي والغلبة."⁴

وقد نصّ القدماء بدورهم، ومن بينهم أبو محمد البطليوسي على أنّ الصوت الأضعف يُقلب الى الأقوى، ولا يُقلب الأقوى إلى الأضعف قال في كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: "وقد أجاز النحويون في كل سين وقعت بعدها غينٌ أو خاء معجمتان، أو قاف أو طاء أن تُبدل صادًا، فإذا كانت صادًا في الأصل لم يُجز أن تقلب سينًا نحو: سخرت منه،

¹ ينظر : الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات اللغة ونحوها و صرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، د ت، ص 123/1.

² ينظر: الدمياطي، البنا (ت: 1117 هـ/1705م)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1407 هـ/1987م، ص 112/1.

³ الشايب فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص19.

⁴ فندريس، اللغة، ص90.

وَصَحِرْتُ ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾¹، وَأَصْبَغَ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾² وبصطة، فمتى رأيت من هذا النوع ما يُقال بالصاد والسين هي الأصل، لأن الأضعف يُرَدُّ إلى الأقوى، ولا يرد الأقوى إلى الأضعف³.

فالصوت الذي يمتلك هيمنة و قوّة في صفاته وخصائصه الصّوتية يؤثر في موقعه أو صفاته وامتداده النطقي، مما يجعله عرضة للتغير، ويبدو في أحيان أن الأصوات القوية تخضع للأضعف بسبب أو بآخر،⁴ من هنا قرّر القدماء أن ليس كل متقاربين في المخرج يُدغم أحدهما في الآخر، ولا أن كل متباعدين يمنع ذلك فيهما، فقد يعرض للمتقارب من الموانع ما يحرمه الإدغام، ويتفق للمتباعدين من الخواص ما يُسوغ إدغامه.⁵

فالهم من أي تأثير هو تحقيق الغاية من الإدغام، وهو تقليل الجهد المبذول في نطق الأصوات وتخفيف عبء الأداء الصّوتي ولاسيما إذا كان في الكلام تنافر.⁶ وقد أكد علماءنا القدامى على هذه الغاية، من ذلك قول الفراء: "فإن اللام تدخل في الراء دخولا شديداً ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت"، وقوله أيضاً: "فما تُقل على اللسان إظهاره فأدغم."⁷

¹ سورة لقمان، الآية 20 .

² سورة الأعراف، الآية 69.

³ البطلينوسي، أبو محمد عبد الله، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999. ص 197/2.

⁴ عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، دار أزمنا، عمان، الأردن ط1998، ص 145 .

⁵ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (467-538هـ)، المفصل في علم العربية، وذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 510.

⁶ معن مشتاق عباس، أساسيات الفكر الصّوتي عند البلاغيين (قراءة في وظيفة التداخل المعرفي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون، 1427هـ/2006م، ص 37.

⁷ زياد بن عبد الله (ت 207هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1955، ط2، 1980 ص 354/2

فتقل تكرار المثلين أو المتقاربين حاولوا التخلص منه بحثاً عن الخفة "بأن يدغموا أحدهما في الآخر، حتى يرتفع اللسان عن مخرج هذين اللفظين ارتفاعاً واحداً ليخفف في اللفظ".¹

من هذا المنطلق، ظهرت عناية القدماء بالإدغام، فجعلوه ضرباً وقسموه أقساماً، بحسب شروط و معايير معينة، من ذلك تصنيفهم إلى إدغام صغير وإدغام كبير، فالإدغام الصغير: هو الذي يكون في أول المثلين ساكناً والثاني متحركاً، وهذا القسم ليس له قواعد محددة، لأنه واجب الحدوث دائماً، سواء أوقع في الكلمة الواحدة (العدد - العدد) أم وقع في كلمتين مثل (أحبس سعيد - أحب سعيد) وسبب وجوبه الدائم، هو أن الإنسان ينساق إليه انسياقاً لا خيار له فيه، فهو آلية نطقية حتمية.²

أما الإدغام الكبير، فهو الواقع بين متماثلين تحصل بينهما الحركة مثل (مدد - مدد)، ولا يتم إلا بعد حذف حركة الحرف الأول من المتماثلين إذ يتعذر الإدغام مع وجود الحركة العازلة، وعلى هذا يكون الإدغام الكبير هو مجرد حذف هذه الحركة لئلا يتعذر ذلك عملية الإدغام الصغير بصورة عفوية و حتمية.³

وعلى هذا الأساس جعل ابن جني الإدغام الأكبر لظاهرة التي يذوب فيها أحد الصوتين في الآخر، والإدغام الأصغر لظاهرة التي يحدث فيها تأثير بين صوتين قد يصل إلى حد الإدغام والذوبان.⁴ "ذلك أنه عرف الإدغام على أنه تقريب صوت من صوت."⁵ إذ التقريب هو نزعة

¹ العيني بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م، ص 151.

² ينظر: المحيط في الأصوات العربية، ص 123/1، 124.

³ المالكي، جاسم غالي رومي، الإدغام ظاهرة صوتية، مجلة آداب البصرة، العدد 41، 2006، ص 90.

⁴ ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ص 141/2.

⁵ ينظر: الخصائص، ص 139/2.

صوتين إلى التقارب أي الاتصاف بصفات متقاربة حتى يسهل نطقهما متتالين، وذلك إذا كانا متباعدي المخرج، أو كانا متمائلي المخرج لكن يختلفان في الصفات.¹

والإدغام بهذا المفهوم جزء من المماثلة عند المحدثين، فهي تعني تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض تأثراً يؤدي إلى التقارب في المخرج أو الصفة.²

والإدغام بهذا المفهوم مطابق لمفهوم المماثلة عند المحدثين. وعبارتهم في تعريف الإدغام، (ليكون عمل اللسان من وجه واحد)، تعني الاقتصاد في الجهد العضلي، وتلك نظرية يُقرُّها علم اللغة الحديث، ومن نادى بها أندري مارتني، إذ صرَّح بأن التغيرات الصوتية الهامة في اللغة ترجع أساساً إلى الميل إلى استعمال الوسائل الفونيمية في اللغة اقتصادياً، وبطريقة سهلة قدر الإمكان.³

فعلاقة المماثلة بالإدغام "الاصطلاحي" توضح أنها أعم منه من وجه، من حيث كانت شاملة لكل حالات التأثير في حين نجده مقتصرًا على حالة الاندماج الصوتي الكامل، حيث يفقد الصوت المتأثر وجوده فقداناً تاماً.⁴

وقد ذكر ابن خالويه أن الحجة في الإدغام "مائلة الحرفين، لأن الإدغام على وجهين، مائلة الحرفين ومقاربتهما، فالمائلة كونهما من جنس واحد، والمقاربة أن يتقاربا في المخرج

¹ ينظر: بكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1996 ص 69، 70.
² ينظر: المصري، عبد الفتاح، الصوتيات عند ابن جني، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 15، 1984م، ص 260.
³ ينظر: عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب "مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص 119.

⁴ ينظر: شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ/1987م، ص 236.

كقرب القاف من الكاف، والميم من الباء، والام من النون، وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل فخففوه بالإدغام.¹ "

فالهروب من الثقل، أو كما عبّروا هم عنه بجعل عمل اللسان من وجه واحد، هو نفسه ما عناه المحدثون بالاعتقاد في الجهد العضلي وجعلوه الهدف الرئيس من وراء حدوث ظاهرة المماثلة. والتأثير بين الأصوات يتخذ منحني اثنين :

- تأثير تقدمي : وهو أن يتغير الصوت الثاني ، ليتقارب في الصفة مع الصوت الأول .

- تأثير رجعي : وهو أن يؤثر الصوت الثاني في الصوت الأول .²

وتفصيل ذلك مما ورد في الشقّ المدني من القرآن الكريم هو كالتالي:

- المماثلة المقبلة الكلية في حالة اتصال:

وقد ورد منه في سورة التوبة، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن تَحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ

﴿³ فالفعل (يُحَادِد) وقع مجزوماً، ويجوز فيه الفكُّ والإدغام، ومثله ما ورد في سورة الحشر:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾⁴، في قراءة جميع القراء العشرة⁵، ففي (يُشَاقِق) أدغمت القافان، والإدغام و

الإظهار في مثله جائزان في العربية والفكُّ لغة أهل الحجاز و الإدغام لغة بقية العرب.⁶

¹ ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق : وشرح : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، دط ، دت ، ص 63.

² ينظر: الصايغ ، عبد العزيز ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص 243، 245، وينظر : البهنساوي، حسام ، علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 1425 هـ/2004م ، ص 201.

³ سورة التوبة ، الآية 63

⁴ سورة الحشر، الآية 04.

⁵ ينظر: بن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د.ط ، د.ت، ص 75/28 - 246/10.

⁶ نفسه ، الصفحة نفسها .

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹، إذ قرأ الجمهور (تذكرون) بتشديد الذال وأصله تتذكرون، وقرأه حمزة² والكسائي³ وحفص⁴ وخلف⁵ " (تذكرون) بتخفيف الذال فحذفت إحدى التاءين اختصاراً.⁶

فطريق التيسير في لفظة (تذكرون) تتخذ سبيلين إما سبيل الحذف وهو أسلوب تخالفي في تغيير الصيغة، وإما عن طريق المماثلة التامة بحيث يفنى صوت التاء في صوت الذال.

وذلك على النحو التالي: تتذكرون ← تتذكرون ← تذكرون.

ومثله لفظة (تحية) في قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.⁷
التحية أصلها مصدر (حيا) (تحية) ثم أدغمت الياءان تخفيفاً.⁸

¹ سورة النور، الآية 01.

² حمزة: حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أحد القراء السبع ولد سنة 80هـ وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماماً ثقة ثبتاً (ت150هـ)، ينظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق، برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة جديدة مصححة، 2006، ص1/236.

³ الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن بھمن بن فيروز الأسدي، مولاھم، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، سمي بالكسائي لأنه حكى عن نفسه أنه أحرم في كساء، (ت189هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ص1/474.

⁴ حفص: هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز، يعرف بـ حفص، ولد سنة 90هـ، كان الأعم بقرأة عاصم توفي سنة 180هـ، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ص1/229، 230.

⁵ خلف: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي المقرئ، ويقال له خلف العاشر، لكونه العاشر في ترتيب القراء العشر، قال عنه الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، وكان عابداً فاضلاً، ت229، ينظر: شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 748/637هـ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه، وقيد نصوصه، وعلق عليه: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط1،

1998م/1408، ص 123

⁶ التحرير و التنوير، ص 145/18.

⁷ سورة النور، الآية 61.

⁸ التحرير والتنوير، ص 304/18.

(تَحِيَّة) ← الأَصْل ← (تَحِيَّةً). ومن هذا القبيل أيضا المماثلة التامة في قوله تعالى: ﴿لَوْ

تَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾¹.

إذا وقع التماثل التام في لفظة (مدخلاً)، فالمُدخِل مفتعل اسم مكان للإدخال الذي هو افتعال من الدخول، قلبت تاء الافتعال دالا لوقوعها بعد الدال²، فالأصل (مُدتخلاً)، فأدغمت التاء في الدال³.

على أن معظم أشكال الإدغام بين المتقاربين هي من هذا الباب فمن ذلك ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ

يَشَاءُ﴾⁴ بإدغام الباء في الميم⁵، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾⁶ بإدغام التاء في الطاء⁷،

ومنه الإدغام في (يعفر لكم) من قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ﴾⁸. بإدغام اللام في الراء، ويعلل ابن عصفور هذه المماثلة بقوله: "إن الراء إذا

أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها، وإذا لم تدغم الراء

¹ سورة التوبة، الآية 57.

² ينظر: التحرير والتنوير، ص 231/10.

³ الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ/980م)، معاني القراءات، تحقيق ودراسة: عبد مصطفى درويش، عوض بن محمد الفوزي، دار المعارف، ط 1، 1412هـ/1991م، ص 455/1.

⁴ سورة المائدة، الآية 18

⁵ ينظر: ابن الجزري محمد بن محمد (ت : 833هـ)، النشر في القراءات العشر، ص 225/1.

⁶ سورة الرعد، الآية 29.

⁷ ينظر: النشر، ص 226/1.

⁸ سورة آل عمران، الآية 31.

كان في ذلك ثقل، لأنّ الراء فيها تكرر فكأنها راءان واللام قريبة من الرّاء، فتصير كأنك أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد.¹

وإدغام الرّاء في اللّام أمر أيّدته الدراسات الصوتية الحديثة²، يقول ابراهيم أنيس: "والذي يُبرّر هذا الإدغام هو قرب المخرج مع اتحاد الصفة، لأنّ كلاً منهما صوت متوسط بين الشدّة والرخاوة، ولا يكاد يسمع للرّاء خفيف، مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللّين التي منها اللام، هذا لأنّ الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السّمع، وكلّ ما يتطلبه إدغام الرّاء في اللّام، هو ترك التكرار المختصة به.

والتأثر في هذه الأمثلة هو من قبيل التأثير المقبل الكلي في حالة اتصال.

ومنه كذلك في قوله تعالى ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾³، روى ابن أبي بزة عن ابن كثير (تعدونها)^ط

، خفيفاً، وقرأ الباقون بالتشديد، وهو الصّواب، لأنّ وزنه تفتعلونها فأدغمت التاء في الدّال.⁴ فصيغة (تعدونها) ، مرّت على مراحل حتى وصلت إلى الصيغة التي توافق الصياغة العربية وتيسر عمليّة النطق: تعدونها ← تعدونها.

¹ الإشبيلي ابن عصفور (597-669هـ) ، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص458.

² أنيس، إبراهيم ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجي، ط4 ، 1978، ص200.

³ سورة الأحزاب ، الآية 49

⁴ ابن خالويه، الحسين بن أحمد ، إعراب القراءات السبع وعللها ، حققه وقدم له : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2، 1413هـ/1992م، ص 203 .

ومثله في قوله تعالى ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾¹ فقرأ نافع² (تعدُّوا) بتسكين العين وتشديد الدال، وهو يريد: لا تفتعلوا، فأدغم التاء في الدال لتقاربهما، ولأن الدال تزيد على التاء بالجهر.³ فقرأ المخرج وتواجد النظير المجهور للتاء، أوجب إدغام التاء في الدال .

كذلك يحدث أن يفنى صوت التاء في ما يقاربه من الأصوات في المخرج متى ظهرت صفة من صفات القوة في الصوت المجاور له، من هنا ظهرت المماثلة التامة في قوله ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾⁴، فمعناه فتطهروا، إلا أن التاء تدغم في الطاء لأنهما من مكان واحد وهما مع الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا،⁵ مع تحسُّن صوت الطاء بصفتي الإطباق والتفخيم اللتين تميزانه .

يَطْهَر ← يَنْطَهَر ← يَطَّهَر .

فالعربية لغة تكره تتابع المقاطع القصيرة المجهددة، لذا فهي تلجأ إلى احتزالها عن طريق إسقاط الحركة من أحدهما لتشكيل من المقطعين القصيرين مقطعا متوسطا مقفلا، وبهذه الطريقة تحوّل كلٌّ من "تَفَعَّل" و"تَنَفَّاعِل" إلى "تَنَفَّعَل" و"تَنَفَّاعِل".⁶

"على أنه متى أدغمت التاء في الطاء سقط أول الكلمة فتزيد فيها ألف الوصل، فابتدأت فقلت "اطَّهَّرُوا".⁷ فزيادة ألف الوصل جاء مراعاة لقاعدة عدم جواز الابتداء بالسَّاكن ومن هذا القبيل - أي مراعاة عدم الابتداء بالسَّاكن -، تجتلب همزة الوصل في (اثاقلتُم) بعد حدوث المماثلة، و ذلك في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي

¹ سورة النساء ، الآية 154

² نافع: بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم، أحد القراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح، أقرأ الناس دهرا طويلا ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة مات سنة 169هـ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ص288/2، 291.

³ ينظر : الفارسي ، الحجة ، ص 190، 191/3

⁴ سورة المائدة ، الآية 06

⁵ الزجاج، أبو إسحاق ابراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه ، شرح وتحقيق : عبد الجليل عبده شليبي ، عالم الكتب ، ط1 ، ، 1408/1988م ، ص 155/2.

⁶ الشايب فوزي ، أثر القوانين الصَّوتية في بناء الكلمة ، ص207

⁷ الزجاج، أبو إسحاق ابراهيم ابن السري ، معاني القرآن وإعرابه ، 1988، ص155/2.

سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقَلَّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ^ج ﴿١﴾ أصله تقاتلتم ، قلبت التاء المثناة تاء مثناة لقرب مخرجيهما طلبا للإدغام، واجتلبت همزة الوصل لإمكان تسكين الحرف الأول من الكلمة عند إدغامه.²

كذلك من المماثلة التامة المتصلة ما يقع في كلمتين على نحو ما جاءت به قراءة أبي عمرو لقوله عز وجل ﴿كَأَدَّ يَزِيعُ قُلُوبٍ﴾³، بإدغام الدال في التاء لقرب المخرجين.⁴ ومثله في قوله تعالى ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾⁵، قرأ بإدغام الدال في التاء لقربهما ولسكون الدال.⁶

ومنه كذلك في قوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾⁷ كتب في المصاحف "إلا" بهمزة بعدها لام ألف على كيفية النطق بها مدغمة، والقياس أن تكتب "إن لا" بنون بعد همزة ثم لام ألف.⁸ "فالتقاء النون الساكنة في آخر الكلمة مع صوت آخر مقارب لها في المخرج في أول كلمة ثانية، يؤدي إلى أن تتأثر النون بذلك الصوت، وقد يصل ذلك التأثير إلى درجة الإدغام التام، أي تحول النون إلى جنس الصوت التالي، فيجد الكاتب نفسه حينئذ بين الاستجابة لواقع النطق فيصل الكلمتين، وبين أن يحفظ لكل كلمة أصل رسمها.

وقد قال أبو بكر أنباري، وهو يتحدث عن قطع ووصل (أن لا): "فالمواضع التي كتبت فيها مقطوعة كتبت على الأصل لأن الأصل فيه (أن لا) فأدغمت النون في اللام لقرب مخرجها منها".⁹

¹ سورة التوبة ، الآية 38

² التحرير والتنوير، ص 197/10

³ سورة التوبة ، الآية 117

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 257/1.

⁵ سورة النور الآية 15

⁶ ينظر : ابن خالويه ، إعراب القراءات ، ص 102/2.

⁷ سورة التوبة ، الآية 39

⁸ التحرير والتنوير ، ص 201/10

⁹ الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، ص 145/1-146 ، نقلا عن :غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية للجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15هـ، العراق، ط2، 1982م، ص 456-457 .

- المماثلة الكلية المقبلة في حالة انفصال :

وقاعدة هكذا مماثلة شرحها ابن جني في قوله: "فإذا كان الأول من المثليين متحركاً ثم أسكنته وأدغمته في الثاني فهو أظهر أمراً وأوضح حكماً، ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسّة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزاً بينه وبينه".¹

ومنه في القرآن المدني ما جاءت به قراءة ابن كثير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾² بتشديد التاء، أراد: تتوفاهم فأدغم،³ ومثله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾⁴، قلبت التاء ظاءً لقرب مخرجهما وأدغمت في ظاء الكلمة.⁵

إذ قرأ أهل الكوفة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، فمن شدد أراد: تتظاهر فأدغم، لأنه فعل مستقبل وهذا جزم بالشرط، وسقطت النون للجزم، والفاء جوابه، وعلامة الجزم حذف النون، والأصل تظاهران⁶، ومثله كذلك الإدغام في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَصِدَّقْتَ فَنِعْمًا هِيَ﴾⁷ فقوله فنعماً أصله فنعم ما، فأدغم المثان⁸.

وعليه فالإدغام في كل ما سبق إنما هو كراهة اجتماع المثليين، يقول ابن جني: "إنما فعلوا ذلك لكراهة اجتماع مثليين متحركين".⁹

¹ الخصائص، ص2/140.

² سورة النساء، الآية 97

³ ابن خالوية، إعراب القراءات، ص2/232.

⁴ سورة التحريم، الآية 04

⁵ التحرير والتنوير، ص358/28، وينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ص2/278.

⁶ ابن خالويه، إعراب القراءات السبع، ص376.

⁷ سورة البقرة، الآية 271

⁸ الفارسي، أبو علي الحسن (ت377هـ)، الحجة للقراء السبع، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام، تح: بدر الدين قهوجي، بشير حويجيتي، راجعه عبد العزيز رباح أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث ط1، 1987، ص3/67.

⁹ ابن جني، المنصف شرح الإمام أبي عثمان ابن جني النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954، ص1/90.

والإدغام في المثليين المتحرّكين كثير الورد في القرآن الكريم وهو من أشكال التغير الذي يندرج ضمن ما يطلق عليه القراء بالإدغام الكبير، وعُرف به أبو عمرو بن العلاء خاصة، من ذلك قراءته في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مِّنْ سَكَّكُمْ﴾¹، وقرأ الجميع مناسككم بفك الكاف، وقرأه السوسي عن أبي عمرو بإدغامهما، وهو الإدغام الكبير².

مع أن العلماء اختلفوا في مدى جودة إدغام المثليين المتحرّكين في مواضع من الذكر الحكيم منها جاءت به قراءة جُلّ القراء العشر³ لقوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مِّنْ حَىٰ عَنُ بَيِّنَةٍ﴾⁴ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ⁵، بالإدغام وهو الأجود⁵، وقال أبو منصور: "من قرأ (حَيَّ) بالإدغام فالأصل (حَيِّي)، فأدغم إحدى الياءين في الأخرى ومن أظهرها فهو أتم وأفصح⁶. وإن كان لهذا الإدغام ما يفسره، ويجعل اللّجوء إليه ضرورة للتيسير، فقد أشار القدامى إلى أن تحرك الياء الأولى بالفتحة جعلها شبيهة بالحروف الصحيحة، يقول الفارسي: "إنّ الياء لزمتهما الحركة فصارت بلزوم الحركة لها مشابهة للصّحيح"⁷ وعلى هذا الأساس تصبح الكلمة متكونة من ثلاث مقاطع قصيرة مفتوحة: /حَـ/ /يِ/ /يَـ/، وهذا نسيج تسعى العربية إلى التقليل منه متى أمكن ذلك، فيصبح الإدغام في هذه الحالة، وسيلة لتحقيق الاقتصاد اللغوي، والذي يرى المحدثون أنه يتجلى في أمرين: "أولهما أنّ الحركة التي تكون بين المتماثلين قد سقطت، وفي هذا تقليل في عدد الأصوات، وثانيها تقليل من عدد المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية"⁸.

¹ سورة البقرة، الآية 200.

² الفارسي، الحجة، ص 244/2.

³ ماعدا نافع، وعاصم، ابن كثير، والكسائي، ينظر: الأزهري معاني القراءات، ص 440/1.

⁴ سورة الأنفال، الآية 42.

⁵ إعراب القراءات، ص 225.

⁶ معاني القراءات للأزهري، ص 440/1.

⁷ الحجة، ص 140/4.

⁸ القراءات القرآنية بين العربية و الاصوات اللغوية، ص 114.

- المماثلة الكلية المدبرة في حالة اتصال:

جاءت في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ﴾¹، أصله (يُظَاهِرُونَ)، فأدغمت التاء في الظاء لقرب مخرجيهما²، ومن قرأ (يُظَاهِرُونَ)، فهو في الأصل: يُظَاهِرُونَ، فأدغمت التاء في الظاء وشدّدت أيضاً³، وهي قراءة يحيى⁴ والأعمش وحمزة⁵. وقال أبو علي: "ظاهر من أمرين وظهر، مثل ضاعف وضعف، وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير: تظاهر وتظَهَّر، ويدخل حرف المضارعة فيصير: يَتَظَهَّرُ، ويَتَظَاهَرُ، ثم تدغم التاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير: يَظَاهِرُ، ويَظَهَّرُ⁶.

فقرب المخرج هو أظهر وأوضح التعليقات لحدوث هكذا تأثير، فالتاء صوتٌ مهموس شديد⁷، وهو صوت خفيف لا يصعب التكلم به بسرعة لذلك سمّاه علماء العربية بالصوت المهتوت: لأنّ الهتّ في الكلام سرده بسرعة⁸.

زد على أنه ورد ساكناً مُعْرَى من الحركة، وهذا ما يزيده ضعفاً أمام صوت الظاء المفخّم المطبق، مع اشتراكهما في المخرج فكلتاهما من الأصوات الأسنانية اللثوية⁹، مما يجعل حدوث المماثلة أمراً ضرورياً في هكذا نسيج. فمتى التقت الأصوات من أحياء واحدة ظهرت

¹ سورة المجادلة، الآية 02.

² ينظر: التحرير والتنوير، ص 10/28.

³ معاني القراءات، الأزهري، ص 59/3.

⁴ يحيى بن وثاب: الأسدي مولاهم الكوفي، تابعي ثقة كبير روى عن ابن عمر وابن عباس (ت 103هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ص 331/2.

⁵ الفراء، معاني القرآن، ص 138/3.

⁶ الفارسي، الحجة، ص 278.

⁷ ينظر: بشر كمال، علم اللغة العام الأصوات، دار المعارف. دط، دت. ص 101.

⁸ ينظر: العيني بدر الدين محمود بن أحمد، (ت 855هـ)، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 1، 2007، ص 174.

⁹ ينظر: أحمد مختار عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، القاهرة، 1997، ص 316.

الرغبة في الاقتصاد في الجهد العضلي الذي يبذله اللسان حال قيامه بإخراج أصوات متقاربة في المخرج ومتابعة في سلسلة الكلام.

وعلى هذا الأساس أيضا، أدغمت التاء في الصّاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾¹، قرأ الجمهور (المُصَدِّقِينَ) بتشديد الصاد على أن أصله (المتصدّقين)، فأدغمت التاء في الصّاد بعد قلبها صادًا لقرب مخرجيهما، تطلبًا لخفة الإدغام.²

فهذا التماثل تمّ على النحو التالي: المُصَدِّقِينَ :

مُتَّصِدِّقِينَ ← مُتَّصِدِّقِينَ ← مُصَّدِّقِينَ ← مُصَّدِّقِينَ.

فأصل اللفظة (متصدّقين)، ثم حذفت الفتحة فأصبحت الكلمة (متصدّقين) ذلك أن الحركة حصانة للحرفين فوجب حذفها حتى يتمكن من التصرف فيها، ثم قلبت التاء صادًا، ثم أدغمت الصاد في الصاد. فكان هذا من قبيل التأثير المدبر الكلي في حالة اتصال.

ومن هذا القبيل ما ورد في قوله تعالى ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾³. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالإدغام، والباقون بالإظهار على الأصل ومن أدغم فلأنّ التاء ساكنة للتأنيث، فلما كان السكون لها لازما كان الإدغام لازما، ولما كانت التاء أصلية في ﴿بَيْتَ طَايِفَةٍ﴾⁴ وكانت حركته لازمة وجب أن يكون الإظهار أحسن.⁵

¹ سورة الحديد، الآية 18.

² التحرير والتنوير، ص 395/27، وينظر: معاني القراءات، ص 56/3، الفراء معاني القرآن، ص 135/3، لابن خالوية، وإعراب القراءات ص 351/1.

³ سورة النساء، الآية 90.

⁴ سورة النساء، الآية 81.

⁵ ابن خالوية إعراب القراءات، ص 136/1.

قال الأزهري: من أدغم فليقرب مخرج التاء من الطاء، ومن أظهر فلائهما من كلمتين، والإظهار أتم وأشيع¹.

وقال أبو علي الفارسي في تحليله للإدغام في (بيت طائفة)، "أوجه الإدغام أن الطاء والتاء والذال من حيز واحد، فالتقارب الذي بينهما يجريهما مجرى المثليين في الإدغام، ومما يحسن الإدغام أن الطاء تزيد على التاء بالإطباق، فحسُن إدغام الأتقص صوتا من الحروف في الأزيد،... ومن بين فقال (بيت الطائفة) فلانفصال الحرفين واختلاف المخرجين."²

فالتاء حرف ضعيف للهمس الذي فيه والطاء حرف قوي للإطباق والاستعلاء والشدة اللواتي فيها، فهو أقوى من التاء كثيرا، فإذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف إلى قوة مكررة³.

والملاحظ على تفسيرات القدامى السالف سردها أنها تركّز على قضية التقارب المخرجي بشكل كبير، وتجعله السبب الوحيد لحدوث الإدغام متى التقى الصوتان المتقاربان، غير أن في كلام ابن خالويه إشارة مهمة، ذلك أنه استحسّن الإدغام في (حصرت صدورهم) لا للقرب المخرجي بين التاء والصاد، ولا للقوة الظاهرة في صوت الصاد، ذلك أنه صوت صفيري ولكن لكون اتصال التاء بالصاد اتصالا مباشرا بحيث لم تفصل بين الصوتين بصوت صائت.

في حين أنه أوجب الإظهار في (بيت طائفة) للزوم صائت الفتح لصوت التاء. فهذا الكلام يُعد إضاءة مهمة وليس بينه وبين ما يتحدّث عنه المحدثون من القوة الموقعية إلا القليل من التفصيل، فموقعية التاء في (حصرت صدورهم) هي نهاية المقطع والصاد في بدايته والبداية أقوى وأصمد بخلاف النهاية.

¹ الأزهري، معاني القراءات، ص 313/1.

² الفارسي، الحجة، ص 173/3.

³ ينظر: القيسي أبو محمد المكي بن أبي طالب، (ت 437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 1428 هـ/2007 م، ص 204/1.

والملاحظ أن هذا الشكل من الإدغام، يندرج ضمن الإدغام الرجعي حيث يكون موقع الصوت المدغم سابقا، وهو في هذا الموقع يكون دائما نهاية المقطع، فهو ضعيف عرضة للتأثر بالصوت التالي في حين أن الصوت التالي أكثر قوة لأنه بداية المقطع، فهو ممكن في موضعه¹، أما صفات القوة التي تتميز بها الصّاد، فلا شأن لها في الإدغام، ذلك أن الصفات لا تأثير لها حين يتعلّق الأمر بالأصوات التي من مجموعة واحدة.

ومن قبيل المماثلة الكلية المدبرة المتصلة، ما جاء في قراءة جمهور القراء لقوله تعالى: ﴿ج

وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾² بتشديد الصّاد والدّال على أصل الكلمة، لأنّ الأصل (تصدّقوا)، أدغمت التاء في الصّاد³، وما جاء في قراءة رويس عن يعقوب (يتساءلون) في قوله تعالى ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهْم بِأَدُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾⁴ بفتح السين المشدّدة وألف بعدها الهمزة مضارع تساءل، وأصله يسألون أدغمت التاء في السين⁵، لقرب مكان هذه من هذه،⁶ فهما مجتمعان في كونهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا ومجتمعان في الهمس⁷.

¹ ينظر: شاهين ، عبد الصبور ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي ن القاهرة ، ط1، 1987، ص237.

² سورة البقرة، الآية 237.

³ ينظر: ابن خالوية، إعراب القراءات، ص 140/1، الفارسي، الحجة، ص 3/96.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 20.

⁵ التحرير والتنوير، ص 302/21.

⁶ الزجاج، معاني القرآن، ص 60/2، وينظر: معاني القراءات، الأزهرى، ص 281/2.

⁷ ينظر: الفارسي، الحجة، ص 119/3.

ومنه كذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾¹، إذ قرأ حمزة والكسائي (لو تسوى) مُمالة خفيفة أرادوا جميعاً (تسوى)، فأما نافع وصاحبه فأدغما التاء في السّين².

تَسَوَّى ← تَسَوَّى. فكل من التاء السين من مخرج واحد، إلا أن السّين تمتاز بصفة قوّة وهي صفة الصغير، زد على أن التاء جاءت ساكنة غير محصّنة مما يجعلها عرضة للتأثر، فالإدغام والإظهار جائزان إذا كانت الحركة في الثاني لازمة على حد قول القدامى³.

– المماثلة الجزئية المقبلة في حالة اتصال:

ومنه ما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾⁴، الأصل في (تدّخرون) تدخرون، إلا أن الذال مجهورة و التاء مهموسة فلم يجتمعا، فأبدلت التاء ذالا، لأنهما من مخرجهما لتتقرب من الذال، ثم أبدلت الذال ذالا وأدغمت⁵، "ذلك أنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالاً، ففكروا أن تصير التاء ذالاً فلا يعرف الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما في المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال"⁶.

¹ سورة النساء، الآية 42.

² ابن خالويه، إعراب القراءات ص 134/1، وينظر: الحجة للفارسي ص 161/3-162.

³ معاني القراءات، ص 1/441.

⁴ سورة آل عمران، الآية 45.

⁵ العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت606هـ)، التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 216/1.

⁶ ينظر: الفراء، معاني القرآن، ص 215/1. ينظر: المماثلة في تاء الافتعال: ابن جني أبي الفتح عثمان (ت: 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، شارك في التحقيق: أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط2، 2007، ص 229/1.

وقد فسّر الزجاج هذا الإبدال بأسلوب علمي ممتاز فذكر أنّ الدّالّ حرف مجهور لا يمكن للنفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه، والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرفاً مجهوراً يشبه الدّالّ في جهرها، وهو الدالّ فصارت (تدّخرون)، ثمّ أدغمت الدّالّ في الدّالّ فصارت (تدّخرون) وجائزٌ فيها (تدّخرون).¹

فلهذه الصيغة طريقتان إذن، إحداهما: قلب الدّالّ المعجمة دالاً وإدغامها فيها فتصير دالاً مشدّدة (ادّخر) وهذا هو الأكثر²، ويندرج هذا التأثير ضمن المماثلة الجزئية المقبلة في حالة اتصال. والثانية: قلب الدّالّ المهملة إلى دال وإدغامها فيها فتصير (ادخر)، وهذا هو الأقل³، وهذا التأثير مدبر كلي في حالة اتصال.

ومن هذه المماثلة أيضاً قراءة الكسائي لقوله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾⁴ بالتاء ونصب الباء واللام المدغمة في التاء⁵. يقول أبو علي الفارسي: "وأما إدغام الكسائي اللام في التاء فحسن... إنّما يحسن ذلك بحسب قرب الحرف من الحرف"⁶.

وحقيقة الأمر أنّ اللام في هذه الحالة في موضع ضعف، فعدم تحصنها بصائت جعلها عرضة للفناء والتأثر بما يجاورها من أصوات، في حين أنّ التاء تحتلّ قوة موضعية تفرض عليها التأثير على الصّوت السّابق لها غير ذي صائت.

¹ ينظر: الزجاج، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ص 276/1.

² عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة و تطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط 1418/1998، ص 364.

³ نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ سورة المائدة، الآية 112.

⁵ الفارسي، الحجة، ص 275/38.

⁶ الفارسي، الحجة، ص 275/3.

- المماثلة الكلية المدبرة في حالة انفصال:

وهي التي يحدث أن يفصل بين حرفي المماثلة بفاصل عادة ما يكون صوتاً صائتاً، فيُجنح إلى حذف الصّائت بداية حتى يتيسّر دمج الصّوتين في بعضهما البعض.

من ذلك اختلاف القراء في إظهار الدال وإدغامها من قوله عزّ وجلّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾¹. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي بإدغام الدالين الأولى في الأخيرة، وقرأ نافع وابن عامر: (من يرتدّ منكم عن دينه) بإظهار الدالين وجزم الأخيرة².

وحجّة من أظهرهما ولم يُدغم: أن الحرف المدغم لا يكون إلّا ساكناً، ولا يمكن الإدغام في الحرف الذي يُدغم حتى يَسْكَنَ، لأن اللسان يرتفع عن المدغم فيه ارتفاعاً واحدة، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعاً واحدة، فإذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الإدغام³. من هنا كان لزاماً من أجل حدوث الإدغام أن يتمّ التخلص من الحركة الفاصلة بين الدالين وذلك عن طريق حذفها، فالأصل يرتدد، أدغمت الدال الأولى في الثانية وحُرّكت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين⁴.

ومثله لقوله تعالى: ﴿أَن يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾⁵. قرأ أهل الكوفة (يُصَلِّحَا) من أفعال

يفعل وقرأ الباقون (يُصَلِّحَا) يريدون يتصلحا فأدغموا⁶. والمعنى (يُصَلِّحَا) ثم أدغم⁷.

¹ سورة المائدة، الآية 54.

² الفارسي، الحجة، ص 3/232.

³ نفسه، ص 3/232.

⁴ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص 2/182.

⁵ سورة النساء، الآية 128.

⁶ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 1/138، وينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ص 1/318.

⁷ النحاس، معاني القرآن، ص 2/206.

فالتماثل في صيغة (يصّالحا) كان على النحو التالي:

يصّالحا ← يتصّالحا ← يتصّالحا ← يصّالحا ← يصطّالحا ← يصّالحا.

ومنه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹.

المطّوّعين ← المتطوّعين ← المتطوّعين ← المطّوّعين، أدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجيهما².

"والعلة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف التي ذكرها وهي حروف الإطباق، أنهم أرادوا تجنيس الصوت وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب الحرف من الحرف، وهذا يدلّك من مذهبهم أن للتجنيس عندهم تأثيرا كبيرا."³

ومنه كذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾⁴ فتقدير (المعذرون) أن أصله

(المعتذرون)، من اعتذر، أدغمت التاء في الذال لتقارب المخرجين بقصد التخفيف⁵.

ومن التماثل المنفصل في كلمتين ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁶. قرأ أبو عمرو وحده (فيه هُدًى) بإدغام الهاء في الهاء⁷، "ذلك أن في إظهار

¹ سورة التوبة، الآية 79

² التحرير والتنوير، ص 275/10.

³ ابن جني، المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، ص 324/2-325.

⁴ سورة التوبة، الآية 90

⁵ التحرير والتنوير، ص 292/10. وينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ص 460/1.

⁶ سورة البقرة، الآية 02.

⁷ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 55/1.

الكلمتين ثقلاً يعادل إعادة الحديث مرتين أو كخطوٍ مقيّدٍ فأسكن الحرف الأول وأدغمه في الثاني ليعمل اللسان مرة واحدة¹.

وكذلك من إدغام المتقاربين في حالة انفصال قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَنَّ﴾²، قرأ أبو عمرو بالإدغام لقرب القاف من الكاف³. وإدغام القاف في الكاف حسنٌ لأنها من حروف الظهور⁴.

إن الأساس الذي تنطلق منه ظاهرة الإدغام كونها أكثر أشكال المماثلة التامة بين الصوامت هو الرغبة في التيسير والجنوح نحو السهولة، وشواهد الذكر الحكيم تعزّز هذا المطلب النطقي المهم، ثم إن التفسيرات العلمية لهذه الظاهرة اللغوية، يراعى فيها الصوت من منطلق صفاته وخصائصه بإزاء مجاوره، ويراعى فيها نسيج بناء الكلمة من حيث تشكيلات البنية المقطعية، بحيث يصبح بالإمكان الوقوف على قانونين كبيرين يضبطان المماثلة بين الصوامت، أحدهما امتلاك أحد الصوتين صفة قوة تمنحه أولوية البقاء، وثانيهما قوة موقعية ذلك أنه متى تحصّن الصامت بصائت، كان ضمن نواة المقطع مما يمنحه فرصة البقاء.

2- المماثلة بين الصّوائت:

إن الجنوح نحو السهولة والتيسير طريق تتخذه العربية مع الصّوائت، كما تتخذه مع الصوامت، وإن اختلفت أشكال ذلك تبعاً لاختلاف طبيعة الصوت الصائت، ومن أظهر أشكال المماثلة بين الصّوائت، مما تمّ استخراجها من القرآن المدني، مايلي:

¹ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 56/1.

² سورة التحريم، الآية 05.

³ إعراب القراءات، ابن خالويه، ص 375/1 ومعاني القراءات، الأزهرى، ص 77/3.

⁴ الفارسي، الحجة، ص 303/1.

أ- الإتياع:

الإتياع مظهر من مظاهر المناسبة الصوتية، التي تخلق التوافق والتوازن الإيقاعي بين الحركات المتنافية، التي تؤدي إلى الثقل النطقي، حيث تعمل المناسبة على التخلص من هذا الثقل عن طريق ذلك التوازن الإيقاعي الذي يقوم على الملائمة بين الحركات¹. فهو من أمثلة الانسجام بين الصوائت ولون من ألوان المماثلة على مستوى الصوائت لضرب من التشاكل، والفرار من نفرة اختلاف، ولذلك أتبعوا الصَّائت صائتاً تحقيقاً لهذا التشاكل.

وله أسباب عدة تؤدي إلى اللجوء إليه، منها:

- تحقيق التوافق الحركي، والتقريب بين الأصوات، ومن أشهر حالاته كسر فاء الكلمة التي عينها حرف حلق مكسور، وهذا من باب اختلاف اللهجات، فإذا كانت عين الكلمة حرف حلق مكسور، كسروا فاء الكلمة إتياعاً لكسر العين.²

ومن باب تحقيق التوافق الحركي، كسر الهاء في قوله تعالى ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

يقول ابن خالويه: "أما كسر الهاء مع أن أصلها الضَّمُّ فمن أجل الياء أو الكسرة اللتين تقعان قبلها، والهاء تشبه الألف لموافقتهما لها في المخرج من الحلق ولما فيها من الخفاء، فكما نحو بالألف نحو الياء بالإمالة من أجل الكسرة أو الياء كذلك كسروا الهاء للكسرة والياء، وذلك حسنٌ ليتجانس الصَّوتان ويتشاكلا"³، فطلباً لتشاكل الحروف يحسن الكسر في الهاء في: (فيه هُدى)⁴.

ومن أسبابه، عمل اللسان من وجه واحد، ذلك أنه إذا تمَّ التقريب بين الحرفين المتجاورين في الحركات، كان في ذلك خِفةٌ لأن اللسان يعمل عملاً واحداً.

¹ ينظر: عفيفي أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996، ص 140 - 143.

² ينظر: الغامدي، عزة بن سعد، التعليل في الدراسات الصوتية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1425هـ/2004. ص 319.

³ الفارسي أبي علي، الحجة، ص 207.

⁴ نفسه، ص 208.

ومنه قراءة حمزة بكسر الهمزة والميم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ﴾¹، فمن كسر أتبع الكسر الكسر²، وقرأ حمزة والكسائي، (فلامه الثلث) في قوله تعالى ﴿فَلَاؤُمَّهُ السُّدُسُ﴾³، بكسر الهمزة لكسرة اللام.⁴ ووجه في قراءة حمزة والكسائي أن الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها، فأتبعوها ما قبلها من الياء والكسرة، ليكون العمل فيها من وجه واحد⁵.

ومن ذلك إتيان الضمة ضمة في قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁶ بضمّتين.⁷

فمن أجل تيسير عمل اللسان، أثر بعض القراء الإتيان في مواطن محددة من القرآن الكريم منها ما ذكرنا، ومنها قراءة الإتيان في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ﴾⁸، فقرأ الجمهور (خُطُوت) بضم فسكون على أصل جمع السّلامة، وقرأه ابن عامر، وحنبل عن ابن كثير وحفص عن عاصم بضم الخاء والطاء على الإتيان، والإتيان يساوي السكون في الخفة على اللسان.⁹

¹ سورة النحل، من الآية 78.

² إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 130/1.

³ سورة النساء، الآية 11.

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات السبع، ص 129.

⁵ الحجّة، لأبي علي الفارسي، ص 137/3.

⁶ سورة الحجرات، الآية 04.

⁷ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 226/27.

⁸ سورة البقرة، من الآية 168.

⁹ الفارسي، الحجّة، ص 103/2.

ومن مظاهر الإتياع والدواعي التي أدت إلى الحاجة إليه، كراهة الانتقال من الكسر إلى الضم أو العكس، فالبناء الذي يعتمد على الانتقال من الكسر إلى الضم مستثقل عند العرب، وإذا كان الهروب من الكسر إلى الضمة للإتياع فيه شيء من الثقل بسبب وجود الضمتين، فإن تماثلهما مع كونهما ثقيلين أخف من الاختلاف¹.

فالثقل في الانتقال من الكسر إلى الضم ليس راجعا كما يقول ابن جني إلى الحروف، وإنما هو استثقال منهم للخروج من ثقل إلى ما هو أثقل².

كذلك في صيغة (فاقتلوا) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾³، حُرِّكَتِ التَاءُ بِالضَّمَّةِ إِتْبَاعًا لَضَمَّةِ التَّاءِ وَالرَّاءِ، وَحُجَّةُ ذَلِكَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، أَنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ كَسْرِ إِلَى ضَمٍّ، فَضَمُّوا لِيُتَبِعُوا الضَّمَّ الضَّمَّ⁴.

ومنه جمع الكثرة من (فَعَلَ) يَجْمَعُ عَلَى (فُعُولٍ)، وَالْأَجُوفُ الْيَائِي مِنْهُ أَخْفُ مِنَ الْوَاوِي، نَحْوُ بَيُوتٍ وَخِيُوطٍ، وَعَيُونٍ، وَقِيُودٍ⁵. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾⁶. قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: مِنْ ضَمِّ أَوَّلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ فَلِأَنَّهَا مَبْنِيَةٌ عَلَى (فُعُولٍ) بِضَمِّ الْفَاءِ، وَمِنْ كَسْرِ اعْتَلَّ بِالْيَاءِ، فَاتَّبَعَ الْكُسْرَةَ الْكُسْرَةَ، كَمَا قَالُوا: أَيْبُضٌ وَيَيْبُضُ⁷.

¹ ينظر: الاسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن ت686هـ، شرح الشافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، محمد نور الحسن، محمد الزراف، دار الكتب العلمية ن1402هـ/1982م، ص36/1.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص34/1.

³ سورة النساء، الآية66.

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات السبع، ص135/1.

⁵ ينظر: القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ت461هـ، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص2/669.

⁶ سورة البقرة، من الآية189

⁷ الأزهرى، معاني القراءات، ص195/1

لقد علل المحدثون مختلف مظاهر الإتياع مما ذكرنا، ومما لم يتهيء لنا شواهد تمثله بالرغبة في تحقيق الانسجام الصوتي،¹ فضم الميم وهو من باب الإتياع في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾²، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾³. إنما جاء لتحقيق الانسجام مع ما قبلها وذلك تأثر تقدمي.⁴

كما يعد الإتياع شكلا من أشكال الاقتصاد في الجهد العضلي، ذلك أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وتلمس أسهل السبل، مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه، فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر.⁵

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير الإتياع في الآيات التالية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁶. حيث قرأ الجمهور: (اليسر والعسر) بسكون السين فيها، وقرأه أبو جعفر بضم السين ضمة إتياع.

ومنه قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب (نُكْرًا) بضمّتين،⁷ في قوله

تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾⁸.

¹ ينظر: العبيدي، شعبان عوض محمد، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ط1، 1999، ص181.

² سورة البقرة، الآية 159.

³ سورة آل عمران، الآية 139.

⁴ ينظر: الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، ص 272.

⁵ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 235، 236.

⁶ البقرة، من الآية 185.

⁷ التحرير والتنوير، ص 335/28.

⁸ سورة الطلاق، من الآية 08.

ومنه قراءة أبو بكر عن عاصم بضم الزاي،¹ في قوله تعالى ﴿ فَصُرَّهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾.² وكل هذا إنما هو من قبيل المماثلة التقديمية الكلية في حالة اتصال.

إن الإتيان إذن من التغيرات الصوتية التي تهدف إلى إحداث نوع من المماثلة بين الصّوات، وهي تعكس لهجة من اللهجات أو قراءة من القراءات، والقرآن الكريم بدوره استوعب هذه الظاهرة من منطلق استيعابه اللهجات العرب المختلفة، وللقراءات القرآنية ولما يمنحه الإتيان من انسجام ومماثلة بين الصّوات.

ب- الإمالة:

الإمالة لغة: من الميل، وهو العدول عن الشيء، والإقبال عليه وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلاً ومملاً ومميلاً، ومن معانيها: مالت الشمس ميولاً، ضيقت للغروب أو زالت عن كبد السماء.³

أما اصطلاحاً فقد تعددت تعاريفها، فسيبويه بداية يشرح ماهيتها، بقوله " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها."⁴

¹ الرعيبي، أبو عبد الله محمد بن شريح (ت476هـ)، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ن ط1، 1421هـ/2000م، ص88/1.

² سورة البقرة، من الآية 260.

³ الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419/1998هـ، ص410/2، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، ص161/14.

⁴ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ص117/04.

ويشير إليها في موضع آخر بقوله " ومَّا تَمَّالَ أَلْفَهُ قَوْلُهُمْ : كَيْيَالٌ وَبِيَّاعٌ وَسَمِعْنَا بَعْضَ مَنْ يُوَثِّقُ بِعَرَبِيَّتِهِ يَقُولُ كَيْيَالٌ وَبِيَّاعٌ كَمَا تَرَى فِيمَيْلٍ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا هَذَا لِأَنَّ قَبْلَهَا يَاءٌ فَصَارَتْ بِمِثْلَةِ الْكُسْرَةِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَهَا نَحْوُ: سِرَاجٍ وَجَمَالٍ."¹

ويعرفها المبرد، فيقول " هو أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعله تدعو إليه."² ويقول مرة أخرى مبيناً أن سببها هو الكسرة أو الياء: "وكذلك إذا كانت قبلها كسرة أو ياء نحو قولك: عباد، وجبال، كل هذا إمالة جائرة، فأما عيال فالإمالة ألزم، لأن مع الكسرة ياءً."³

وحقيقة الإمالة عند ابن جني "إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت."⁴

ويشرحها في الخصائص بقوله: "ألا تراك قرّبت فتحة العين في عالم من كسرة اللام منه بأن نحوت نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء."⁵

ويفصّل فيه صاحب المفصّل فيوضح أن "الإمالة هي عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المضخّمة وبين مخرج الياء."⁶

وفي شرح الشافية جاء تعريفها مقصوراً على إمالة الفتحة نحو الكسرة، فيقول: "الإمالة أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة"⁷، وقد علّل شارحه ذلك بقوله ((وإنما لم يقل)) ينحى بالفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء، لأن الإمالة على ثلاثة أنواع: إمالة فتحة قبل الألف إلى الكسرة، فيميل الألف نحو الياء، وإمالة فتحة قبل الهاء إلى الكسرة كما في ((رحمة))، وإمالة

¹ نفسه، ص 261/2.

² المقتضب، ص 42/3.

³ نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ سر صناعة الإعراب، ص 58/1.

⁵ ابن جني، الخصائص، ص 141/2.

⁶ ينظر: ابن يعيش النحوي بن علي، شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ص 54/09.

⁷ شرح الشافية، ص 4/3.

فتحة قبل الراء نحو ((الكبر)) فإمالة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة، ويلزم من إمالة فتحة الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء، لأن الألف المحض لا يكون إلا بعد الفتح المحض، ويميل إلى جانب الياء بقدر الفتحة إلى جانب الكسرة ضرورة، فلما ألزمها لم تحتج إلى ذكرها.¹ وهو يشير هنا إلى نقطة مهمة حيث حدّد الإمالة بقوله: " وإنما تسمى إمالة إذا بلغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة، وما لم تبالغ فيه يسمى ((بين اللفظين))، وترقيق، والترقيق إنما يكون في الفتحة التي قبل الألف فقط.² فكأنما يريد أن يقول أن الإمالة هي المبالغة في إمالة الفتحة ليصل نطقها إلى نطق الكسرة، وما عداها لم تسم إمالة، مع أن كثيرا من العلماء قد عدّوا الإمالة درجات حسب ميل الفتحة أو الألف إلى الكسرة أو الياء.³

وهي ظاهرة اختيارية يقول السيوطي " الإمالة هي أن تنحى جوازا بالألف نحو الياء،"⁴ فالكلام مبني على الفتح وللمتكلم أن يختار طريق الإمالة إن هو أراد ذلك، على أن إمالة الألف نحو الياء إنما هي نتيجة لإمالة الفتحة نحو الكسرة، لذلك يتم السيوطي كلامه بقوله " ولا يمكن أن تنحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب".⁵

فعلماء العربية يظهر من تعاريفهم، إدراكهم أن العلاقة بين الكسرة والياء علاقة كمية، وكذلك هي بين الفتحة والألف، وعلى هذا الأساس لم تكن إمالة الألف نحو الياء إلا نتيجة لإمالة الفتحة نحو الكسرة، "فحقيقتها أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف - إن كان

¹ نفسه ، الصفحة نفسها .

² سفر، علي عبد العزيز ، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى الرابع هجري (دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب ، ط1، 1421هـ/2001م ،ص49.

³ نفسه ،ص49.

⁴ السيوطي ، جلال الدين ،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1421هـ/2001م ، ص 200/2.

⁵ نفسه ، ص 200/2

بعدها ألف - نحو الياء. "1 فمعنى (أن ينحى) شامل لإمالة الألف، لأن فيها أيضا إمالة الفتحة نحو الكسرة كما يفيدته تقريره وقضية صنيعه أنها عمل واحد يلزمه - عند وجود الألف - عمل آخر. "2

ويوضح أبو عمرو الداني هذه الفكرة أكثر حين يقول " من اختار الإمالة نحاً بالفتحة نحو الكسرة فمالت الألف التي بعدها نحو الياء، فكذلك إذا أريد تقريبها من الياء لزم أن تقرب الفتحة التي قبلها من الكسرة، " وإلى مثل ذلك يذهب المكي القيسي، ففي كتاب التبصرة يقول: " معنى الإمالة هو أن تقرب الألف نحو الياء ... وإذا قربت الألف إلى الياء في الإمالة لم يكن ذلك حتى تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة. "3 فالإمالة عند صاحب الكشف إذن "ماهي إلا تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة. "4

فهذه التعاريف تجعل من إمالة الألف نحو الياء فرع من أصل هو إمالة الفتحة نحو الكسرة، على أن بعض علماء القراءات يتبنون مذهباً مختلفاً إذ يجعلون إمالة الألف إجراءً مستقلاً عن إمالة الفتح نحو الكسر، فهاهو ابن الجزري يعرف الإمالة بقوله " والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. "5 وإلى مثل ذلك يذهب صاحب الإتحاف " الإمالة أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. "6 على أن الفرق بينهما من ناحية الخصائص الصوتية، لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية، فالألف فتحة طويلة، والياء كسرة طويلة.

¹ ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1358هـ/1939م، ص4/220.

² ينظر: حاشية الصبان على الأشموني، ص4/220.

³ ينظر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى الرابع هجر، ص52.

⁴ الكشف، ص1/168.

⁵ النشر في القراءات العشر، ص2/24.

⁶ الإتحاف، ص1/74.

والإمالة ظاهرة صوتية شائعة في القراءات القرآنية، وقد جاءت بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قد أمال في بعض كلامه فلما سُئل: أتميل والإمالة ليست لغة قريش، أجاب أنها لغة الأخوال في بني سعد.¹

فالإمالة أو التفيخيم من أظهر الصور اللهجية التي تعكس أثر البيئة الجغرافية والبيئة الاجتماعية في النشاط اللغوي، فمثل هاتين الظاهرتين الصوتيتين، هو الذي يحدد مجال الاستعمال اللغوي، ويبين بيئته وحدوده الجغرافية المعينة، وانتماءه الاجتماعي الخاص، ويفسر لماذا يميل بعض الناطقين إلى سهولة اللفظ فيميل أو يميل إلى المتانة.²

يقول سيبويه: "واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه...، فإذا رأيت أعرابيا كذلك فلا تريئه خلط في لغته ولكن هذا من أمرهم."³

والإمالة هي ممّا نزل به القرآن الكريم،⁴ وإن لم تكن قاعدة من القواعد الملزمة لأي قارئ من قراء الذكر الحكيم، لأنه في موقع المختار بين استعمال قراءة الإمالة وعدمه وإذا ثبت له الاختيار أصبح استعمال الإمالة أو تركها، قرارا يتخذه القارئ.⁵ وكل ذلك من باب التيسير على الأمة في تلاوتها للذكر الحكيم.

¹ ينظر: الاتقان، ص 91/1.

² الكتاب، ص 125/4.

³ ينظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، خدمه وعني به: عبد الحليم بن محمد قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 1424هـ/2003م، ص96.

⁴ هادي نهر، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429هـ/2008، ص89.

⁵ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص303.

على أن الإمالة في حقيقتها ليست إلا صورة من صور نطق الألف أو صورة من صور نطق الفتحة، ولا تحمل آية قيمة فونيمية خاصّة بها¹، وإنما يؤتى بها لتحقيق التجانس أثناء النطق ولذا عدّها ابن جني ضرباً من ضروب الإدغام الأصغر، يقول: "وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك وهو ضروب، فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصّوت من الصّوت، وذلك نحو عالم وكاتب، وتسعى وقضى واستقضى، ألا تُراك قرّبت فتحة العين من عالم نحو كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء."²

"فالغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل،"³ والدليل على أنهم قصدوا بالإمالة التناسب الذي ذكرناه، أنّنا نجدهم فعلوا مثل هذا في اجتماع الصاد والواو، واجتماع السين والدادل.⁴

ففي تقريب الياء من الألف تقريب مخرجي يخفف عبء بعد المسافة بين مخرج الألف ومنها الفتحة، عن مخرج الكسرة ومنها الياء.

فعلة الإمالة إذن "أن الألف والياء وإن تقاربا في الوصف، قد تباينا من حيث أن الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم فقاربوا بينهما بأن نحوا بالألف نحو الياء،.... ولا يمكن أن ينحى بالألف نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب."⁵

على أنه متى أميلت الألف فلا بد من إمالة الفتحة التي قبلها، فيكون ذلك مبدأ الإمالة في الفتحة، وتتبعها الألف على النحو الذي نشأت عليه، فتحصل الإمالة في الألف بحكم الانجرار

¹ المطليبي، غالب فاضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984، ص 163.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، ص 141/2.

³ شرح الفصل، ص 54/9.

⁴ ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ ينظر: همع الهوامع، ص 200/2.

والتبع للفتحة، والأصل في هذا أن أحرف العلة الثلاثة فروع عن الحركات الثلاث، وناشئة عنهن، والحركات هي أمهات الأحرف الثلاثة وأصولهن.¹

فالغاية من الإمالة إنما هي تحقيق سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل.²

واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم، فإذا أخذنا في الصعود نحو الحنك الأعلى، بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه الإنسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة طويلة كانت أوقصيرة، فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر لمرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة.³

على أن علماء العربية، قد وضعوا لهذه الظاهرة الصوتية الاختيارية، ضوابط محصورة أشهرها ستة وهي:

- كسرة تكون قبل الألف وبعدها وياء قبلها.
- انقلاب الألف عن الياء.
- تشبيه الألف بالألف المنقلبة عن الياء.
- كسرة تعرض في بعض الأحوال.
- على أن لا يمنع من ذلك مانع.⁴

¹ المالكي، أبو محمد (ت705هـ)، شرح كتاب التيسير للداني في الفراءات، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424، 2003، 1، ص475.

² ينظر: النشر، ص28/2، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص259/1.

³ ينظر: النشر، ص24/2.

⁴ ينظر: الكتاب، ص121/04.

" فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابد، وعالم ومساجد، ومفاتيح، وعذافر وهابيل، " وكذلك إن كان بينها وبين الألف حرفان، الأول الساكن، لأن الساكن ليس بحاجز قوي ... وذلك قولهم سربال وشملاي وعماد وكلاب.¹"

ومن أسباب الإمالة، كذلك الإمالة للإمالة، " وقال ناس رأي عمادا، فأمالوا للإمالة، كما أمالوا للكسرة.² " كما أن ابن جني ذكر هذه الأسباب وعبارته في ذلك " والأسباب التي تجوز لها الإمالة ستة وهي : الكسرة، والياء، وأن تكون الألف منقلبة عن الياء، أو تكون بمنزلة المنقلبة عن الياء، أو لأن الحرف الذي قبل الألف قد ينكسر على حال، أو إمالة للإمالة.³"

على أن صاحب الكشف يحصر لنا أسباب الإمالة في محاور ثلاثة كبرى، يقول " اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث: وهي الكسرة، وما أميل ليدل على أصله، والإمالة للإمالة.⁴"

ولخصها الدارسون المحدثون، انطلاقاً من كلام العرب، ومما قرره علماء العربية في ما يلي:

- الإمالة لأجل الكسرة السابقة.
- الإمالة لأجل الياء السابقة.
- الإمالة لأجل الكسرة المتأخرة.
- الإمالة لأجل الياء المتأخرة.
- الإمالة لأجل الكسرة المقدرية.
- الإمالة لأجل الياء المقدرية.⁵
- وفي دراسات أخرى حصرت أسباب الإمالة فيما يلي:

¹ ينظر: الكتاب، ص 117/4.

² نفسه، ص 123/4.

³ ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللّمع في العربية، تح: سميح أبو معز، دار مجدلاوي، عمان، 1988م، ص 71.

⁴ ينظر: القيسي، أبو محمد المكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: عبد

الرحيم الطرهوري، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007، ص 177/1.

⁵ الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، ص 114.

- الإمالة لأجل الكسرة العارضة.
- الإمالة لأجل الياء العارضة.
- الإمالة لأجل الإمالة.
- الإمالة لأجل الشبه.
- الإمالة لكثرة الاستعمال .
- الإمالة للفرق بين الاسم والفعل.

فللإمالة إذن علل تضبط تواجدها في التشكيل الصوتي للغة، فالإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب التي ذكرت، فإن فقدت تلك الأسباب لزم الفتح وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة، فعلى هذا " فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها، ولا يصح أن يقال كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها، فاستدللنا باطراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة."¹

على أن الظاهر أن من أبرز عللها تواجد الكسر في الكلمة ما يستدعي تيسير عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي.

فمن ذلك الكسرة التي تقع بعد الألف على الراء والكسرة، كسرة إعراب نحو (النار، النهار)* وشبهه، فما بعد الألف راء مكسورة، أماله أبو عمرو وأبو عمرو الدُّوري، وعلّة من أماله، أنه لما وقعت الكسرة بعد الألف، قرّبت الألف نحو الياء لتقرب من لفظ الكسر، لأن الياء من الكسر، ولم يكن ذلك حتى قرّبت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسر، فحسُن ذلك ليعمل اللسان عملا واحدا مستقلا، فذلك أخفُّ من أن يعمل متصعّدا بالفتحة والألف ثم يهبط

¹ شرح كتاب التيسير للداني ، ص476.

* من الآيات (49)، (164)، على الترتيب من سورة البقرة.

متسفلًا لكسر الراء. وهو مع الراء أحسن، لأن الكسرة عليها قوية كأنها كسرتان، فقويت الإمالة لذلك مع الراء لأنها حرف تكرير، الحركة عليها مقام حركتين.¹

وعلة من قرأه بين اللفظين أنه توسّط الأمر، فلم يُم، لئلا يخرج الحرف عن أصله، ولم يفتح لقوة الكسرة في الراء، فقرأ ذلك بين اللفظين، أي بين الفتح والإمالة، وعلة من فتح أنه أتى به على الأصل، ولم يستثقل التسفل بعد التصعد، وإنما الذي يثقل في اللفظ هو مثل التصعد بعد التسفل نحو إمالة (زاغ).²

ومنه قراءة أبو عمرو ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾³ (أبصارهم) مماله، ونحوه إذا كان في موضع الجرّ، نحو القنطار والدينار والأبرار والأسرار والفجار والنار، وذلك لأن الكسرة في آخر الاسم منخفضة والألف مستعلية، فأمال أول الكلمة ليكون كآخرها.⁴

ومن هذا الباب ما تفرّد بإمالاته أبو عمرو الدوري عن الكسائي، وليست الكسرة فيه إعرابا على الراء، بل هي بناء، وذلك قوله ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾⁵، ﴿جَبَّارِينَ﴾⁶.

ومن أبرز شواهد هذا النوع من الإمالة ما جاء به في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ

بِالْكَافِرِينَ﴾⁷. "قرأ أبو عمرو والكسائي في رواية أبي عمر (الكافرين) بالإمالة في وضع الجر

¹ ينظر: المكي القيسي، أبو محمد بن أبي طالب ت437هـ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 170/1-171.

² نفسه، الصفحة نفسها.

³ سورة البقرة، من الآية 07.

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 60/1.

⁵ سورة آل عمران الآية 52، وسورة الصف، الآية 14.

⁶ سورة المائدة، الآية 22، والشعراء، الآية 120.

⁷ سورة البقرة، الآية 19.

والنصب، وقرأ الباقون بالتفخيم فمن فتح فعلى أصل الكلمة، ومن أمال قال: إنما أملت الألف لاجتماع أربع كسرات، كسر الفاء والراء، والياء تنوب عن كسرتين، فلما اجتمعت في الكلمة أربع كسرات جذبن الألف إليهن بقوتهن فأملنها".¹

فصوات الصيغة كلها كسرة، فيصبح الانتقال من الكسر إلى الفتح ثم العودة إلى الكسر أمراً مستثقلاً، ويتطلب الكثير من الجهد، لذلك تصبح إمالة الألف وهو صائت طويل، الحلّ الأمثل لخلق المناسبة في الصّوت والتخلّص من الثقل.

ومما أميل لأجل الكسرة ولا راء فيه ﴿ءَاذَانِهِمْ﴾²، ﴿ءَاذَانِنَا﴾³، ﴿طُعَيْنَهُمْ﴾⁴، ومما فيه

أيضاً راء: ﴿وَسَارِعُوا﴾⁵، ﴿نُسَارِعُ﴾⁶، ﴿وَيُسْرِعُونَ﴾⁷، ﴿بَارِكُكُمْ﴾⁸

وهذه الأحرف تفرّد بإمالتها أبو عمرو الدُّوري عن الكسائي، وأمّال ذلك كله لوقوع الكسرة على الراء بعد الألف زائدة، وأجرى كسرة البناء مجرى كسرة الإعراب، والإمالة مع كسرة البناء أقوى، لأنها كسرة لازمة لا تتغير، وكسرة الإعراب لا تلزم، إلا في حالة الخفض، فهي أضعف.⁹

ومن ذلك ما تفرّد به ابن ذكوان من إمالة (المحراب) إذا كان محفوظاً، وذلك في آل عمران ومريم، أمالهما للكسرة التي بعد الألف، وهو ضعيف من وجهين: أحدهما أن الراء إذا انفتحت قبل الألف تمنع الإمالة، والثاني أن الكسرة إعراب غير لازمة، لكن تتقوى إمالة

¹ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 60/01.

² سورة البقرة، الآية 19.

³ سورة فصلت، الآية 05.

⁴ سورة البقرة، الآية 15.

⁵ سورة آل عمران، الآية 133.

⁶ سورة المؤمنون، الآية 56.

⁷ سورة آل عمران، الآية 114.

⁸ سورة البقرة، الآية 54.

⁹ ينظر: الكشف، ص 171/1.

(الخراب) قليلاً للكسرة التي على الميم، وللكسرة على الباء، وكلاهما يوجب الإمالة، فلماً اجتمعا قويت الإمالة بعض القوة.¹

ومن الإتيان بالإمالة لأجل الكسرة كذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾² فمن

كسر الزاي فقال: (زادهم)، فإنها من (زدت) أولها مكسور، فناس من العرب، يميلون ما كان من هذا النحو، وهم بعض أهل الحجاز.³

وقراءة الكسرة هي قراءة همزة وابن عامر برواية ابن ذكوان⁴ فعين الفعل في كلمة (زادهم) مكسورة في أصلها، فإذا ردها المتكلم إلى نفسه كانت ألفاً مكسورة نحو زاد، زدت.

ومن ذلك ما تكررت فيه الراء، نحو ((الأشرار، الأبرار))، إذا كان محفوظاً، قرأه الكسائي وأبو عمرو بالإمالة، للكسرة التي بعد الألف، وقوي ذلك لأن الكسرة على الراء أقوى منها على غيرها، للتكرير الذي في الراء، وانفتاح الراء قبل الألف يضعف الإمالة فيه، لكن لما أوجبت إمالة الألف أن ينحى بفتحة الراء إلى الكسر، حسن قليلاً الإمالة فيه.⁵

أما ما أميل لتدل الإمالة على أصله، فعلى هذه العلة تجري أكثر الإمالات لذا هي كثيرة الورود في القرآن المدني، وشكلها، أن تكون الألف أصلها الياء، أو تكون زائدة رابعة وأكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء، أو تكون الألف للتأنيث، فتجب الإمالة لتدل على أصل

¹ نفسه، ص172/1.

² سورة البقرة، الآية 10.

³ الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المحاشي معاني القرآن، دراسة وتحقيق: محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص164. وفي البحر المحيط، الأندلسي، أبي حيان محمد بن يوسف، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1413هـ/1992م: نسب الإمالة إلى تميم، ص59/1.

⁴ ينظر: إعراب القراءات، لابن خالويه، ص65/1، والحجة ص239، والكشف، ص174/1.

⁵ الكشف، ص172/1.

الألف في حكم ما أصله الياء وذلك باب واسع، فآتي أصلها الياء نحو إمالة حمزة والكسائي لقوله ﴿وَتَعَلَىٰ﴾¹، وفي ﴿أَهْدَىٰ﴾²، ﴿أَهْوَىٰ﴾³.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾⁴.

قرأه نافع وابن عامر بفتح التاء، مشددة السين، وقراءة حمزة والكسائي كذلك، إلا أنهما خففا السين وأمالا، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين،⁵ فمتى كانت الألف أصلها ياء، أو تكون زائدة رابعة أو أكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله ياء، أو تكون الألف للتأنيث،⁶ فتجب الإمالة لتدلّ على أصل الألف أو على أن الألف في حكم ما أصله الياء أو زائدة، وذلك باب واسع، فآتي أصلها الياء نحو إمالة حمزة والكسائي من باب الأفعال: ﴿سَعَىٰ، وَوَصَّىٰ، تُوَفِّيٰ، أَصْطَفَىٰ، أَسْتَوَىٰ، أَسْتَسْقَىٰ﴾⁷، ومن الأسماء ﴿أَهْدَىٰ،

﴿أَهْوَىٰ﴾⁸.

¹ سورة الأنعام، الآية 100.

² سورة البقرة، الآية 196.

³ سورة النساء، الآية 135.

⁴ سورة النساء، الآية 42.

⁵ ينظر: ابن بادش، الإقناع ص 630/1.

⁶ ينظر: نفسه، ص 285/1.

⁷ الآيات على الترتيب من سورة البقرة (132، 205، 132، 281، 132، 29، 60).

⁸ الآيتين 196 من سورة البقرة، و135 من سورة النساء.

ومنه في سورة الأحزاب، قراءة حمزة والكسائي وهشام (إنه) بالإمالة في قوله تعالى ﴿نَنْظِرِينَ إِنَّهُ﴾¹، وعلة ذلك أنه من أني يأتي إذا انتهى نضجه وبلوغ غايته،² فالألف منقلبة عن الياء، يدل على ذلك أنهم قالوا في المصدر: إني، وإنا، مثل حسي وحسًا.³

ومنه كذلك الإمالة في قراءة أبي عمرو وعن الكسائي (كمشكوة) مُمالا من قوله تعالى: ﴿كَمْشَكْوَةٍ فِيهَا﴾⁴، فالألف في (مشكاة) لا تخلو أن تكون منقلبة من الياء أو من الواو، وعن أيهما كان الانقلاب لا تمتنع إمالة الألف، لأنها إذا تثبتت انقلبت ياءً.⁵

ومن أوضح صور الإمالة للدلالة على أصله في القرآن الكريم، ما جاءت به قراءة حمزة والكسائي بإمالة ذوات الياء، نحو (الهدى والحِمى، والدُّنْيَا والغُزَى) مثل قوله تعالى: ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾⁶، يقرأ بالإمالة والتفخيم، وبينهما، وكذلك ما ضارعه من ذوات الياء اسما كان أو فعلا، فمن فحَم فالحجة له أن أتى بالكلام على أصل ما وُضع له، والحجة لمن أمال أنه قرَّب الحرف المستعلي من الياء ليعمل لسانه بالنطق من موضع واحد.⁷

كذلك من هذا القبيل من يأتي للدلالة على أن أصل ألفه الثاني واو، بحيث يرجع إلى الياء في الرباعي نحو ﴿زَكَى﴾⁸، ﴿يَرْضَى﴾⁹.

¹ سورة الأحزاب من الآية 53.

² إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 205.

³ الحجة للفارسي، ص 479.

⁴ سورة النور، ص 35.

⁵ الفارسي، الحجة، ص 322.

⁶ سورة البقرة، الآية 16.

⁷ ينظر: ابن خالويه، الحجة، ص 71/1.

⁸ سورة النور، الآية 21.

⁹ النساء، الآية 108.

كذلك تمال الألف الزائدة، التي تجري على حكم الأصليّة، نحو (كسالى، ويتامى، وحوايا)، وشبهه أماله أيضا حمزة والكسائي، وأمال الكسائي وحده من هذا الباب ﴿خَطَيْتَكُمْ﴾¹، ﴿مَرَضَاتِي﴾²، ﴿مَرَضَاتٍ﴾³، ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁴.

"ومن ذلك ((التوراة)) حيث وقعت، أصل ألفها الياء، لأنه من ((وري الزند))، وأصلها ((وَوْرِيَه)) على وزن ((فَوَعَلَه))، فأبدلوا من الواو الأولى تاء كما فعلوا في ((تجاه، وتقاة)) وهما من الوجه والوقاية، ثم لما تحركت الياء بالفتح وقبلها فتحة، قلبت ألفا فصارت توراة، التاء بدل من واو، والألف بدل من الياء. فحسنت إمالته لذلك".⁵

وقد قرأ أبو عمرو ما كان من ذلك في رؤوس الآي نحو آيات "طه" و"النجم إذا هوى" و"والليل إذا يغشى"، بين بين فمن أضحع وأمال فلأن يعمل لسانه في موضع واحد، إذ كانت الإمالة تقرب من الياء.⁶

وعموما فإن ما يعزز تواجد الإمالة في الكلام، تواجد الكسرة في الكلام، ذلك أنه كلما كثرت الكسرات والياءات، كلما كان ذلك أدعى للإمالة: "واعلم أنه كلما كثرت الكسرات كان أدعى للإمالة لقوة سببها، ومتى بعدت عن الألف ضعفت، لأن للقرب من التأثير ما ليس للبعد، ولاجتماع الأسباب حكم ليس لانفرادها، فلذا الإمالة في ((جلباب)) أقوى من إمالة (شمال)، لأن الكسرتين أقوى من الكسرة الواحدة، وإمالة (عماد) أقوى من إمالة (أكلت عنبا) لقوة الحاجز بالحركة، وإمالة (أكلت عنبا) أقوى من إمالة (درهمان)، وبين الألف ثلاثة

¹ سورة البقرة، الآية 58

² سورة الممتحنة، الآية 01

³ سورة البقرة، الآية 207

⁴ سورة آل عمران، الآية 102

⁵ الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، ص 111.

⁶ إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 71/1.

أحرف، فلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف فالإمالة له ألزم والنصب فيه جائز، وكلما كثرت الكسرات والياءات كانت الإمالة فيه أحسن من النصب.¹

فنشاط الإمالة إذن، مرتبط بمدى قوة صائت الكسر وهيمنته على سياق الكلام، فعلى الرغم من أن العلماء قرروا عدم جواز إمالة الألف عند مجاورتها لأصوات الاستعلاء، وهي القاف، الغين والصاد، والضاد والطاء والحاء والحاء.²

"وعلة ذلك أن هذه الأصوات مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت منع هذه الأصوات المستعلية غلبت عليها، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها، فلما كانت الأصوات المستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم. كما أن الصوتين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فيدغمونه".³

فالقصد من أن الألف يستعلي، أن الفراغ بين الحنك واللسان الذي يستوي في قاع الفم، حيث تُنطق الألف يكون كبيراً بما يكفي ليمنح هذا الصوت رنيناً عالياً يشبه رنين الأصوات المستعلية؛ إلا أن اقتران الصائت بالصامت، قد يغيّر من التركيبة الصوتية للصوت الصامت بفعل قوة الصائت؛ فالاستعلاء الخالص في الضاد وأخواتها من الأصوات والاستعلاء قد يضعف إلى حدّ تمكن منه إمالة الألف حين مجاورتها لهذه الأصوات.

دليل ذلك ما ورد من إمالة ﴿ضِعْفًا...﴾⁴ من قوله تعالى ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ

تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وتخرج ذلك، أن ما كان على فعال، وكان أوله حرفاً مستعلياً مكسوراً نحو: ضعافٍ وقبابٍ، وخبثٍ

¹ شرح المفصل، ص 56/9.

² ينظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تح: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دط، دت، ص 176.

³ ينظر سيبويه، الكتاب، ص 4/129.

⁴ سورة النساء، الآية 9، وهي قراءة حمزة وحده. ينظر الفارسي، الحجة، ص 3/133.

وغلاب، يحسن فيه الإمالة، وذلك أنه قد تصعد بالحرف المستعلي ثم انحدر بالكسر فيُستحب أن لا يتصعد بالتفخيم بعد التصويب بالكسر، فيجعل الصوت على طريقة واحدة.¹ ويعمل اللسان عملاً واحداً في المتسفل.²

وأحسن من هذا تعليل المكي لهذه الإمالة بقوله: "اعلم أن الإمالة فيه حسنة مع حرف الاستعلاء في (ضعاف)، لأن الذي تمتنع معه الإمالة لتصعده مكسور، وهو الضاد، فلم يعتد به للكسرة التي هي عليه، لأنها توجب الإمالة، لأنه لما انكسر تسفل عن استعلاءه وتصعده بالكسر الذي هو من الياء، فضعف تصعده عند منع الإمالة فجازت الإمالة للكسرة، وحسن ذلك، لأنهم يميلون مع حرف الاستعلاء.³

فالانتقال من الكسر إلى الفتح، ثم العودة إلى الكسر أمر مستثقل، ويتطلب الكثير من الجهد، لذلك تصبح إمالة الألف في هذا المقام حسنة باعتبارها الحل الأمثل لخلق المناسبة في الصوت والتخلص من الثقل.

فكثافة تواجد الكسر في الكلام إذن، تقوي من حضور الإمالة في الأداء، وعلى هذا الأساس تظهر الإمالة وفق درجات مختلفة، "بحسب قرب الموضع المال من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها."⁴

لذا قسم القراء الإمالة إلى نوعين "إمالة شديدة ومعناه أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً، ويقال لها المحضة والإضجاع والبطح، وربما قيل لها الكسر.

وإمالة متوسطة: وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء قليلاً وهي بين اللفظين كما يقال لها أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين.⁵

¹ أبو علي، الحجة، ص 134/3.

² ينظر: الكشف، ص 173/1.

³ المكي، الكشف، ص 377/1.

⁴ شرح المفصل، ص 54/9.

⁵ ينظر: النشر، ص 24/2.

والإمالة المحضة هي المرادة عند الإطلاق، ويجتنب فيها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه.

ويشرح الداني ماهية الإمالة ودرجاتها في نص طويل إذ يقول " ... فإذا تقرّر هذا، فاعلم أن الياء والواو فيما أريده الآن طرفاً نقيض، وذلك لتصعد الصوت بالضم، وانجراره بالكسرة والياء، فتبقى الفتحة والألف واسطة بينهما، ثم إن الفتحة يعرض لها أن ينطق بها نوعاً من النطق، فيشبه لفظها لفظ الكسر، فيسمى ذلك إمالة في الفتحة، فإن كان بعدها ألف تبع لفظها لفظ الفتحة في ذلك النحو من التكيف، إذ الألف ناشئة عن الفتحة - كما تقدم - فتصير الألف مشبهة للياء، ثم هذا الشبه الحاصل بين الفتحة والكسرة، وبين الألف والياء إن كان قوياً، سمي إمالة محضة، وإن كان ضعيفاً سمي إمالة بين بين، وإمالة بين اللفظين، أعني بين لفظ الفتح الخالص والكسر الخالص، لأن هذا المعنى حاصل في الإمالة المحضة، وقد يسمون الإمالة: الكسر، والبطح، والإضجاع، كما يسمون الفتح: النصب، وهذا كله من غير أن ينتهي إلى قلب الفتحة كسرة، والألف ياء." ¹

هذه هي أهم أسباب الإمالة وأظهر أنواعها التي ذكرها اللغويون، وتبقى الإمالة في أصلها ظاهرة لهجية جيء بها طلباً للخفة، يقول ابن الجزري: "الإمالة لغة قبائل العرب، دعاهم إلى الذهاب إليها التماس الخفة." ²

ومن أجل تحقيق هذه الخفة جاءت السّعة في حرية الاختيار في تلاوة الذكر الحكيم بين الإمالة أو الفتح، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

¹ المالكي، أبو محمد (ت705هـ)، شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424، 1، 2003، ص475.

² منجد المقرئين ومرشد الضالين، ص96.

أَحْسَابٍ ﴿١﴾، ففي (جاءهم)، لك الفتح والتفخيم، ولك الإمالة نحو الكسر،... فأما الفتح فلغة أهل الحجاز، وهي اللغة العليا القدمى، وأما (جاءهم) بالكسر فلغة تميم وكثير من أهل العرب، وهي جيدة فصيحة أيضا، فالذي يميل إلى الكسر يدل على أن الفعل من ذوات الياء، والذي يفتح فلأن الياء قد انقلبت صورتها إلى الألف، وفي الألف حظها من الفتح، وكل مصيب.²

ومثله في قوله تعالى ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾³،

(وحساب) إن شئت فتحت الألف وألزمتهما جهة الفتح، وإن شئت أملتة إلى الكسر، لانكسار الحاء، وذلك كثير في لغة العرب.⁴

فالإمالة تنسب إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة العربية وشرقها وأشهرها تميم وأسد، وطيب وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب.⁵ ومعلوم أن هذه القبائل تشكل منطقة البدو في الخريطة العربية، "والقبائل البدوية معروف عنها ميلها إلى عدم وضوح الأصوات، والخلط بينها، ولا ريب أن الإمالة تخلق بين الصوتيين، فهي تجعل الفتحة قريبة من الكسرة، والألف قريبة من الياء، وهكذا تقرب الأصوات، أو تتجانس، ويحدث التناسب بينها."⁶

"فما هي في حقيقتها إلا نوع من الانسجام الصوتي بين الحركات، يؤدي إلى تغير في الألف".⁷ وهذا يساعد على سرعة النطق، وبذلك عدم بذل مجهود عضلي كبير، وهذه خاصية بدوية.

¹ سورة آل عمران ، الآية 19.

² ينظر : الزجاج ، معاني القرآن ، ص 388/1.

³ سورة آل عمران ، الآية 37.

⁴ الزجاج ، معاني القرآن ، ص 407/1.

⁵ أنيس ابراهيم ، في اللهجات العربية ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3 ، ص 60.

⁶ هلال ، عبد الغفار حامد ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998 ، ص 143.

⁷ النعيمي ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ص 201.

أما الفتح ، فإنه يؤدي إلى فصل الأصوات، وإعطاء كل منها حقه من النطق ، وهذا يحتاج إلى جهد عضلي كبير، وهو من صفات المتحضرين، الذين يميلون إلى الأناة، وعدم السرعة في النطق، وحياتهم المستقرة تدعوهم إلى بذل مجهود أكبر، لإبراز الأصوات في صورة واضحة متناسقة.¹

وهي في القرآن الكريم ظاهرة أدائية، اختيارية، تحقق مبدأ السهول والتيسر كمبدأ في تلاوة الذكر والحكيم، وكقانون صوتي اختارته العربية لنسيجها اللغوي .

¹ هلال، عبد الغفار حامد ، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص144.

ثانياً : الظواهر التَّخالفِيَّة :

"إن الوجه الآخر لتأثر الأصوات فيما بينها هو ما يسمى بظاهرة المخالفة، وهي تعني تغير أحد الصوتين المثليين في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف".¹ "وهي تجري بين الحروف التي تحتاج إلى جهد عضلي، وفي غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا في النادر من الأحيان".²

"ومصطلح المخالفة من المصطلحات اللغوية التي دخلت إلى الدراسات اللغوية الحديثة ترجمة لمصطلح الغربي dissimilation، وهي تعني إزالة أو سلب أو إزاحة المماثلة، وذلك بإضافة السابقة dis، إلى الكلمة، وهذه السابقة هي السَّلْب".³

وتتخذ المخالفة عدّة أشكال، وهي تشمل الصوامت والصوائت على حدّ سواء، ومما ورد منها في القرآن المدني ما يلي:

1- المخالفة بالحذف:

تميل اللغة العربية للتخلص من توالي المقاطع المتماثلة، فتحذف واحداً منها، وهذا ما يسمّيه اللغويون العرب بكرهة توالي الأمثال؛ ويقصد بالمقاطع المتماثلة هنا، ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة، أو المتقاربة في المخرج، ويحدث ذلك في أوّل الكلمة، أو في آخرها.⁴

كما أن العربية تميل كذلك أحياناً إلى التخلّص من توالي الأصوات المتماثلة، سواء كانت حركات أم أصوات صامتة، وإن لم تكن المقاطع متماثلة، والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق، يقول بروكلمان: "إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنّه يكفي بواحد منهما، بسبب الارتباط الذهني بينهما".⁵

¹ هريدي، أحمد عبد المجيد، ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص15

² هلال، عبد الغفار حامد، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، ط2، 1416هـ/1996، ص242.

³ ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي، ص17.

⁴ رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م، ص27.

⁵ نفسه، ص27. نقلاً عن: فقه اللغات السامية، ص79.

ويعدّ برجشتراسر هذه الظاهرة من الترخيم، فيقول: "ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف، وهو حذف أحد مقطعين متتالين، أولهما حرفان مثلاً أو شبهان."¹

ويُلخّص الإمام جلال الدين السيوطي حالات المخالفة، وهي مطابقة لما اصطلح عليه بكرهية اجتماع الأمثال بقوله "اجتماع الأمثال مكروه، ولذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل، فمن الأول قالوا في **دهدت الحجر دهديت**، قلبوا الهاء الأخيرة ياء، كراهة اجتماع الأمثال ...، ومن الثاني حذفت أحد مثلي **ظلت، ومست**، وأحسست، فقالوا **ظلت ومست وأحست**.. ومن الثالث عدم إدخال النون الخفيفة على الفعل الذي اتصل به ضمير جمع المؤنث، لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين، وهو ثقيل فرفضوه لذلك"²

ومن إشارات اللغويين القدامى، ما ذكره ابن قتيبة في **أدب الكاتب**، بقوله: "قال أبو محمد: **الكتاب** يزيدون في كتابة الحرف ما ليس في وزنه، ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشتبه به، ويُسقطون من الحرف ما هو في وزنه، استخفافاً واستغناءً بما أبقى عما ألقى، إذ كان في الكلام دليل على ما يحذفون من الكلمة، والعرب كذلك يفعلون ويحذفون من اللفظة والكلمة نحو قولهم **((لم يك))** وهم يريدون **((لم يكن))** و**((لم أبل))** وهم يريدون **((لم أبال))**، ويختزلون من الكلام ما لم يتمّ الكلام على حقيقته إلا به استخفافاً وإيجازاً."³

ومما ورد منه في كتاب الله عزّ وجلّ حذف النون في قوله تعالى ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^ط،⁴ فحذف⁵ نون (يكن) للتخفيف ولأنّها لسكونها تهيات للحذف، وحسنه وقوع حركة بعدها والحركة ثقيلة، فلذلك شاع حذف هذه النون في كلامهم كقوله: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾⁶.

¹ ينظر: التطور النحوي، ص 70.

² ينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ص 18/1.

³ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، حققه وضبط غريبه، وشرح أبياته والمهم من مفرداته، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، دط، دت، ص 140.

⁴ سورة التوبة، من الآية 74

⁵ ينظر: التحرير والتنوير، ص 271/10.

⁶ سورة النساء، من الآية 40

ومن أمثلة حذف الصامت ما يقع في صيغة (تفعّل)، (تفاعل)، (تفعلل) مع تاء المضارعة،¹ ذلك "أن نظام اللغة يقرر أن التاء حرف من حروف المضارعة وأنّ التفاعل يبدأ بتاء زائدة هي تاء التفاعل، ومعنى ذلك أن التفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتاء، فقد توالى في الفعل تاءان ملحقان بأوله، هما تاء المضارعة، وتاء التفاعل، وعندئذٍ تظهر مطالب الاستعمال، الذي يكره توالي الأمثال، فتجعل حذف الثانية على خير الصياغتين".²

ومنه قراءة حمزة والكسائي ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمْ﴾³، لو تسوى، والأصل لو تتسوى فحذفت التاء التي أدغمها من قال: (لو تتسوى)، لأنها كما اعتلت بالإدغام اعتلت بالحذف.⁴ ومنه قراءة ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾⁵، أصل (تلقونه) تلتقونه بتاءين حذف إحداهما.⁶ ومنه في قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾⁷، وأصله: (تولوا) بتاءين حذف منها تاء الخطاب للتخفيف، وهو حذف كثير في الاستعمال.⁸

كذلك حذفت التاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَّمُوا أَلْحَبِيثَ مِنْهُ﴾⁹، فأصل تيمموا، (تيمموا)، حذفت تاء المضارعة للمضارع (تيمم)، بمعنى قصد وعمد.¹⁰ وقرأ الجمهور (تيمموا) بتاء واحدة خفيفة وصللاً وامتداداً، أصله تيمموا، وقراءة البزري عن ابن كثير بتشديد التاء في الوصل على اعتبار الإدغام.¹¹

¹ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص 72.

² تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، ص 298.

³ سورة النساء، الآية 42.

⁴ يُنظر: الأزهرى، معاني القراءات، ص 309/1.

⁵ سورة النور، من الآية 15.

⁶ يُنظر: التحرير والتنوير، ص 177/18.

⁷ سور التوبة، الآية 129.

⁸ التحرير والتنوير، ص 280/18.

⁹ سورة البقرة، الآية 267.

¹⁰ الفارسي، الحجة، ص 55/3.

¹¹ نفسه، ص 57/3.

ومن حذف إحدى التاءين كذلك ما قرأ به القراء قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾¹، قرأ حمزة وحفص عن عاصم وابن عامر (تقطَّع)، فالأصل إلا أن تتقطَّع، فحذفوا إحدى التاءين.²

وفي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾³، فإنه أراد تتوافهم الملائكة، فحذف إحدى التاءين⁴، وفي قراءة ابن محيصن لقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾⁵، قرأ (توقد) برفع الدال، ردا على الزجاج، أراد: تتوقد، فحذف إحدى التاءين.⁶

على أن المرجح عند العلماء أن الصوت المحذوف هو التاء الثانية، وذلك فيما تم ذكره من الأمثلة، "فحذف التاء الثانية من مثل: تتقلد، تتباعد، تتبختر لاجتماع حرفين من جنس واحد وعدم إمكان الإدغام، وعيئت الثانية لأن الأولى علامة، والعلامة لا تحذف."⁷ وإن كان لا يهَمَّ حسب المحدثين تعيين المحذوف، فالقول بأنه المقطع الأول أو الثاني أمر أتعب اللغويين أنفسهم به ولا طائل من ورائه.⁸

إن التعليل الصوتي لجلِّ صور المخالفة حدده العلماء القدامى بما أسموه الثقل "فبينوا أن ثقل النطق وحده هو المسؤول عن التخلص من أحد المثليين المتتابعين"⁹، وعبارتهم في هذا الشأن صريحة واضحة¹⁰، قال سييويه "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم"¹¹، ويُقصد بالتضعيف

¹ سورة التوبة، الآية 110.

² ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 255/1.

³ سورة النحل، الآية 32.

⁴ الحجة، للفارسي، ص 132/1.

⁵ سورة النور، الآية 35.

⁶ إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 109.

⁷ شرح المراح في التصريف، ص 90.

⁸ يُنظر: بحوث ومقالات في اللغة، ص 32.

⁹ فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004، ص 21.

¹⁰ نفسه، ص 21.

¹¹ الكتاب، ص 467/4.

تكرير العين، وقال الرضى في نفس المعنى: "اعلم أنهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال، إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه."¹

كما اصطلحوا عليه بالكراهية من تتابع صوتين متنافرين، فمما ذكره أبو البركات الأنباري في الإنصاف، حين حديثه عن صور المخالفة بين الهمزتين في (أكرم) وبابه، قوله: "وإنما حذفت إحدى الهمزتين من (أكرم) لأن الأصل فيه (أأكرم) فلما اجتمع فيه همزتان كرهوا اجتماعهما، فحذفوا إحداهما تخفيفاً."²

على أن حذف إحدى المثلين لا يقف عند تاء المضارعة، بل يقع على مواقع أخرى من الكلمة ومن ذلك، في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾³. "قرأ عاصم ونافع بفتح القاف جعلاه من الاستقرار، لا من الوقار، والأصل واقرن براعين، مثل اقرن يا نسوة، واغضضن، فحذف إحدى الراءين تخفيفاً... كأنهم يكرهون اجتماع حرفين، فيحذفون واحداً."⁴ ومن أجل تحقيق المخالفة، قد يقع في الكلام أكثر من عملية صوتية سعياً وراء إلغاء

الثقل والتخفيف، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾⁵، "قرأ ابن كثير في إحدى الروايات (لا يستحي) بياء واحدة، كأنه كره الجمع بينهما، فألقى كسرة الأولى على الحاء وحذف الياء الأولى لسكونها وسكون الثانية، والعرب تقول: استحييت، واستحيت. وقرأ الباقون وابن كثير معهم في سائر الروايات (يستحيي) بياءين وشاهده ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾

نِسَاءَكُمْ^ج ﴿⁶،⁷."

¹ الاسترأبادي، شرح الشافية، ص 248/3.

² الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه الإنتصاف مع الإنصاف، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1428هـ/2007م، ص 12/1.

³ سورة الأحزاب، الآية 33.

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 120.

⁵ سورة البقرة، الآية 26.

⁶ سورة البقرة، الآية 49.

⁷ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 75/1.

ومثله في قوله تعالى ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانِ﴾،¹ "قرأ حمزة: (ويتنجون) بغير ألف على يفتعلون، والأصل ينتجئون، لأن لام الفعل ياء، من (ناجيت) فاستثقلوا الضمة على الياء فحركوها وحذفت لسكونها وسكون الواو."²

ولشدة شيوع هذه الظاهرة في العربية، فقد جوّزها الكسائي في كل موضع سكت فيه لام الفعل سكوناً لا يناله الصّائت.³

ثم إن من الحذف ما ينال الصوائت، ومن ذلك حذف الياء في نحو قوله تعالى ﴿وَأَحْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا﴾⁴. "قرأ أبو عمرو بياء في الفصل، ووقف بغير ياء، وقرأ الباقون بغير ياء وصلوا ووقفوا، فمن حذف تبع المصحف، واجتزأ بالكسرة عن الياء، ومن أثبتته وصلأ فعلى الأصل، ومن حذف وقفأ اتباعاً للمصحف"⁵.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾⁶.

"قرأ ابن محيصن (لا يُعجزوني) بكسر النون، أراد يُعجزوني فحذف إحدى النونين اختصاراً، وحذف اجتزأ بالكسرة"⁷، "فمن حذفهما اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلاً عليها، وذلك لأنها كالصلة، إذا سكت وهي في آخر الحروف واستثقلت حذفت"⁸، "وذلك تشبيهاً له

¹ سورة المجادلة، الآية 08.

² إعراب القراءات، ص 351.

³ ينظر: ما ذكره الكوفيون في الإدغام، ص 48.

⁴ سورة المائدة، الآية 44.

⁵ إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 144/1.

⁶ سورة الأنفال، الآية 59.

⁷ إعراب القراءات، ص 230/1.

⁸ الفراء، معاني القرآن، ص 200/1.

برؤوس الآي والقوافي، فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء وحذفها جيد بالغ أيضاً مع النونات".¹

فالحذف على حد تفسير القدامى إنما جاء في هذه الآية، حفاظاً على الفاصلة ومراعاة لها. والدراسات الحديثة تعتبر أن ما حدث في هذه القراءات، ليس حذفاً بالمعنى الحقيقي وإنما هو تقصير صائت الكسر الطويل إلى صائت الكسر القصير، وذلك بالتقليل من زمن نطق الياء، مما يؤدي إلى السرعة والسهولة في النطق.

ومن ذلك الحذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾² فقد قرأ بالياء الساكنة أخيراً، وذلك لاستثقال الحركة في حروف اللين".³

فتقصير الصائت في هذه الحالة إنما تم بفعل عامل الجزم، حيث يؤدي ذلك إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة قد تؤثر على زمن أصوات الكلمة كلها، فلا تترى الأعضاء النطقية عند نطق أصوات الكلمة كلها، فيؤدي ذلك إلى تقصير الزمن الذي تستغرقه أصوات الكلمة، وبذلك تتأثر كمية الصائت، فتقل عن وضعها الطبيعي.⁴

وفي ذلك كله إقتصاد في الجهد العضلي .

2- المخالفة بالإبدال:

تنتهج المخالفة سبيلاً آخر لتحقيق وجودها، وهو ما يُعرف بالإبدال، "وذلك أن الكلمة التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، يتغير فيهما أحد الصوتين إلى صائتٍ طويلٍ -

¹ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص 259/1.

² من الآية (10) من سورة آل عمران .

³ ينظر: البحر المحيط 388/2.

⁴ القرالة زيد خليل، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي"، عالم الكتب الحديث، الإربد، الأردن، 2004، ص47.

وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بالصوائت في بعض الأحيان، ولا سيما اللام والنون¹.

"فالمخالفة تجري بين الأصوات التي تحتاج إلى جهدٍ عضلي، وغير ذلك يبقى المثلاث دون تغيير كاللامين والنونين، فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا في النادر من الأحيان"².
وقد ذكر ابن جني أن الناطق بصوتين متماثلين، ينجح في الغالب إلى تعويض أحدهما بصوتٍ أخفّ وأسهل نطقاً، عادة ما ينتمي الصوت المبدل إلى مجموعة المخالفة: الياء والواو والميم واللام والنون والرء، من ذلك قول بعضهم: دهديت بدل دهدهت، فأبدلوا الياء من الهاء³.

ومن هذا السبيل في السور المدنية، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾⁴، قرأ ابن كثير وحده (واللذان)، جعل النون عوضاً من الياء المحذوفة التي كانت في (الذي)⁵.

وأوضح منه ما حدث للفظة (قرن) في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾⁶، فالأصل (اقرن)، فأبدل من العين ياءً كراهية التضعيف. كما أبدل من قيراط ودينار، فيصير لها حركة الحرف المبدل منه، ثم تلقى الحركة على الفاء، فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها، فنقول: (قَرْنَ)⁷.

¹ أنيس، الأصوات اللغوية، ص 212.

² عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص 242.

³ ينظر: ابن جني، المنصف، ص 175/2.

⁴ سورة النساء، الآية 16.

⁵ إعراب القراءات، ص 130/1.

⁶ سورة الأحزاب، الآية 33.

⁷ الفارسي، الحجة، ص 475.

إنّ هذه الظاهرة التي وردت بها قراءات كثيرة للذكر الحكيم إنما يقصد بها التخفيف من شيء يستثقلونه وهو التضعيف، والذين يذهبون إلى هذا التخفيف هم القبائل البادية ذاتها التي تضعّف، يقول السيوطي: "وقد يقال في المذكر (ذانيك و ذينيك)، وفي المؤنث (تانيك وتينيك) على لغة من شدّد النون بإبدال إحدى النونين ياءاً." ¹

والتثقيف موجود في اللفظة أولى (فذانك) لوجود صائت طويل (الألف) قبل صوت مضعّف (النون)، وفي اللفظة الثانية لوجود همزة قبل اللام المشدّد، وهمزة صوت شديد لأنّه صوت انفجاري ².

إنّ اللجوء إلى صائت الياء أثناء عملية المخالفة يعكس حالة السهولة والتسيير التي يمنحها هذا الصائت للدفعة الكلامية، وبالتالي الهروب من نطق تتابع لمتماثلين، ومثل ذلك يقال عن صائت الألف.

فمن قبيل حدوث المخالفة بإبدال الصامت إلى صائت ما حدث للفعل (يتسنّى) في قوله تعالى ﴿فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ﴾ ³، يجوز أن يريد (لم يتسنّن) فتبدل إحدى النونات ألفا فيصير يتسنّى ثم يسقط الألف للجزم. ⁴

وفي قوله تعالى ﴿وَلِيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ كَبِيرًا﴾ ⁵، الأصل هو أمّلك ثم أبدلت ياءاً لأنها أخف. ⁶

وكل هذا قريب مما روته كتب اللغة والنحو من إبدال أحد صوتي التضعيف ياء نحو قولهم: "أمليت وقصّيت أظفاري، ولاريك ولا أفعل، وتسريت وتظنيت ولم يتسن، وتقصّيت

¹ همع الموامع، ص 75/1.

² ينظر: عبد الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1999، ص 180.

³ سورة البقرة، الآية 259.

⁴ إعراب القراءات، ص 95/1.

⁵ سورة البقرة الآية 282.

⁶ الحجة، ص 103/3.

البازي.¹ إذ كره اجتماع الأمثال، ولا طريق لهم إلى الإدغام، فيستريحون إلى قلب الثاني ياء لزيادة الاستتقال.² "و يقال هو الإحاص، ولا تقل إنحاص، وهي الإحانة، ولا تقل إنجانة، ويقال هو الخروب والخرنوب ولا تقل خرنوب."³

وقد حكى بعض اللغويين أن قوما من أهل اليمن يُبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نونا، فيقولون حنظ، يريدون حنظا، وإنحاص وإنجانة، فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل.⁴

"وعادة ما تنسب هذه الظاهرة إلى القبائل البدوية".⁵ على أن الملاحظ في الأمثلة التي سقناها، أنه أوتر فيها مجيء الياء مكان الصامت محلّ الثقل ولعلّ علة ذلك، هو إبقاء المعنى الذي تتضمنه الكلمة قبل حذف الصامت، فلو أُدخِل صامت غير الياء، مكان الصامت المحذوف لأدى ذلك إلى تغيير المعنى، ولو جيء بالواو نصف الصائت لكانت أثقل في أدائها الصوتي من أداء الكلمة بوجود الياء، ولعلّ إحساس العرب بحفة الياء، إذا ما قيس بالواو كان الدافع لاستعمالها، ولهذا فقد كانت الياء شبه صائت هي الصوت الذي يتحاشى العضلتين.⁶ إضافة لما تتميز به هذه الأصوات من سهولة في النطق وكونها لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا لإصدارها .

ثم إن المخالفة تتخذ أشكالا أخرى، من أهمها ما يعرف بظاهرة الهمز وتخفيفه، وتفصيل ذلك مما ورد منه في الشق المدني من الذكر الحكيم ، ما يلي :

¹ المفصل، ص470، و ينظر، الخصائص، ص231/2، المنصف، ص175/2

² ينظر: الاستربادي، شرح الشافية، ص210/3.

³ ابن السكيت (186-244هـ)، إصلاح المنطق، شرح و تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارض، القاهرة ط4، د.ت، ص176.

⁴ ينظر: الإقتضاب في شرح أدب الكتاب، ص271/1، وينظر: القالي أبي علي، الأمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص171/2، وابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكتاب، حققه وضبط غريبه وشرح أبياته والمهم من مفرداته: محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع ، القاهرة ، د.ت، ص281.

⁵ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص180.

⁶ ينظر: زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص93.

3- الهمز وتخفيفه:

تعد الهمزة وظيفة صوتية، وظاهرة طبيعية في اللغات الإنسانية قديما وحديثا، فلكل صوت طبيعته ووظيفته الخاصة، حيث تؤدي الهمزة دورها في النظام الصوتي المحدد لها، وتجري عليها القوانين الصوتية التي تجري على غيرها من الأصوات، من مختلف مظاهر التفاعل الصوتي كالإبدال والقلب والتخفيف والخلاف وغيرها¹.

ثم إن الهمزة خصت من دون أصوات اللغة بتقلبات صوتية عديدة، كان الهدف من ورائها تخفيف ثقل توصف به الهمزة، وهذا الثقل نابع من خصائصها النطقية ثم من الحالات التي تتموقع فيها داخل السياق .

فمن مخرجها توصف الهمزة بأنها حرف شديد مستقل²، وهو بعيد المخرج صعب في اللفظ³.

ومن عبارات القدامى في ذلك قول المبرد: "اعلم أن الهمزة حرفٌ يتباعد مخرجه من مخارج الحروف ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والألف"⁴.

"فمع الهمزة ينطبق الوتران الصوتيان، فيغلقان فتحة الزمار، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا، فيحتبس داخل الحنجرة ثم ينفرجان فينطلق الهواء محدثا صوتا يشبه الانفجار"⁵.

من هنا تفاضل الناس في النطق بالهمزة، على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من ينطقها مغلظة، ومنهم من يشدددها في تلاوته يقصد بذلك تحقيقها، ومنهم من يسهلها، وإن كان التسهيل مقيّدا بالرواية القرآنية⁶.

¹ ينظر: التعليل في الدراسات الصوتية، ص 23.

² ينظر: شرح المفصل، ص 107/9.

³ الكشف، 72/1، سر الصناعة، ص 85/1.

⁴ المبرد، المقتضب، ص 189/1.

⁵ شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، دط، ص 24.

⁶ ينظر: التمهيد في علم التجويد، ص 115.

فإذا ما يَمَمنا شطر المنطوق الحي من كلام العرب، وجدنا تحقيق الهمزة خاصية بدوية، أمّا قبائل التسهيل فهي تلك التي كانت متحضّرة في الحجاز، وبخاصّة قريش في مكّة، والأوس والخزرج في المدينة¹.

"فالهزمة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها فخففها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش."²

هذا إذا ما وقفنا عند الطبيعة المخرجة لهذا الصوت، فإذا ما راعينا البنية التركيبية للكلام الوارد فيه الهمزة واعتمدنا على ما ذكره المحدثون من اختلاف طبيعة الايقاع الصوّتي، وجدنا تعليل التسهيل عند القبائل الحجازية راجعا إلى إثارة هذه القبائل التأليف المقطعي المتتابع الحركات، بحيث تبدو فيه استمرارية انطلاق الهواء بالصوت ووضوحه واتساع مداه. في حين تؤثر القبائل البدوية المقاطع المغلقة، فرارا من تتابع الحركات.³

كما تميل القبائل البدوية إلى التبر وتستحسنه، وتبرز مواطن التبر وتبالغ أحيانا فتهمز غير المهموز كالعالم، الخاتم، المؤقّد، مؤسى وبأز ... الخ⁴، "أمّا اللهجات الحضرية فتميل إلى التخلص من الهمز بطرق مختلفة منها التسهيل والحذف والإبدال."⁵

لقد خففت الهمزة بطرق مختلفة منها: "إلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها في مواضعها، وذلك كلّه لاستثقالهم إيّاها."⁶

"فمن أجل الهروب من الثقل، اختارت الهمزة طريق المخالفة، وذلك وفق القانون الصوّتي الذي ينصّ على أنه في حالة وقوع الصّامت - وبخاصّة الشديد أو الانفجاري-، بين صوتي مدّ،

¹ عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 127 .

² الإسترابادي، شرح الشافية، ص 32/3.

³ ينظر: التعليل في الدراسات الصوتية، ص 31.

⁴ ينظر: شرح المفصل، ص 130/10، وسر الصناعة، ص 90/1.

⁵ التعليل في الدراسات الصوتية، ص 72/1.

⁶ ينظر: الكشف، ص 72/1.

فإنه غالباً ما يضعف أو ينحرف عن مخرجه، أو يتحوّل الى صوت آخر، وهذا ما يعرف بقانون الموقعية بين علّتين.¹

فالمهمزة الواقعة أوّل كلمة، إن كان ما قبلها ساكن صحيح، فإنّك في لغة أهل الحجاز تنقل حركتها إليه وتحذفها نحو قولك: قد اعطى، وقد اعطى، وإن كان الساكن حرف علة فإمّا أن يكون ألفاً فتجعل المهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، وإمّا أن يكون ياءاً أو واوياً فتجعل حركة المهمزة عليها، وتحذف المهمزة، ومنهم من يقلبها إذا كانت مفتوحة مع الياء ياءً ومع الواو واواً، ويدغم أحد حرفي العلة في الآخر: فيقول أبو أيوب: ومنهم من يستثقل بعض الثقل الضمّة والكسرة في الياء والواو فيحذفها...².

ولتفصيل ذلك وفق ما تبنته الدراسات الصوتية ومما ورد في آي الذكر الحكيم في شقه المدني

مايلي:

أ- إبدال المهمزة:

المهمزة بوصفها حرفاً من حروف الإبدال وحروف الزوائد،³ تبدل بأحد الأصوات التي لاتستلزم مجهوداً عضلياً، وهي أصوات المدّ واللين، وهذه الأصوات من أوسع الأصوات مخرجا، وتخرج في لين، ومن غير كلفة، كما أن استعمال هذه الأصوات لا يؤدي إلى تغيير في المعنى.⁴ وقد لاحظ الخليل هذه العلاقة، فوضع المهمزة مع الألف والواو والياء في مجموعة واحدة: (و-ا-ي-ء)⁵، "وربط بين المهمزة والألف في أن المهمزة لا هجاء لها، ولذا تكتب مرّة ألفاً، ومرّة واواً، ومرّة ياءاً، وأن الألف لا حركة لها، وأنّها إذا تحركت أبدلت همزة أو واو أو ياءاً."⁶

¹ أنيس، الأصوات اللغوية، ص 53 و 180.

² ينظر: الإشبيلي، ابن عصفور، المقرب، دراسة وتحقيق: أحمد عبد الستار الجبوري، ط 1، 1972، ص 2/21، 2.

³ ينظر: التمهيد في علم التجويد، ص 115.

⁴ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص 47.

⁵ ينظر: الخليل بن أحمد، العين، ص 65/1.

⁶ الكشكبي، عطية أبو زيد محجوب، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم (دراسة قرآنية حديثة)، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1432هـ/2011م، ص 139.

فالهمزة والألف تتقاربان في المخرج، فالهمزة أدخل في الصدر، ثم تليها الألف، ولذلك حرّكوا الألف، اعتمدوا بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبوها همزة، فالهمزة نبرة شديدة، والألف ليّنة¹. وكل ما يحدث حين إبدال الألف همزة أو الهمزة ألفاً، هو الانتقال من النبر التوتري الى النبر الطولي أو العكس².

ومن ذلك في الذكر الحكيم ما نقل عن العرب في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾³، فمنهم من يهمز ومنهم من لا يهمز⁴، ومثله في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾⁵، فمن العرب من يقول (جبرئيل).

والعرب تعبر عن هذا الانتقال بالكراهة، فيكثر تعليلهم للتخفيف في مواضع اجتماع الهمزتين بقولهم كراهة الجمع بين الهمزتين، من ذلك في قوله تعالى: ﴿أَيُّمَّةَ الْكُفْرِ﴾⁶، قرأ أهل الكوفة وابن عامر بهمزتين، الأولى ألف الجمع والثانية أصلية، والباقون كرهوا الجمع بين الهمزتين فليّنوا الثانية فصارت لفظة كياء (أئمة الكفر)⁷.

ومثله في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ﴾⁸، قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ورويس عن يعقوب (أؤنبئكم) بتسهيل الهمزة الثانية واوا، وقرأه ابن عامر، وحمزة وعاصم والكسائي وروح عن يعقوب وخلف بتخفيف الهمزتين⁹.

¹ ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 100.

² ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 36.

³ سورة البقرة، الآية 40.

⁴ ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ص 1/205، والبحر، ص 171/1.

⁵ سورة البقرة، الآية 97.

⁶ سورة التوبة، الآية 12.

⁷ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 1/235.

⁸ سورة آل عمران، الآية 15.

⁹ التحرير والتنوير، ص 184/3.

ومنه كذلك الإبدال في قوله تعالى ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِئِمْنَ أَمْنَتَهُ﴾¹، "قرأه حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم الهمزة وهو خطأ... والباقون يكرهون اجتماع همزتين فيقلبون الثانية واوا فيبدلون أوئمن."²

فالتقاء الهمزتين في كلمة يوجب في قراءات معينة قلب الثانية حرف لين؛ "وخصت الثانية بالإبدال، لأن الأولى يُلفظ بها ولا مانع لها، والثانية تمتنع مع التحقيق من أجل الأولى التي قد تثبتت في اللفظ"³، فالثانية إنما تقع للتكرير، وبها يقع الاستئقال⁴.

والتفسير الصوتي لما حدث في الهمزات في الآيات الثلاثة السابقة يمثل له بتعليل تخفيف همزة (أئمة)؛ إذ تم تخفيف الهمزة بإسقاطها وإبدالها بنصف صامت: ء - / - ء - م / م - م / م / ت / تصير ء - / ي - م / م / ت / . ويكون هذا الصامت الضعيف من جنس الكسرة، ويُجتلب الصامت الضعيف ليحل محل الهمزة قاعدة أولى للمقطع كي لا يبدأ المقطع بمصوت⁵.

ومن طرق إبدال الهمزة طريق يبحث فيه هذا الصوت عن أقرب الأصوات منه مخرجا، فتبدل إلى صوت الهاء، متى أمكن ذلك، من ذلك في قوله تعالى ﴿هَاتُتُمْ﴾⁶، والأصل في (ها أنتم) أنتم فأبدل من الهمزة الأولى هاءاً لأنها أختها، عن أبي عمرو بن العلاء والأخفش⁷، وإنما قلبت الأولى هاءاً كراهية للجمع بينهما⁸، "فالهاء بدلاً من همزة الاستفهام"⁹.

¹ سورة البقرة، الآية 283.

² ينظر: البحر المحيط، ص 372/2

³ إعراب القراءات، ص 105/1.

⁴ ينظر: الكشف، ص 75 / 1.

⁵ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص 50 - 51.

⁶ سورة النساء، الآية 109

⁷ ينظر: البحر المحيط، ص 510/2، وقد جاء فيه مانصه (قرأ الكوفيون وابن عامر والبيزي (ها أنتم) بألف بعد الهاء بعدها

همزة (أنتم) محققة .

⁸ ابن خالويه، الحجة، ص 110.

⁹ العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص 220/1.

ومن أشكال تخفيف الهمزة، حذفها، وإسقاطها من درج الكلام، ويتم ذلك وفق مرحلتين. فالأولى، نقل حركتها إلى الساكن قبلها، والثانية، حذفها تماماً.

ومنه في السور المدنية، ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾¹، قرأ ورش عن نافع (من أجل ذلك)، فنقل فتحة الهمزة إلى النون، وأسقط الهمزة لفظاً، وكذلك يفعل في سائر القرآن، نحو "قد أفلح مومنون"، وهي لفظة فصيحة²، ومنه في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾³.

قرأ أبو جعفر وأبو السَّمال (مل الأرض) بدون همزة، ورُويت عن نافع، ووجهه أنه نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبل وهو اللام وحذفت الهمزة، وهو قياس في كل ما كان نحو هذا⁴. ومنه كذلك حذف الهمزة في "سل" من قوله تعالى: ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁵. وسل أمر من سأل، يسأل، أصله اسأل، فحذفت الهمزة تخفيفاً بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها⁶.

مثله في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁷، قرأ ابن كثير والكسائي: (وسلوا الله)، بترك الهمزة في كل القرآن إذا تقدمه واو أو فاء، ويكون أمراً إلى المخاطب، وقرأ الباقون بالهمزة وحجته في ذلك قوله "لما اتفقت القراء والمصاحف على حذف الألف من: (سل بني إسرائيل)، وكان هذا أمراً مثله خزلت ألف الوصل والهمزة، والأصل: اسأل، فنقلوا فتحة الهمزة إلى السين فلما تحركت السين استغنوا عن ألف الوصل، وسقطت الهمزة لسكونها وسكون اللام"⁸.

¹ سورة المائدة، الآية 32.

² ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 145/1.

³ سورة آل عمران، الآية 91.

⁴ البحر المحيط، ص 520/2.

⁵ سورة البقرة، الآية 211.

⁶ الحجّة، للفارسي، ص 288/2.

⁷ سورة النساء، الآية 32.

⁸ إعراب القراءات، لابن خالويه، ص 133/1.

ب- تخفيف الهمزة:

"إنَّ التخفيف يحتاج إلى معاناة شديدة، وكلفة عظيمة من جهتين: إحداهما إحكام اللفظ بالهمزة المخففة بين بين، والأخرى معرفة ما يخفف بين بين، وما يُبدل ويدغم فيه ما قبله، وما يُبدل ولا يُدغم فيه شيء، وما قبله زائداً أو أصلي، وما تلقى حركته على ما قبله وذلك أمرٌ لا يُحكمه إلا من تنهى في علم العربية، وتمرن في إحكام اللفظ بذلك، ودرب في اللفظ بالهمزة المخففة".¹

فقراءة قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوبَ مُرْجُونَ﴾² بالهمز وفي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر،³ يُمكن محاكمتها لوضوح ماهية التحقيق في حين أن تخفيف الهمزة يحتاج إلى تمرين اللسان والسمع المباشر، حتى يتأتى له الإتيان بها مخففة. "وتحقيق الهمزة يتم بالإتيان بها خارجات من مخارجهن، مندفعات عنهن كاملات في صفاقن".⁴

والتحقيق هو الأصل، وتحقيق الهمزة المفردة أسهل لانفرادها، ولأنهم حققوا الهمزة وهو مكرّر".⁵ وتحقيق الهمزة له عِلل كثيرة تصبّ كلّها في الرغبة في التيسير متى كان التحقيق محققاً له. "من ذلك مناسبة معنى الاستفهام، وذلك في حالة اجتماع همزتين، والأولى منهما همزة استفهام، فتحقق هذه الهمزة، وتكون علة تحقيقها، إرادة الاستفهام لا الخبر".⁶

¹ الكشف، ص 98/1.

² سورة التوبة، الآية 106.

³ إعراب القراءات، ص 255/1.

⁴ التمهيد في علم التجويد، ص 71.

⁵ الكشف، ص 80/1.

⁶ التعليل في الدراسات الصوتية، ص 34.

ومنه قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف بهمزتين،¹ في نحو، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾²، ﴿قُلْ أُوْنِبِكُمْ﴾³، فمعنى الاستفهام هنا يقتضي تحقيق الهمزتين.

وفي مواطن أخرى يُصبح التسهيل مشقة وصعوبة وثقلاً، مما يستوجب العدول عنه إلى التحقيق يقول المكي بن أبي طالب القيسي: "لما كان التخفيف للهمز أثقل من الهمز، آثر الهمز، وترك التخفيف لثقله."⁴

فجاء الهمز في لفظة (تؤوي) من قوله تعالى: ﴿وَتَوَوَىٰ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾⁵، حتى لا يجتمع واوان في التخفيف، وذلك أثقل من الهمز، أجروا باب الإيواء على سنن واحد في الهمز، لئلا يختلف، لأنه كله من أصل واحدٍ، من (أوى)⁶.

"أما التفسير الصوتي الحديث لتحقيق همزة (تؤوي)، فإنَّ /تـ/ وـ/ءـ/ وـ/تصبح في التخفيف /تـ/ وـ/، أي: ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح. ويتكرّر ظهور الصامت الضعيف (نصف الصوت) (الواو غير المدية) بين مصوّتين طويلين، وهو ما يزيده ضعفاً، فيتحول القارئ إلى التحقيق، وتعليل ذلك: هو تجنّب النطق بالصوامت الضعيفة، أي نصف الصوت بين المصوّتات، مع إمكان تجنّب ذلك بإبعاد الصوت الأصلي."⁷

ثم إنّ من التخفيف ما يُؤتى به للدلالة على أصل الكلمة، لاسيما إن كانت الكلمة من أصول أعجمية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَىٰ

¹ يُنظر: الأصبهاني، أبو بكر أحمد، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، 1424هـ/2009م، ص 63.

² سورة آل عمران، الآية 20.

³ سورة آل عمران، الآية 15.

⁴ ينظر الكشف، ص 86/1.

⁵ سورة الأحزاب، الآية 51.

⁶ ينظر: الكشف، ص 81/1 - 82.

⁷ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص 28.

وَالصَّبِئِينَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِئُونَ
وَالنَّصْرَىٰ ﴿٢﴾، بهمز (الصَّابئين) و(الصَّابئون)، وقرأ نافع بغير همز الصَّابئين و(الصَّابون) ³.

أما من لم يهمز، فإنه قد يكون خفف الهمزة بأن تبدل منها ياء مكسورة لأن ما قبلها مكسور
(وهو الباء)، ثم حذفت حركة الياء، استثقلاً للكسر والضم على حرف علة، فاجتمع حرفان
ساكنان، فحذف الأول، لئلا يلتقي ساكنان، وإما أن يكون جعله من (صبا، يصبو) إذا مال
على هواه. ⁴ والقراءة المختارة الهمز، لاتفاق أكثر القراء. ⁵

و"جبريل" اسم أعجمي، وقد ذكر بعضهم أن من كسر الجيم أتى به على مثال كلام
العرب ... ومن فتح أتى به على خلاف كلام العرب، يُعلم أنه ليس من كلامهم وأنه
أعجمي، وكذلك فعل من همز، ومن أثبت ياءاً بعد الهمزة أتى به على خلاف كلام العرب،
يُعلم أنه أعجمي ليس من أبنية كلام العرب. ⁶

ثم إن الحفاظ على نسيج الكلمة العربية من كثرة التغيرات التي قد تبعتها عن أصل بنائها
قد يكون سبباً وجيهاً لإيثار الهمز بدل التخفيف، فمما قرئ بالهمز لفظة (تسؤهم) من
قوله تعالى ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، ⁷ وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ

¹ سورة البقرة، الآية 62.

² سورة المائدة، الآية 69.

³ ينظر: ابن جني، أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي نجدي ناصف، عبد الخليم
النجار، عبد الفتاح شليبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999، ص 324/1 - 325، والبحر المحیط، ص
531/3.

⁴ ينظر: الكشف، 246/1 - 247.

⁵ معاني القراءات، للأزهري، ص 155/1.

⁶ ينظر: الكشف، 254/1، 255.

⁷ سورة آل عمران، الآية 120.

تَسْوَهُمْ¹، في قراءة أبو عمرو²، والتخفيف فيها جاء حفاظاً على الهمزة الساكنة، حيث جزم الكلمة، فالهمزة متى كانت ساكنة للجزم وجب تحقيقها³، ومثل ذلك ما جاء سكونها علامة للبناء كقوله تعالى: ﴿أُنْبِئِهِمْ⁴﴾ بالهمز، لأن الهمزة للبناء، وعلى ذلك الجمهور⁵.

فما جاء سكونه علم للجزم، وما جاء سكونه علماً للبناء أصله كلة الحركة والسكون فيه عارض، ومن أصله أن يُخفف المتحركة، فحققت هذه على ما كانت عليه في أصلها قبل الجزم أو البناء، وأيضاً فإن هذين النوعين قد غُيِّرا مرة من الحركة إلى السكون، فكَرِهَ أن يغيِّرهما مرة أخرى إلى البدل، فيقع في ذلك تغيّر بعد تغيّر، فيكون فيه إجحافٌ بالكلمة⁶.

فتخفيف الهمز إنما جيئ به متى لم يؤد هذا الاجراء الصوتي إلى تغيير في مبنى الكلمة يؤدي إلى تغيير معناها، وفي غير ذلك يكون الجنوح إلى تخفيف الهمزة سواء بإبدالها أم بحذفها إجراء صوتياً، يقلل من ثقل نطق هذا الصوت في العربية، لمن يستثقل نطقه، وهو اختيار صوتي للبيئات والقراءات التي تفضل الضغط في الكلام ونبر المقاطع، والمخالفة بهذه الصورة موجودة في السور المدنية كتواجدها في باقي سور الذكر الحكيم عاكسة هذا التنوع الأدائي، والتركيب.

¹ سورة التوبة، الآية 50.

² الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 36.

³ ينظر: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص 110.

⁴ سورة البقرة، الآية 33.

⁵ يُنظر البحر المحيط، ص 149/1.

⁶ يُنظر: الكشف، ص 85/1.

الفصل الثَّانِي

الظواهر ما فوق التَّشكيلية

في السُّور المدنيَّة.

- الإعجاز الموسيقي في القرآن الكريم:

أصبح من البديهي اليوم الحديث عن موسيقية اللغة العربية، ذلك أن كل الدراسات اللغوية قديمها وحديثها، تؤكد على هذه الخاصية المميّزة للغة الضاد، فقد أشار الجاحظ منذ القدم إلى هذه الموسيقية في اللغة العربية، حين تعليقه لصعوبة ترجمة حكمة العرب في قوله: "لو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن".¹

"بل إن موسيقية اللغة العربية جليّة إلى درجة أنك لو حاولت نقل أي كلام عربي أوصفحة من كتاب إلى رموز موسيقية وأوزان، لوجدته يتركب من وحدات تتشابه وتختلف وتكرر وتتناظر، ويتألف من مجموعها قطعة موسيقية،"² زد على ذلك فإنّ المستشرقين يعترفون بهذه الخاصية للعربية، يقول أحدهم: "التركيب العربي غنيّ بالوقع الموسيقي".³

فالوزن وحسن تقطيع الكلمات والوقع الحسن لأصوات العربية في الأذن حين اثتلافها إلى كلمات كلها أوصاف وأشكال تجسّد الصّفة الموسيقية في اللغة العربية.

"والعربية لم تكتسب هذه الخصائص، إلا لكون جميع ألفاظها ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية في وحدتها الصوتية والتركيبية ووحدة الانسجام، والتوفيق في الجرس والنغمة والإيقاع وما يلائمها من تأليف وحدة فنية ونفسية".⁴

وهذا التأليف ذو الجودة العالية في بناءه الموسيقي، يظهر في أرقى ما جاءت به العربية وأوضح وأجلّ وأبرز نصوصها ألا وهو القرآن الكريم.

¹ الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938، ص 75/1.

² السامرائي عامر رشيد، آراء في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1965، ص 37.

³ المبارك محمد، خصائص العربية، نغمة مصر، 1960، ص 38.

⁴ خصائص العربية، ص 25.

إن النموذج النغمي في القرآن الكريم يُعدّ أفضل مورد يُمكن أن تُدرس من خلاله إيقاعية ونغمية اللغة العربية، ولا أدل على ذلك من كونه أول ما شدّ الأذن العربية والحس الموسيقي العالي، وهذا بشهادة المنكرين له أول نزوله، إذ يصفه الوليد بن المغيرة بقوله: "إن له الحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثم، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يُعلو عليه، وما يقول هذا البشر."¹

فالحلاوة التي يقصدها الوليد هي: الموسيقى التي تتحدّث عنها، فقد أعطيت أوصاف المياه والطعوم من حلاوة أو مرارة، وجرى ذلك على ألسنة النقاد فيما بعد، فقد قال ابن الأثير: "ومن له أدنى بصير يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة الأوتار، وأن لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطرب."²

إن تلك الحاسة المرفهة التي امتلكها العربي في تذوق اللغة تجعلنا نقول من غير شك، أن للتنغيم في القرآن الكريم دوراً كبيراً في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة، واستقبال ما جاء من معان سامية، وإنّ التنغيم في القرآن يقع في مقدمة ما جذب العرب إلى القرآن.³

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يذهب إلى بيت أخته لبيطش بها، بعد أن نما إلى سمعه، أنّها هي وزوجها قد أسلما، ولكنه حين يقرأ الصحيفة التي بيدها، وفيها آيات من سورة طه، لم يستطع الوقوف أمام بيان القرآن، وروعة نظمه، فسرعان ما سكن غضبه، وهدأت نفسه، وقال: "ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، دُلّني يا خباب على محمد، حتى آتية فأسلم."⁴

فالقرآن الكريم يمثّل وحدة موسيقية لا تخضع لوزن الشعر، بل لوزن الوجدان والنفس.⁵ يقول الرافعي "فإنّه إنّما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه،

¹ تفسير القرطبي، ط دار الشعب، ص 6865.

² ينظر: ابن الأثير، المثل السائر تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص 15/1.

³ ينظر: البياتي، سناء حميد، التنغيم في القرآن الكريم، دراسة صوتية، مركز إحياء التراث العلمي والادبي، العراق، 07.

⁴ ينظر: شرشر، محمد حسن، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1408هـ/1988م، ص 14 - 15.

⁵ سلامي عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص 222، نقلا عن: البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 18.

والمراد نسقه، واتزانه على أجزاء النفس، مقطعاً مقطعاً، ونبرة نبرة، كأنها توقّعه توقيعاً، ولا تتلوه تلاوة، وما أسلم عمر بن الخطاب على شدّته وعنفه إلا حين رقّ للقرآن".¹

على أنّه ينبغي التأكيد بداية، على أنّ أسلوب القرآن الكريم إنما يجري على نسق بديع، خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقه التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم.²

فهو ليس على أعاريض الشعر في رجزه، ولا في قصيره، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله، ولا في تسجيعة، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة، في هذا ولا ذاك، ولكنك مع ذلك تقرأ بعض الآيات منه، فتشعر بتوقيع موزون، ينبعث من تتابع آياته.

بل يسري في صياغته وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تنسيقاً عجيباً، بين الرخو منها والشديد، والمجهور والمهموس، والممدود والمقطوع.

ومهما طفت بنظرك في جوانب كتاب الله تعالى، ومختلف سورته وجدته مطبوعاً على هذا النسق العجيب، فمن أجل ذلك تحير العرب في أمره، إذ عرضه على موازين الشعر، فوجدوه غير خاضع لأحكامه.³

فهو معجز في نظمه العجيب وتركيبه الفريد الذي يأخذ بالألباب ويسوق إليه أعناق البيان، وهو معجز بحسه وأسلوبه وبلاغته في دقة اللفظ أو دقة التعبير، بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً، فلا نجد صوتاً زائداً بلا دلالة، ولا كلمة مترادفة إلى أخرى، والحقيقة أن المعجزة في القرآن

¹ الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 241.

² شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 14.

³ ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

نجدها في الصوت وفي مخاطبة ملكات النفس البشرية¹؛ فللقرآن الكريم مسحة خلاصة جميلة، تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي.

ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي اتساق القرآن الكريم، وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغماته، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع، ويستهوِي النفوس بطريقة لا يُمكن أن يميل إليها أي كلامٍ آخر، منظوم أو منشور²، يقول **الرماني**: "إن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروضة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، ولولا أن الوزن يحسن الشعر، لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً، ولو عمل عامل من الكتان باليد من غير آلة ولا حف ما يفوق الديققي في اللين والحسن، حتى لا يشك من رآه، أنه أرفع الثياب الديققيّة التي بلغت في الحسن النهاية لكان معجزاً، ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع، الذي من شأنه أن يُحسن الكلام بما يفوق الموزون فهو معجز"³.

والقرآن الكريم يسير في نظمه في موافقة تامة بين نغمه وموضوعاته، فالسور المدنية على الرغم من طابع التشريع الذي طغى على مضمونها، إلا أن الصياغة القرآنية تأتي وفق ما يخدم هذه المعاني، يقول **محمد قطب**: "وحيث يكون الموضوع الرئيسي في السور المدنية هو التشريعات والتنظيمات وبناء المجتمع المسلم، وإقامة الدولة المسلمة، وتثبيت أركانها إزاء الكيد الذي يكيده لها أعداؤها، يكون الأسلوب المناسب هو الحركة المتأنيّة والمخاطبة العقلية التي تدع المجال للتدبر

¹ ينظر: الأشقر، محمد أحمد، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2003، ص131، 136.

² المرسي، كمال الدين عبد الغني، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1420هـ/1999 ص 84.

³ ينظر: الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386هـ)، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر، ط3، ص111.

والتفكير، ومع ذلك فهو ليس ذلك الأسلوب العقلي الجاف، وإنما هو نسق فريد من التعبير لا مثيل له فيما يكتب البشر، بحيث لا يفقد النبض الحي والجرس الموسيقي، حتى في آيات التشريع البحث.¹

فبالإيقاع أو الموسيقى، نستطيع أن نعرف المكي ومن المدني، لاسيما في تلك السور التي وقع حولها خلاف، فقليل إنها مكية، كما قيل أنها مدنية، ويُمكن عن طريق فحص الموضوع والأسلوب وطريقة الأداء والوقوف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نحدّد— ونحن مطمئنون — مكية بعضها مثل التكاثر والعاديات والزلزلة والرعد والرحمن، ومدنية بعضها الآخر مثل الجمعة ومحمد والحج والنساء.²

وموسيقى القرآن الكريم هي نتاج تضافر مجموعة من الخصائص الصوتية، ابتداء بتركيب الكلمة والجملة وما علاهما، ثم طريقة أداء هذه اللغة وما يتضمنه من ظواهر وضوابط وأوجه، مما سنحاول التعرف على شيء منه في ما يلي من عناصر هذا الفصل .

¹ ينظر: قطب محمد، دراسات قرآنية، دار الشرق، لبنان، ط4، 1983، ص 20.

² نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، ص 05.

1- الدراسة المقطعية في السور المدنية:

تُظهر البنية المقطعية لأي لغة نمطها الإيقاعي الذي تنماز به، والعربية لغة حملت من أشكال التعبير أنواعا ثلاثا مخالفة بذلك جميع اللغات، إذ هي حاملة للنص الثري، وللنص الشعري، وهي مشرّفة بحمل النص القرآني السماوي، ولكل شكل من هذه الأشكال بنيته الموسيقية، التي تقوم على أسس مضبوطة وتعكس أنماطا إيقاعية مختلفة، من هنا سنحاول التعرف على البنية المقطعية وعناصرها في النص القرآني والخصائص الإيقاعية التي يقوم عليها هذا الكتاب العظيم في هذا الفصل من هذه الرسالة.

أ- الإيقاع:

من معاني الإيقاع، التوقيع: أي أنه زمني قريب لا تباعده، كأنه تريد أن توقعه على شيء، والتوقيع: الإصابة، والتوقيع إصابة المطر بعض الأرض وإحطائه بعضا، وقيل إثبات بعضها دون بعض، والتوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه، وقيل هو مشتق من التوقيع وهو مخالفة الثاني للأول. والإيقاع، إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان وبينها، وسمى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه، في ذلك المعنى (كتاب الإيقاع).¹

ومن هذه المعاني التي وردت للفظ الإيقاع، يدرك أن أصلها هو: أن توقع معنى من المعاني في نفس المتلقي، ومن هذه المعاني التي أرادها للتوقيع والإيقاع ندرك أن أصلها هو: أن يوقع الشيء على الشيء المتعدد الأجزاء، فيصيب قسما منها ويترك الباقي ويتجلى ذلك في التوقيع في الزمن، وتوقيع المطر، وتوقيع الكتاب، وإيقاع الألحان.²

كذلك من أبرز معانيه اللغوية دلالة على اتفاق الصوت في الغناء³، فمتزلة الإيقاع من الغناء هي بمثابة متزلة العروض من الشعر، ويسرد الباحث عبد الحميد زاهيد مجموعة من

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر، بيروت لبنان، ص408/8.

² الخالدي صالح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان، الأردن، 1437هـ/2016، ص98.

³ ينظر: فواصل الآيات القرآنية، ص166.

تعريفات الإيقاع، منها تعريف الأرموي بأنه - الإيقاع - "جماعة نقرات تتخللها أزمنة محدودة المقادير على نسبٍ وأوضاعٍ مخصوصة بأدوار متساوية، يدرك تساوي تلك الأدوار والأزمنة بميزان الطبع السليم المستقيم"¹، ويعرفه الفارابي "بأنه النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب"². ويعرفه الحسن بن أحمد الكاتب "بأنه قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية"³. ويُضيف: "أما الأجزاء الوسطى، فيجب أن تكون متساوية في عدد النغم وفي الأزمان، يعني أزمان الإيقاع الذي هو فيه، وتكون متناظرة في فصول الأزمان، يعني الوقفات، ومتشابهة الترتيب."⁴

فالإيقاع يحدده الزمن الفاصل بين النقرات، حيث يجعل كل تفعيلة تتميز عن غيرها من التفعيلات في انسجام تام بين الوزن والصوت.⁵

ومن تعاريف المحدثين، تعريف **rraiss**: "الإيقاع هو توالي الوحدات الصوتية بشكلٍ انتظامي في الزمن"⁶. وهذا الكلام قريب مما ذهب إليه **Robert** بأنه: "عبارة عن تكرار منتظم لأصوات موسيقية هي بدورها تتولد عن تشاكل العناصر مقطعيًا عبر سلسلة عناصر الكلام"⁷.

وعرفه محمد غنمي هلال، بقوله: الإيقاع يقصد به وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على قدر منتظم في فقرتين أو أكثر

¹ ينظر: الرسالة الشافية، ص 189. نقلاً عن علم الأصوات وعلم الموسيقى (دراسة صوتية مقارنة)، عبد الحميد زاهيد،

تقديم، مبارك حنون، دار يافا، عمان 2010، ص 43.

² الموسيقى الكبير، ص 436 نقلاً عن نفسه، ص 43.

³ كمال أدب الغناء، ص 92 نقلاً عن نفسه، ص 43.

⁴ نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ ينظر: لالوسي عثمان، الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم، مذكرة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 26.

⁶ ينظر: علم الأصوات وعلم الموسيقى، ص 44.

⁷ ينظر: كورديا أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم الكتب الحديثة، إربد الأردن، 2012،

ص 26.

من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة، وقد يتوافر الإيقاع في النثر مثلا فيما سَمَّاه القدامى الترصيع، حتى عاد تعريضك تصريحا وصار تعريضك تصحيحا، وقد بلغ الإيقاع في النثر درجة يقرب بها كل القرب من الشعر، أما الإيقاع في الشعر فتمثله التفعيلة في البحر العرب، فمثلا (فاعلاتن) في بحر الرمل تمثل وحدة النغمة في البيت من غير تفرقة بين الحرف الساكن اللين وحرف المد، والحرف الساكن الجامد.¹

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن الإيقاع في الشعر عبارة عن تلوين صوتي ناتج عن فصاحة الألفاظ والتماها لذلك نجد يصدر عن الموضوع، في حين الوزن يفرض على الموضوع، الأول من الداخل والثاني من الخارج، وهذا من وجهة نظر المفهوم الغربي للإيقاع، والذي يبين فيه استوفر على فكرة أن الشعر إيقاع لا وزن².

"فالإيقاع ظاهرة صوتية أعم من الوزن في الكلام المنظوم (وغير المنظوم)، وهو وقف على المادة الصوتية لا يتعدها، وفي ذلك ما يفسر غياب مصطلح الإيقاع من علم العروض ونيابة مصطلح الوزن عنه في الدلالة على موسيقى الشعر فيه"³.

"فمفهوم الإيقاع قد التبس -فعلا- بمفهوم الوزن، حتى غلب على أذهان الكثيرين أن هذا هو ذاك بعينه، وأن مصطلحي الإيقاع والوزن مترادفان. وربما يفسر ذلك بالصلة الحميمة بينهما وهي صلة الأصل بالفرع والكل بالجزء. ومما يفسر ذلك أيضا أن للوزن حضورا دائما في الشعر القديم وشاملا لأطراف النص، أما الإيقاع فحضوره عرضي غير مقيد ولا مشروط، فكانت النتيجة أن استأثر الوزن باهتمام علماء العروض ونقاد الشعر فقل اهتمامهم بغير الوزن من ظواهر الكلام الإيقاعية بل صرفت أنظارهم أيضا عن ملاحظة الإيقاع الذي قد يكون في بعض النثر"⁴.

¹ ينظر: هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، مئضة مصر، القاهرة، 2001، ص 435، 436.

² صالح زيدور، الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم (الإيقاع)، ص 165، من موقع: www.asjp.cerist.dz

³ الطرابلسي، محمد الهادي، في مفهوم الإيقاع، ص 13-12، نقلا عن القضايا النظرية ص 127/1.

⁴ نفسه، الصفحة 16-17

ويوصف منير سلطان الإيقاع على أنه "حركات متساوية الأدوار تضبطها نسب زمانية محددة المقادير، على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى مساوية كل منها تسمى دوراً فهو جماعة نقرات تتخللها أزمنة محددة المقادير على نسب وأوضاع متساوية بأدوار متساوية."¹

وتوسّع رجاء العيد من دائرة الإيقاع، فتجعل منه مجموعة متكاملة، أو عدداً متداخلاً من السمات المميزة، تتشكل بواسطة التناسق الصوتي بين الأحرف الساكنة والمتحركة، إضافة إلى ما يتصل بتناسق زمنية الطبقات الصوتية داخل منظومة التركيب اللغوي من حدة أو رقة، أو ارتفاع أو انخفاض، أو من مدات طويلة أو قصيرة.²

ومن الدارسين من يرى أن الإيقاع هو نتاج التحام قوانين سبعة هي: 1- النظام - 2- التغيير 3- التساوي 4- التوازي 5 - التوازن 6- التلازم -7- التكرار.³

والإيقاع في العربية من وجهة نظر تمام حسان، يقع إما في نطاق التوازن وإما في نطاق الموزون، والوزن في العربية إنما يكون للشعر، والذي في القرآن الكريم متوازن لا موزون.⁴

وذلك ما تمنحه بعض الظواهر التعبيرية التي تتصل ببعض الألوان البلاغية والبديعية كالطباق والمقابلة والجناس ومراعاة النظر، فإنها وجوه وألوان تؤدي إلى توازن الجمل وتعادها في التأليف، من ذلك الطباق في قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

¹ سلطان منير، الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000، ص122.

² ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكبية، ص 26.

³ الحسنائي محمد، الفاصلة في القرآن الكريم، دار عمار، ط2، عمان، 2000، ص175 وما بعدها.

⁴ ينظر: حسان تمام، البيان في روائع القرآن" دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص

قَدِيرٌ ﴿١﴾،¹ "إذ نجدها جملاً متعادلة في التأليف منسجمة في التركيب، وقد أحدث الطباق ههنا دوراً في هذا التعادل والانسجام، ولأن الطباق وإن كان بين الشيء وضده، فإن هذا الشيء يرد في الخاطر مع الضد على سبيل الاستدعاء، فنحن بالطباق لانسير في طريق وعر أو غريب مجهول، وإنما نسير في طريق مألوف متوقع، وكل ما تتوقعه النفس الفطنة فيأتي بحسب التوقع يحدث أنسا واتساقاً وانسجاماً".²

على أنه يمكن تقسيم الإيقاع في ضوء المفهوم الذي يؤول إليه الدرس الصوتي إلى:

- إيقاع تركيب الجملة (Sentence prosodies)، وهو التنغيم (Intonation).
- إيقاع الكلمة (Words prosodies)، مثل ميزة هارمونيكية المصوت التي تميز الكلمات أو تميز طولها بين أكثر من مقطع.
- إيقاع المقطع (Syllable prosodies): الطول (Length)، النغمة (Tone)، النبر (Stress)، وسمات ثانوية أخرى كالتشفيه (Labilization)، والتغوير (Palatalization)، والتحليق (Phyrrangalization) والتأنيف (Nasalization).
- إيقاع أجزاء المقطع (Syllable part prosodies)، مثل النفسية (Aspiration) والإنفجارية (Plosure).³
- إيقاع التمثصل (Junction prosodies): يميّز الحد العالي من وحدات البنية (الكلمات والمورفيمات)، على سبيل المثال، فاللغة مع النبر الثابت (Fixed stress)، يُمكن أن تتخذ كسمات بروسودية مع مسافة التحديد في الكلمة.

¹ سورة آل عمران، الآية 26

² صالح زيدور، الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم (الإيقاع)، ص 172، 171

³ ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية، ص 25.

— إيقاع الأصوات (Sounds prosodies): من الصوامت والمصوتات، يشمل المصوتات القصيرة والطويلة، والصوامت المائعة [ل، ر]، والأنفية [م، ن] والوقف الحنجريّة [د]، [ه] ونصف المصوت (Sine Vowel).¹

فالنظام الصوتي، يكون إما مقطعي (فونيم، مورفيم، تركيب) أو غير مقطعي (نبر، توقف، مد،...).

وعلى هذا يأتي نتاج كلا النموذجين، إذ تقوم النصوص الإبداعية على تقديم بنية صوتية ظاهرة، متمثلة في التكرارات الفونيمية والتركيبة بكل تنوعاتها، وأخرى خفية (سمعية) متمثلة في النبر والوزن والوقفات وغيرها؛ فالإيقاع هو الطريقة التي تتوزع بها العناصر المترددة على طول المعنى اللغوي، ولاسيما الوقفات، والتي يعطي ترددها شعوراً بوجود الإيقاع.²

فإذا ما عدنا للقرآن الكريم وجدنا، عنصر الإيقاع يتحقق بشكل ملحوظ في السور المكية، ذات الآيات القصار المتساوية في التكوين، ففي قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالشَّجَرُ وَالنَّجْمُ يُسَبِّحَانِ ﴿٦﴾ تجد تساوي التكوين في الآيات قد أبرز عنصر الإيقاع إبرازاً مدهشاً، وهو أمر أساسي في بناء القرآن المكي في الغالب، ولا يعني هذا أن الوحي المدني خلو من الإيقاع، إذ لا يتصور كلام بدون إيقاع، ولكن الإيقاع يتحقق في السور المدنية بشكل ضمني يدركه من يتأمل تقسيم الجمل، وتمام المعاني، وكمال الوقوف، في الآيات الطوال، ولولا ذلك ما صلح القرآن لأداء

¹ ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

² ينظر: حمود، وداد مكاوي، البناء الصوتي غير المقطعي (قلى)، و(..) في النص الإبداعي، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 6، 2009، ص 399.

³ سورة الرحمن، الآيات (1-6)

الأصوات الجميلة، ولما استطاع كبار القراء أن يتغنوا بآياته طبقاً للألحان الموسيقية التي يتقنون أداءها.¹

ولالإيقاع في القرآن الكريم مستويين، مستوى خارجي متولد من تناسق الحروف مخرجاً، وصفة وحركة، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع والتوازن، بين الجمل والعبارات... .

"أما الإيقاع الداخلي، فهو حركة موقعة أو منتظمة في بناء السورة كلها، تحكم نسيجها، وتميز معالمها وصفاتها عن بقية السور الأخرى".²

"فحينما تلا الإنسان القرآن، أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه، يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار والفواصل السريعة، ومواقع التصوير والتشخيص بصفة عامة".³

ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا...﴾⁴، كلمة (يُزْجِي) بجرسها الموسيقي ترسم حركة السحاب البطيئة في السماء، وما فيها من امتدادات رحية متطاولة، بخلاف ما لو استعمل كلمة (دفع أو ساق). فكلمة (يُزْجِي) تبدأ بالياء، وتختتم بالياء أيضاً، والياء حرف لين رخو.

ولكن الزاي حرف من حروف الصفير والجهر، والجيم من حروف الشدة والجهر، غير أن تركيب الجيم في الكلمة بين الزاي والياء وحركة الكسر عليها خففت من شدتها وجعلتها متناسقة مع ما قبلها وما بعدها؛ فهذه الكلمة بتوزيع حروفها من حيث المخارج والصفات، وتنويع

¹ ينظر: البابي أحمد، القضايا النظرية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصوارة الإيقاعية، ص 76/2.

² عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 03.

³ البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 29.

⁴ سورة النور، الآية 43.

حركاتها وتأليفها من مقطعين "يز" و"جي" جعل ايقاعها رخياً ممتداً، كرخاوة حركة السحاب، وامتداده في السماء.¹

من هذا المنطلق لم يؤكد البلاغيون على الإيقاع الظاهر فقط، بل حاولوا إدخال (التناسب والتوافق) في النسيج والتأليف في الحقل نفسه، وهي مسألة أكدها المحدثون أيضاً، ولاسيما (فانسان داندي) الذي عرّف الإيقاع بأنه انتظام في الصوت وتناسب في البعد، وكذلك (ريتشاردز) الذي حصره بـ (التكرار والتوقع).²

ولم يكن هذا التصور من عند المحدثين فحسب، بل إن جذوره تمتدّ إلى أقوال علمائنا القدامى لا سيما البلاغيين منهم، إذ جعلوا الإيقاع على نمطين: نمط الوزن الذي يتفرّع إلى عروض النظم ونغم النثر ونمط التناسب الذي يعتمد على أساس سبك التأليف والنظم.³

فمن ذلك التناسب في الإيقاع، قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ...﴾⁴.

فإن صيغة (ليستخلفنهم) و(ليمكنن) و(ليبدلنهم) والتناسب في الجرس بين استخلف و(ليستخلفنهم) وانتهاء مفردات عديدة بالضمير المتصل (كم) مرة واحدة، و(هم) ست مرات،

¹ البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 08.

² يُنظر: ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي وعلم الشعر، ترجمة: محمد بدوي، مراجعة: لويس عوض وسهير القلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2005، ص 185.

³ يُنظر: معن، عباس مشتاق، أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين، قراءة في وظيفة التداخل المعرفي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ، الحولية 27، 1427هـ/ 2006، ص 42.

⁴ سورة النور، الآية 55.

و(ني) في (يعدونني) التي تتناسب مع (بي) في (يشركون بي)، كل هذا يسهم في تقديم إيقاع يتناسب وصيغة الآية، بحيث نشعر ونحن نردّد الآية أن نعمة التمكين والاستخلاف تنبعث من الإيقاع وتؤكد المغزى.¹

ومن هنا تأكد أن للإيقاع الصوتي المؤثر دلالات بلاغية، لا تقلّ في أهميتها عن دلالة الألفاظ، وتزيد أهمية الإيقاع الصوتي إذا تطابقت دلالتها مع دلالة الألفاظ، أو وسعتها أو أكملتها.²

بل إن مراعاة الإيقاع ونغمية الآيات تتجسّد حتى في طريقة بناء الكلام، ففي قوله تعالى ﴿لَيْنُ بَسَطَتْ﴾³، فإن نظم هذه الآية، عدل فيه عن الترتيب إلى حسن الجوار، فإن الترتيب عبارة عن ترتيب الجمل، وترتيب مفرداتها في الوضع والتأليف فيجب على من قصد الترتيب في النظم، أن يقدم الفعل في الجملة الفعلية، ويعقبه بالفاعل، ثم يقدم بعد الفاعل المفعول المطلق ثم المفعول به فيقدم منه ما تعدى الفعل إليه بنفسه، ثم يأتي بعده بما تعدى الفعل إليه بغيره، إلا أن يمنع من ذلك مانع لفظي أو معنوي، ومن الموانع ترجيح ضرب من ضروب البديع، على هذا الترتيب يكون الكلام به أفصح وأبلغ، وأخف وأسهل، أو المعنى به أتم وأكمل كهذه الآية، فإنها لو جاء نظمها على الترتيب بحيث يقال: لئن بسطت يدك إلى لتقتلني، كما قال في آخرها ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، يحصل فيها العيب المسمى سوء الجوار الموجب للتركيب ثقلاً يعسر النطق به بعض العسر، فعدل عن الترتيب لأجل ذلك إلى حسن الجوار، وإنما كان سوء الجوار يحصل على الترتيب، لتوالي ثلاثة أحرف متقاربة المخارج وهي الطاء والتاء والياء، عند قوله: لئن بسطت إلى يدك، وإذا جاء النظم على ما جاء عليه أمن هذا المحذور، ولما كان هذا المحذور معدوماً في ترتيب

¹ ينظر: شادي محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، مصر، ط 1409، 1/1988م، ص 60.

² ينظر: إستيتيه سمير، روافد البلاغة، بحث في أصول التفكير البلاغي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة،

العدد 6، رجب 1422هـ/2010م، ص 276.

³ سورة المائدة، الآية 28.

نظم عجز الآية، أتى نظم العجز على الترتيب فقدم فيه المفعول الذي تعدى الفعل إليه بنفسه على المفعول الذي تعدى إليه بالحرف، فقال: ((ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك))¹.

ومراعاة الإيقاع تتجسد أيضا في إنتقاء المفردات، ذلك أن العبارات متى كانت منتقاة ومتخيرة، فإنها تحدث قوة في السبك، وجمالا في التناسق، فضلا عما تحدثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولا شك أن تناغم دلالة المفردات يؤدي تلقائيا إلى تناغم صيغ تلك المفردات عند من اختلطت بنفسه فطرة اللغة وأوتي حظًا من ملكة حسن التعبير، والقرآن يبلغ القمة في ذلك.

فلنأخذ مثلا قوله تعالى ﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْحَكَنَّهٗ أَوْ لِيَأْتِيَنَّيْ بِسُلْطٰنٍ

مُبِينٍ﴾² نجد صيغ (لأعذبنه)، (لأذبحنه)، (ليأتيني)، وهي مؤكدة باللام ونون التوكيد الثقيلة، تحدث جرسا وضغطا عند النطق بها بما يصور الغضب، والتهديد اللذين يسودان هذا الموقف، وفضلا عن هذا يحدث من توالي التوكيد باللام والنون خاصة إيقاع خاص يتناسب مع قوة المعنى³.

ومن مراعاة نمط الوزن في إيقاع القرآن الكريم، تلك الموافقات الكثيرة، التي جاءت بها العديد من الآيات القرآنية مع أنماط الأوزان الشعرية، من ذلك في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن

طَلَقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسَاهِمَتٍ مُّؤْمِنَتٍ قَنِتَتٍ تَتَّبِعَتِ عِبَدَاتٍ سَتِيحَتِ

¹ البناء الصوتي في البيان القرآني ، 26،27.

² سورة النمل، الآية 21.

³ شادي محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن، مؤسسة الرسالة، مصر، ط1، 1988، ص59

تَثَبَّتْ وَأَبْكَارًا¹، "ففي قوله تعالى: (مسلمات) إلى قوله (سائحات) محسن الكلام المترن، إذ يلتئم من ذلك بيت من بحر الرمل التام :

فاعلتن فاعلتن فاعلتن - فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن².

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿... يَتَأَهَّلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ...﴾³، "ففي الآية محسن بديعي، وهو الاتزان، لأن هذا القول يكون منه مصراع من بحر السريع من عروضه الثانية المخبولة والمكشوفة، إذ صارت (مفعولات) بمجموع الخبل والكشف إلى (فعلن) فوزنه مستفعلن مستفعلن فعلن⁴."

فالوزن أو التوازن كليهما من صور الإيقاع وهما أيضا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال، أما الوزن فبحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال للشعر والموسيقى ونحوهما، وأما التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم ... وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحيانا جمال الوزن.⁵

ومن مراعاة التوازن، ذلك التقطيع الجميل، والجمل المتوازنة في قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^٥ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^٤ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ^٣ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^٦﴾.

¹ سورة التحريم، الآية 5.

² التحرير والتنوير، ص 362/28.

³ سورة الأحزاب، الآية 13.

⁴ التحرير والتنوير، ص 285/21.

⁵ ينظر : القضايا التطويرية في القراءات القرآنية ، ص78

⁶ سورة الطلاق، الآيات من 1 إلى 3.

على أن الإيقاع في القرآن الكريم لا يسير على هاتين الوتيرتين فقط (إيقاع وزن وإيقاع توازن)، بل هو يخرج عنهما طلباً لكسر الرتابة، والنتاج عن تكرار قالب الصوتي تكراراً زائداً، مما قد يبعث الملالة والسآمة في نفس السامع أو القارئ حين تتعود الأذن نمطاً مألوفاً من الإيقاع الموسيقي فتقلّ متعة النفس به، فيحدث أن يثري القرآن الكريم التعبير بأنغام موسيقية متنوعة تنحدر فيها موجات النغم، وتتنوع أصداؤه، وتتصاعد درجاته.¹

وهو في كل ذلك يقيم علاقة وطيدة بين المعنى والنغم، ساعياً لتكوين وحدة إيقاعية في مستواها الخارجي والداخلي، وذلك من خلال وحدة التصوير والتعبير، ومما مثل لذلك الإيقاع في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤﴾ صُمُّ بَكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾﴾، ففي هذه الآية تتطافر الروابط التعبيرية والإيقاعية والتصويرية في تعميم الصورة ورسم كثافة الظلام فيها حتى تتناسق مع صورة المنافقين المظلمة، لذلك يبدأ الإيقاع بتكرار كلمة (مثل)، فجيء بالاسم الموصول المعرف بصلته وليس بذاته، ثم جيء بالفعل (استوقد) بهذه الصيغة المتضمنة لحروف الزيادة للإيجاء بشدة الطلب والالحاح عليه، وهو يكشف عما وراءه من نفوس قلقة معتمة تبحث عن ضياء، ثم جيء بكلمة (ناراً) بالتنكير للدلالة على أي إنارة ولو كانت قليلة، ثم كلمة (فلما) فيها معنى المفاجأة والسرعة، ثم إسناد ذهاب النور إلى الله، واستخدام كلمة (بنورهم) بدلاً من ضوئهم. وجمع (ظلمات) وأتبعها بالفاصلة (لا يبصرون) المتناسقة مع سياق التصوير.

فهذه الإيقاعية في الآيات منبعثة من الظواهر التعبيرية والتصويرية، لرسم صورة مظلمة محسوسة ملائمة لظلمة نفوس المنافقين، حتى إن هذه الظلمة وصلت ذروتها حين أفقدتهم الرؤية

¹ ينظر: فواصل الآيات القرآنية، ص 184.

² سورة البقرة، الآيتين 17 و18.

الصحيحة، فتعطلت حواسهم (صمّ، بكم، عمي) فلا رجعة لهم بعد ذلك إلى الحق وانقطع الأمل منهم (فهم لا يرجعون).¹

فلقد جمع القرآن الكريم بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي لها - وما هو بشعرٍ - وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يحدثه حسن التوزيع بين الحروف ذاتها والكلمات والعبارات، وموسيقى الحس حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس من تأثير تموجات الموسيقى، وموسيقى الروح، حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى التي سبق ذكرها، فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حية في تراكيب خالدة للغة العربية.²

وللإيقاع القرآني بعد هذا "صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منشورا إذا قرع السَّمع خلص له إلى القلوب من لذة وحلاوة ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب، والقلق وتغشاها الخوف والفرق، وتقشعر منه الجلود، وتترعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها،³ ومن ذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾.⁴

¹ ينظر: البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 01

² ينظر: سلامي عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص 222.

³ الأسلوبية الصوتية، ص 166

⁴ سورة الزمر، الآية 23

فعادة ما يحدث الإيقاع تأثيرا جماليا، قائما على الأثر الذي يتركه الصّوت في نفس المتلقي وفي شعوره، فالإيقاع فن في إحداث إحساس مستحب بالإفادة من جرس وسواه من الوسائل الموسيقية الصائتة.¹

لذا احتاج الإيقاع إلى "سمع يتقبله أو يستقبله ويستجيب له ويتجاوب معه، لأنه ذبذبات وتموجات لا ترى ولا تلمس،" ولعل هذا ما يوضح أن للإيقاع صلة وثيقة بالسمع، الذي يعتبر أداة تهدي إلى معرفة قيمة وجماليات مختلف الإيقاعات، الأمر الذي يهتز له شعور المتلقي وفقا للأثر الذي يتركه في النفس، بناء على درجة الإيقاع .

كل هذا ناتج عن النغمات الصادرة وفق خصائص يتفرد بها كل إيقاع، لأنه يؤدي وظيفة فعالة في إيجاد نوع من التواصل بين المتلقي وتلك الأصوات المؤثرة.²

إنه الفاعلية التي تنقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية، ذات حيوية منافية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية ، تختلف تبعا لعوامل معقدة.³

¹ بوزواوي محمد، قاموس مصطلحات الأدب ، دار مدني، الجزائر، 2003، ص53.

² الأسلوبية الصوتية، ص 165.

³ ينظر: أبو ديب كمال، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1981، ص230-231.

ب- المقطع:

"تتسم اللغة العربية بجمال نسيجها اللغوي والنطقي المتكون من الأصوات والمقاطع والمفردات، والمؤتلف بشكلٍ موسيقي تتقبّله الأذن وتستسيغه، وقد وظّف المقطع في الدراسات العروضية توظيفاً كبيراً بوصفه سمة للشكل الموسيقي في البيت الشعري."¹

فإذا كانت الأصوات هي العناصر البسيطة التي تتكون منها الكلمة العربية، فإن بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات، مرحلة وسيطة، هي مرحلة المقطع.²

"والوقوف على مقاطع أي لغة من اللغات، يكشف عن خصائصها التركيبية، ويفسر العديد من الظواهر الصرفية ذات المنشأ الصوتي، كما يوضح الأساس الذي انبثقت منه الأنماط النغمية الموسيقية للشعر."³ فالفونيمات لا حياة لها إلا في داخل المقاطع، لأنها لا تنطق من المجموعة البشرية بشكلٍ منفصل، وإنما على شكل تجمعات، فصفاتها وخصائصها وكيفية انتظامها في المقطع، إنما يعتمد على المقطع وتشكيلاته الصوتية.⁴

"إن المقطع الصوتي هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قواعد صوتية مكونة من أصوات صامتة تعلوها قمة مكونة من صوائت*، واتفق على كون هذه القمة عالية الإسماع".⁵

¹ عبد الكاظم، محمد، المساحة الدلالية في الصوت العربي، مجلة آداب البصرة، العدد 2006، ص 41، ص 46.

² يُنظر: شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية "رؤية جديدة في الصرف العربي" مؤسسة الرسالة، ط 1400، 1980م، بيروت، لبنان، ص 38.

³ قدور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق — سورية، ط 1996، 2، ط 1999، ص 114.

⁴ يُنظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، عمان، الأردن، ط 1، 1998.

* يُمكن للأصوات الغيرة أن تشكّل قمة المقطع في بعض اللغات. يُنظر: Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique général, édition, Bejaia, 2002, p. 76.

⁵ يحيى عباينة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، دار الشروق، عمان الأردن، ط 1، 2001، ص 15.

" وهذا التعريف صوتي فونيتيكي، أما التعريف الوظيفي للمقطع، فيذهب إلى وصفه كأصغر وحدة في تركيب الكلمة، من حيث تميزه من كل لغة.¹"

" فهو تأليف أصواتي بسيط تتكون منه - واحدا أو أكثر - كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها.²"

" وهناك من يعرفه بأنه أصغر وحدة تركيبية في الكلمة، أو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم، ويتألف من عدد من الصوامت والصوائت مصحوبة بظواهر صوتية أخرى كالنبر والتنغيم،³ " فهو مزيج من صامت وصائت يتفق مع طريقة اللغة وتأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع النفسي، فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يُمكن أن يُنتج إيقاعاً يعبر عنه المقطع المؤلف في كل الأحوال من صامت وصائت⁴ .

نستشف من ذلك أن إيقاع المقطع أساساً هو إيقاع عضلي، والعضلات المعنية هي عضلات التنفس،⁵ إلا أن بعض النظريات الايقاعية تُشير إلى أنماط من المقاطع القوية والضعيفة وإبرازها في بنية التركيب المقطعي على أنها سمات ايقاعية للمقطع.⁶

وقد رأى بعض اللغويين أن أفضل تعريف عملي للمقطع، ما دعا إليه اللغوي ج. فوث الذي وصف المقطع على أنه "جزء من أجزاء الكلمة المسلم بها، شأنه في ذلك شأن غيره من المصطلحات اللغوية الأخرى كالاسم والفعل.⁷"

¹ عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي، دار الصفاء، عمان الأردن، ط1، 1997م/1414هـ، ص 71.

² مالمبرج ، برتيل ، علم الأصوات ، تعريب ، عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، 1987، ص164

³ كشك أحمد، من وظائف الصوت اللغوي، ص21 نقلا ميهوبي ، الشريف ، المقطع الصوتي وبنية الكلمة.، جامعة منتوري ، الجزائر ، العدد 14 ، ديسمبر 2000 ، ص168.

⁴ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص 38.

⁵ يُنظر: النظام الصوتي التوليدي للسور المكية، ص 24.

⁶ يُنظر: نفسه ، الصفحة نفسها .

⁷ العناني محمد إسحاق، مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، 2006، ص 84.

" ويسجل الصوتيون أن أفضل تعريفٍ أحاط بالمقطع كما هو في تصوّر هذا الاتجاه، هو الذي قال به **دي سوسير**، حيث يُنصُّ على أن المقطع هو تلك الوحدة الأساسية التي تظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي.¹"

ومن تعريفات الدارسين العرب، تعريف الدكتور **رضوان القضماني**، فالمقطع عنده "أصغر وحدة كلامية منظومة لا تحمل معنى بذاتها، لكنها تجسد السمات النظميّة الصوتية في الكلام، وتحمل نبر الكلمة، ويتألف من اجتماع صامت وصائت ضمن ترتيب معيّن يحدّد طبيعة المقطع ونوعه.²"

"والتعريف السابق يعتبر المقطع وحدة لا تحمل معنى، وهذا مالا يوافق عليه الباحثون، لأن هناك كلمات تتكوّن من مقطع واحد و تحمل معنى، نحو (عُد، قُم، نَم، ذو...)، كما يوجد كلمات مقطعيها الأول يحمل معنى، نحو المقطع الأول/دع/ من دعه."³

ويعرّف المقطع كذلك بأنه كميّة من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها.³ وهو عند الدكتور **أحمد مختار عمر** "قطاع من تيار الكلام يحوي صوتاً مقطعيّاً ذا حجم أعظم ويحاط بقطاعين أضعف أو كستيكيا.⁴"

واعتبره الدكتور **عصام نور الدين** "نوعاً بسيطاً من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم، ويأتي بعده من حيث البعد الزمني في النطق، والبعد المكاني في

¹ فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، شرح: يوسف الغازي، مجيد النصر، دار النعمان للثقافة، جونتته، لبنان، د ت، دط، ص 57.

² حسين صلاح الدين سعيد، التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 31، العدد 2، 2009، ص77، نقلاً عن: القضماني رضوان، مدخل إلى اللسانيا، ص 97.

³ ينظر: عبد التواب رمضان، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ص62.

⁴ عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص241.

الكتابة، ويتكون من نواة مقطعية تكون عادة مؤلفة من صائت مصحوب بصامت واحد أو أكثر أو غير مصحوب.¹

وهو في عرف علم الأصوات الفونيتيكي أصغر وحدة صوتية يمكن أن تنفصل في تركيب الكلمة، فالكلمات تختلف من حيث عدد المقاطع التي تتكوّن منها الكلمة، فهناك من الكلمات ما يتكوّن من مقطع واحد، وهناك كلمات ثنائية المقاطع، وهناك كلمات تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع.²

وتكمن أهمية دراسة المقطع الصوتي في كونها تعرفنا بالصيغ الجائزة وغير الجائزة في اللغة المدروسة، ففي العربية مثلاً، تعيننا على معرفة الخصائص الصوتية والبنوية للكلمة العربية، مما يساعدنا على التفريق بينها وبين الكلمات ذات النسيج غير العربي، كما تفيدنا الدراسة المقطعية في معرفة موسيقى الشعر وموازينه، إلى جانب فوائد أخرى لها أهميتها في دراسة بنية الكلمة مقطعيًا.³

كما أنه القاعدة التي تتركز عليها ظواهر التشكيلية الكبرى فالمقطع الصوتي مصطلح أساسي في علم الأصوات التشكيلي، إذ هو الوحدة الأساسية للكلمة، ويستعمل كجزء من مستوى التحليل الفونولوجي، ويشير إلى مجموعة من التتابعات المختلفة من الصوامت والصوائت مع ملامح أخرى مثل النبر، الطول ممّا تهتمُّ به اللغات كمجموعة موحدة للتحليل.

ذلك أن الدراسة التشكيلية تنبني على أرضيتين مهمتين:

أ- "الوحدات المقطعية: وتشمل المقطع المفتوح، والمغلق المنتهي بصامت.

¹ نور الدين عصام، علم الأصوات اللغوية، الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، ط1992، ص189.

² ينظر: مذكور عاطف، علم اللغة بين القديم والحديث، منشورات جامعة حلب، 1991، ص112.

³ ينظر: مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، ص122، نقلاً: الشريف ميهوبي، المقطع الصوتي وبنية الكلمة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، العدد14، ديسمبر 2000، ص168.

ب- الوحدات فوق المقطعية: ويقصد بها الوحدات التنغيمية، كالنبر والوقف، والمفصل والانتقال¹.

وقد صنّف اللغويون المقاطع الصوتية وفقاً لاعتبارين أساسيين هما :

1- "طول المقطع: فقد اصطلح اللغويون على وصف المقطع بالطول أو القصر: فالمقطع القصير لا يزيد عن صوتين، والمقطع المتوسط الطول، يشتمل على ثلاثة أصوات، والمقطع الطويل (المديد)، ويشتمل على أربعة أصوات.

2- نهاية المقطع: لقد اصطلح العلماء على تسمية المقطع الذي ينتهي بصوت صائت بالمقطع المفتوح، أما المقطع الذي ينتهي بصوت صامت، فقد اصطلحوا على تسميته بالمقطع المغلق، ونجد أن معظم اللغات تعرف المقاطع المفتوحة، أما المقاطع المغلقة، فلا تعرفها إلا لغات قليلة، وعلى هذا فالمقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن أو مفتوح ومغلق، فالمقطع المتحرك، هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن، فهو الذي ينتهي بصوت ساكن².

وأنواع النسج في المقاطع العربية خمسة فقط، هي:

المفتوحة:

(1) صوت ساكن + صائت قصير.

(2) صوت ساكن + صائت طويل.

المغلقة:

(3) صوت ساكن + صائت صغير + صوت ساكن.

¹ نور الدين عصام ، علم الأصوات اللغوية ، الفونتيكا ، ص 190.

² المقطع الصوتي وبنية الكلمة، ص 168.

(4) صوت ساكن + صائت طويل + صوت ساكن.

(5) صوت ساكن + صائت قصير + صوتان ساكنان.¹

وهناك من أضاف إلى المقاطع العربية مقطعا سادسا، يأتي استثناء في حالة الوقف، وقد أطلق عليه المقطع المتماذي، وهو مقطع مقفل بصامتين، ووجوده في العربية الفصحى نادر، ولذلك لم يشر إليه أغلب الدارسين في معالجتهم للمقاطع العربية، وهذا المقطع يتكون من (صامت + حركة طويلة + صامتان)، ومثاله كلمة: (رادٌ - وشادٌ)، من (ردٌّ) و(شدٌّ)، وذلك في حالة الوقف، ورمزه (ص م م ص ص).²

كما أضاف تمام حسان مقطعا آخر "مكونا من (حركة قصيرة + صامت)، ورمزه: (م ص) وهذا المقطع قرين همزة الوصل، وهو في الفصحى مقطع افتراضي لا وجود له، لأن بداية هذا المقطع لن تتحقق إلا حين الوصل، حيث يعتمد المقطع على ما قبله وما بعده ليشكل نمطا مقطوعيا آخر. فإذا قلنا (قال اضرب) فإنها تتكون من المقاطع التالية (قأ-لض-رب)، ورمز هذه المقاطع هو: (ص م م-ص م ص-ص م ص)، وهنا لا وجود لذلك المقطع الافتراضي، حيث لا وجود لهزمة الوصل، كما يرى بعض الدارسين.³

"وقد ثبت أن المقاطع الثلاثة الأولى هي أكثر المقاطع شيوعاً في النسخ العربي، يليها في كثرة الشيوخ المقطع الرابع، فأما الخامس والسادس فلا يردان إلا في نادر الصيغ وبشروط خاصة، كأن يكون النطق بالكلمة في حالة الوقف، أو أن يكون اشتقاق الكلمة من مخفف اللام، وفي حالة الوقف أيضاً".⁴

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 164.

² ينظر: مالبرج، علم الأصوات، 201.

³ مناهج البحث في اللغة، 164، وما بعدها.

⁴ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 411.

وإذا نظر الدارس إلى الكلمة العربية من حيث بناؤها المقطعي، فإنه يلاحظ أن أقل ما تتركب منه هو مقطع واحد، وأن أكثره هو سبعة مقاطع، وتأتلف المقاطع من كل شكل من الأشكال السابقة التكوين إلى كلمات ذوات دلالات معجمية، فمن المقطع الأول (CV) تتألف الأفعال الثلاثية المجردة الواردة في صيغة الماضي نحو (ضرب، أكل، ...)، فكل كلمة من هذه الكلمات يتألف من ثلاث مقاطع من النوع الأول أي (CV، CV، CV)، أما ورود أكثر من ثلاثة مقاطع في هذا الشكل فممنوع في الكلمة المجردة من اللواحق، ومكروه قليل في الكلمة التي لحقها شيء من الزيادة نحو (شجرتك)¹، ومن المقطع الثاني (CVV) تتألف كلمات كثيرة شريطة ألا يتكرر المقطع نفسه ثلاث مرات في الكلمة المجردة، أما الكلمة التي لحقت بها زيادة ما، فإن ذلك مسموح نحو (زاروها)².

"ويرد المقطع الثالث (CVC) في تأليف الكلمة كثيراً، فهو يرد في أول الكلمة ووسطها وآخرها، نحو (قتل) (CVC، CVC)، وتمتاز المقاطع السابقة بطرق تشكيلية مختلفة لتشكل معنى الكلام العربي"³ أما المقطعان الرابع والخامس، فقد سبق أن قلنا إنهما قليلا الورد، وإنهما لا يسوغها إلا في حالات محددة كالوقف، وهما مع قلة ورودهما، خاصان بالنثر، ولا وجود لهما في الشعر⁴...

وقد لاحظ بعض الباحثين المحدثين أن الشاعر إذا واجه شيئاً من المقاطع الطويلة، تخلّص من هذه الصعوبة بطرق مختلفة⁵.

"فالشعر العربي الذي يحتوي في أوزانه المختلفة مجموعة محددة من المقاطع الطويلة والقصيرة، أي أنه ذو قياسٍ محدد، لم يتسع مطلقاً لهذه المقاطع المديدة"⁶ فإذا ما ورد، تلجأ العربية إلى إعادة

¹ ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 113.

² نفسه، الصفحة نفسها.

³ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 113.

⁴ ينظر: عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2000. ص 56.

⁵ نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ هنري فليش، العربية الفصحى، بيروت، ط2، ص 44 - 45.

ترتيب المقاطع، حتى يتسنى لها التخلص منه، وقد عدّ هذا التخلص لحناً حتى مع وروده في القراءات الصحيحة السبعية والشعر العربي وسعة الكلام.

ففي قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ¹ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ...﴾¹،

قرأ نافع وابن عامر من السبعة وهشام بخلاف عنه (أتحاجوني) وأدغم باقي السبعة هاتين النونين،² وقد فسّر بعض العلماء المعاصرين هذا التخفيف على أنه حذف لتوالي الأمثال.

ويميل يحي عبابنة إلى تفسير هذا الحذف بغير قانون الحذف، فيمكن أن تكون كراهة هذا النوع من المقاطع هي التي سببت إعادة ترتيب المقاطع الصوتية على نحوٍ يخلصها منه.³

ويُمثّل ذلك بالكتابة الصوتية:

في قراءة ابن عامر ونافع

a/tu/hag/ga/ni

في قراءة الجمهور

أتحاجوني - اتحاجوني

تخلص اللغة من أحد المقطعين المكروهين عن

طريق حذف الحد المغلق للمقطع الثاني.⁴

a/tu/hag/gun/ni

تكرر فيها مقطعين من النوع المكروه

¹ سورة الأنعام، الآية 80.

² يُنظر: ابن زنجلة، أبو زرعة، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ/1997، ص 257.

³ يُنظر: يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، ص 34.

⁴ يُنظر: دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا، ص 34.

وإلى مثل هذا التعليل ذهب القادر عبد الجليل في تحليله لكلمة (قُمت)، فبناؤها المقطعي يفرض عليها هذه الحالة التركيبية على وفق التالي: س ع س + س ع.

وهذا هو واقع اللفظة التي تجري عليه العربية، وأصل تحولاته:

قام ← قام + ت.

س ع س + س ع.

وبما أن المقطع (س ع س) غير مرغوب في العربية، حيث يكون ابتداءً لا آخرًا، وعندما يوقف عليه، لذا كان لابد من تقصيره عن طريق عامل المخالفة الكمية Dissimilation Quantity، لذا جاء البناء على هذه الصورة.¹

ومن أمثله في كتاب الله عزّ وجلّ، ما يحدث في ضم ميم الجمع أو إسكانها، وذلك أن تكون متبوعة بساكن، نحو قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا...﴾².

ومن هذا المنطلق ضبط الدارسون قواعد يتحدد من خلالها النسيج المقطعي للعربية، فذكروا أنه ينبغي:

- 1- أن يبدأ بصامت، فلا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة شأن الكلمة الإنجليزية (it) أو الفرنسية (ah)، فالشكل المقطعي (م ص) غير موجود في العربية، إلا إذا استثنينا المقطع الذي يبدأ بهمزة وصل في حالة عدم الوصل.
- 2- أن لا يبدأ بصامتين في أوله، فلا يمكن أن يتضمن المقطع العربي شكل (ص م ص) مثلا أو (ص ص م) كما في كلمتي programme الفرنسية، و street الإنجليزية.

¹ عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 413.

² سورة آل عمران، الآية 112.

3- أن وسط الكلمة لا يقبل أن يتجاوز أكثر من صامتين، مثل: يكتب أحمد درسه، ففي الكلمة الأولى تجاوزت الكاف والتاء مباشرة، وفي الثانية الحاء والميم، وفي الثالثة الراء والسين، فإذا تجاوزت ثلاثة صوامت في حالة الوصل بين الكلمات حرك الصامت الأول للتخلص من هذا التجاور المنافي لسلامة البنية المقطعية في العربية، ومثال ذلك: (من الأرض) و(لم يضرب الفتى)، ففي الأول اجتمع ثلاثة صوامت وهي (النون واللام والهمزة)، ص م ص ص م (...)، وللتخلص من هذا التجاور الذي تأباه العربية يحرك الصامت الأول من الثلاثة المجتمعة فتصير: ص م ص م ص م (...). وكذا الأمر بالنسبة للثانية فقد اجتمع ثلاثة صوامت، وهي: (الباء واللام والفاء)، وما جرى على الأولى يجري على الثانية، حيث تحرك الباء.¹

والدارسون في ضبطهم هذا إنما ارتكزوا على قيم العربية وقوانينها الصوتية، من كراهية لالتقاء الساكنين، إلى التوصل للنطق بالساكن، إلى دفع للتوالي المكروه إلى آخر ذلك من السمات الصوتية للعربية.

على أنه ينبغي الإشارة إلى ماتوصلت إليه بعض الدراسات الحديثة من اعتبار الميزان المقطعي أصلح للغة العربية من الميزان الصرفي لاعتبارات أهمها:

1- أن الميزان الصرفي يتعامل مع مجموعة معينة من كلمات اللغة، تتمثل في الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة، ويخرج من تعامله المبنيات، كالضمائر وأسماء الشرط وأسماء الأفعال، والأفعال الجامدة، والحروف... الخ فهو لايسع كل كلمات اللغة، فهو بإمكانه أن يزن: ذهب، ولكن ليس بإمكانه أن يزن حرف الجر(عن) أو الفعل الجامد (ليس)، لأن أصلها مجهول وهو يعتمد على فكرة الأصول.

¹ ينظر: المقطع الصوتي وبنية الكلمة، ص 171.

" أما الميزان المقطعي، فهو يتوقف عند فكرة الأصول، فكل كلمات اللغة صالحة للدراسة، ولا يوجد هناك استثناء لبعضها، وبإمكان الميزان المقطعي أن يزن كل كلمة واردة في اللغة العربية، انطلاقاً من مقاطعها الصوتية وما يقابلها في الميزان.¹"

2- أن الوزن الصّرفي نابع من نظرة الصّرفيين العرب للعربية وتفسيرهم لكلماتها، وقد نشأ ذلك الوزن وفق نظرة ومنهج صاروا من خصوصيات الصرف العربي. أما الوزن المقطعي فهو وزن عام يمكن أن يطبق على أية لغة بشرية، ولذلك فهو أصحّ لدراسة بنية الكلمة العربية وجعلها أساساً يصلح للمقارنة، ويمكنها من أن تعرض خارج حدودها لتتعرف عليها الشعوب الأخرى بكل سهولة ويسر، فالقارئ الأجنبي بإمكانه أن يتعرف على صيغها الفعلية، وما يطرأ عليها من تغيرات حين تحول من صيغة إلى أخرى كتحويل الماضي إلى المضارع، وذلك وفق الوزن المقطعي، وباستخدام الأبجدية الصوتية.

هذه هي أهم خصائص البنية المقطعية للغة العربية، وعلى أساس ضوابطها وخصائصها، سنحاول التعرف على البنية المقطعية لكتاب الله عز وجل، وذلك في نماذج منتقاة من القرآن المدني.

ج- التحليل المقطعي:

• الكتابة المقطعية²:

فيما يلي الدراسة المقطعية لعدد من الآيات من ثلاث مواضع من السور المدنية- الآيات (1) إلى (5) من سورة الطلاق، (10) إلى (12) من سورة التحريم، من (2) إلى (10) من سورة آل عمران.

¹ المقطع الصوتي وبنية الكلمة، ص172، نقلاً: من وظائف الصوت اللغوي، ص25-40.

² استعملت الأرقام للدلالة على نوع المقطع: ص م = 1، ص م = 2، ص م ص = 3، ص م ص = 4، ص م ص ص = 5.

الموضع الأول : من سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٨﴾ لَإِنَّ إِلَهَهُ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴿١١﴾ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿١٢﴾ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴿١٣﴾ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٤﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٥﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿١٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴿

التقطيع¹:

1 1 3 3 1 2 13 3 1 1 1 3* 1 2 3 3 3 3 1 2 3 1 1 1 2 1 1 3* 4 4 3 1
3 1 3 1 1 2 3 3 1 1 3 3* 1 2 3 3 1 2 3 3 1 3 1 1 3 1 1 3 2 1 3 1 3
4 1 3 3 2 1 1 1 3 3 2 1 3 2 1 3 1 1 1 3 2 1 1 2 1 1 1 2 1 3 3 1 2 3

¹ ينظر: حجري فاطمة، البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1431هـ/201م، ص144.

2 3 3 3 1 1 3 1 2 1 3 1 * 1 2 1 3 2 1 1 3 3 3 3 1 3 1 2 3 2 1 1 3 3 *
 1 1 3 1 2 3 3 1 1 1 3 2 1 3 * 4 1 3 2 1 3 1 2 3 1 2 1 2 1 2 1 1 3 1
 3 1 3 3 3 1 2 1 2 1 2 1 3 3 1 3 2 1 2 1 1 3 1 1 1 3 1 3 3 2 1 3 3 1
 1 3 1 3 3 3 1 1 2 3 1 1 2 2 1 1 3 3 1 2 1 2 3 3 3 3 1 1 2 3 1 1 1 1
 2 1 3 1 2 1 3 1 3 1 3 2 1 2 1 3 1 2 2 1 3 * 4 3 2 2 2 3 1 1 3 3 2 1 2
 3 1 2 1 3 2 3 3 1 1 2 3 1 2 1 1 3 2 3 3 * 4 3 3 3 1 1 3 3 1 3 1 3 1 3
 1 3 1 2 3 2 1 3 1 2 3 3 3 1 1 3 3 2 1 1 1 2 1 3 3 * 4 2 3 1 3 2 1 1 3
 * 4 3 2 1 3 1 1 1 2 1 3 3 1 1 3

الموضوع الثامن من سورة الطلاق

قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ط وَأَتَّقُوا
 اللَّهُ رَبَّكُمْ ط لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ع
 وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ع لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ
 ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا
 ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ع ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ع وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ع وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ع إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ع قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ
 الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ ع وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ

أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ^د مِنْ أَمْرِهِ^{هـ} يُسْرًا ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ^د
إِلَيْكُمْ^ج وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ^{هـ} وَيُعْظِمَ لَهُ^د أَجْرًا ﴿٢﴾

التقطيع :

1	2	1	5	3	3	2	1	1	3	1	4	1	3	2
4	3	1	1	3	1	1	3	1	1	3	2	1	3	3
2	1	3	2	3	1	3	1	1	4	1	1	1	1	3
2	3	1	3	3	2	1	1	3	1	2	1	3	1	3
1	3	1	1	3	1	3	1	1	2	1	1	2	3	3
2	1	1	3	1	1	1	3	1	1	3	2	1	1	3
3	3	1	3	2	3	3	1	1	1	3	1	1	1	3
2	11	**	4	3	1	1	1	1	3	1	1	3	1	1
1	1	3	2	1	3	1	1	3	1	1	1	1	3	1
3	1	3	2	3	1	1	3	2	1	2	3	3	1	3
1	2	1	4	2	1	1	3	3	3	3	3	1	2	1
1	2	3	1	1	1	1	2	3	1	1	1	1	3	1
3	3	1	1	1	1	3	3	3	1	1	3	1	1	3
3	3	1	***	2	1	3	1	1	5	3	1	1	3	1

3	3	1	1	3	1	1	1	1	3	2	1	3	3	1
1	2	1	3	3	1	1	3	1	1	1	1	1	3	1
3	1	3	1	1	1	3	1	3	1	1	3	1	1	2
2	1	3	1	1	3	1	2	2	3	***	3	3	3	3
1	3	1	1	3	1	33	3	1	3	1	2	1	3	1
1	3	1	3	2	2	3	3	1	3	1	1	2	1	1
3	1	3	1	3	1	1	1	1	2	3	3	2	3	1
1	5	3	1	1	3	1	3	3	1	1	3	1	3	1
1	3	3	1	1	1	***	3	3	1	1	3	2	1	1
1	1	3	1	3	3	1	3	3	1	1	1	1	3	1
3	3	1	1	1	1	2	1	3	1	3	1	1	3	1
											.3	3	3	1

الموضع الثالث : من سورة التحريم

قال تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۗ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

النقط : يع

	4	1	1	1	2	1	3	3	1	1	1	1	3	1	1
	3	2	1	2	3	2	1	1	1	3	3	2	1	1	1
	2	1	1	3	1	2	2	1	2	1	3	1	3	3	1
	1	3	1	2	1	3	2	1	3	3	1	2	1	2	1
***	4	1	2	3	1	1	2	4	1	3	2	1	3	3	
	1	2	1	2	1	3	3	1	1	1	1	3	1	1	1
	2	4	3	3	2	3	1	3	1	3	3	1	1	1	4
	3	2	1	3	1	1	1	3	3	3	3	1	1	3	2
	3	1	2	1	3	1	1	1	1	1	1	1	1	3	3
	2	3	1	1	3	1	3	1	***	4	1	2	3	3	3
	1	2	2	3	1	1	2	1	3	3	1	3	2	1	3
	1	2	1	1	1	1	3	3	1	1	1	2	1	2	3
	1	2	3	1	3	2	1	1	1	1	1	1	2	1	3

- العملية الإحصائية :

- عدد مقاطع الآيات من سورة آل عمران

عدد	نوع المقطع
49	ص م
63	ص م ⁻
129	ص م ص
08	ص م ⁻ ص
00	ص م ص ص

- عدد مقاطع الآيات من سورة: التحريم

عدد	نوع المقطع
90	ص م
35	ص م ⁻
52	ص م ص
07	ص م ⁻ ص
00	ص م ص ص

- عدد مقاطع الآيات من سورة الطلاق

نوع المقطع	عددتها
ص م	150
ص م̄	30
ص م ص	103
ص م̄ ص	04
ص م ص ص	01

• التحليل :

"إن أي دراسة تعنى بالإيقاع الصوتي، ينبغي لها أن تقدم معرفة واضحة عن بنية التشكيل المقطعي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال معرفة المقاطع وأنواعها من حيث المفتوحة منها والمغلقة وعددها، وكيفية توظيف المقاطع القوية (heavy syllables)، والمقاطع الضعيفة (light syllables)، داخل بنية التشكيل المقطعي، إلى جانب معرفة طبيعة تجمع الفونيمات داخل بنية الكلمة والتركيب النحوي وكيفية تساوقه مع الإيقاع النفسي".¹

من هذا المنطلق قمنا بتحليل مجموعة من الآيات اخترناها من ثلاث مواضع مختلفة لسور من القرآن المدني، ومن خلال النتائج المتحصل عليها، لاحظنا احتلال المقطع الأول (ص م) أول المراتب، ويليه المقطع من نوع (ص م ص)، ثم المقطع من نوع (ص م)، أما المقطع (ص م ص)، فجلّ مواضعه في حالات الوقف وبعض منها في حالة التقاء الساكنين؛ هذا إذا ما نظرنا إلى المقطع من الناحية الوظيفية، لا من الناحية الصوتية، أما المقطع (ص م ص ص)، فتواجهه قليل جداً، يظهر فقط في حالات التقاء الساكنين فما فوق.

¹ النظام الصوتي التوليدي للسور المكية، ص33

"وتوالي المقاطع من النوع الأول أو من النوع الثالث جائز مستساغ في الكلام العربي، وإن كانت اللغة العربية في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النوع الأول، أما توالي النوع الثاني فهو مقيد غير مألوف في الكلام العربي، فهو لا يسمح بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع."¹

فاللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة، وهي التي تنتهي بصوت صامت، ويقبل فيها توالي المقاطع المتحركة خصوصاً حين تشتمل على صوائت قصيرة.²

وقد أشار النحاة من القدامى إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة، حيث قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكراهته فيما هو كالكلمة، ومعنى قولهم هذا (كما يعبر عنه المحدثون، أن اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة، إذ تقول (استفهم)³، وتفسير ذلك من الناحية الفيزيولوجية، يعلل سرّ هذا التكوين المقطعي، فترتيب المقاطع الصوتية من ناحية الجهد النطقي، يوقعنا على المعطيات التالية:

– الجهد المبذول لإنتاج الحركة، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصامت.⁴

– الحركة الطويلة أصعب في النطق، من الحركة القصيرة، لكونها بمكانة حركتين قصيرتين، فالفرق بين حركة قصيرة، وأخرى طويلة هو تقريباً مضاعفة القصير أو أكثر.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 166.

² نفسه، ص 163.

³ نفسه، ص 164.

⁴ أحمد، مهدي عناد، التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أمودجا)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2001، ص 34.

- من الطبيعي أنه كلما زاد طول المقطع، زادت صعوبته لاحتوائه أصواتاً أكثر.¹
- صعوبة النطق بما يُعرف في ميدان الدرس المقطعي، بالعنقود الفونيمي أو الصوتي (Sound clusteur) وهو "اجتماع أكثر من صامت في بداية المقطع أو نهايته"،² ومما يُؤكّد ذلك أن العربية تكره تتابع الصوامت، فلا يبدأ المقطع فيها بصامتين كما لا يبدأ بحركة، ولا ينتهي بصامتين إلا في سياقات معيّنة، أي عند الوقف، أو إهمال الإعراب.³
- فالعربية لاتقبل المقاطع المبدوءة بصامت ساكن وفقاً لقاعدة المعروفة (أنه لا يبدأ بساكن)، ولنفس السبب لا توجد فيها صيغ (أي تركيبات مقطعية) مبدوءة بصامت ساكن، كذلك لا يبدأ فيه بحركة قبل حرف صامت.⁴
- "ففي بداية الكلمة يتحاشى العربي أن ينطق بمجموعة من الصوامت الانفجارية المتصلة، وذلك بأن يأتي بمصوت، فيقال (آ) كتب بدلاً من: (كتب)... وحيث وجب الإتيان بصامت لبداية المقطع، فقد اصطُح أن تكون الهمزة."⁵

¹ راجع: التحليل الصوتي للنص، ص 36.

² نفسه، ص 36.

³ يُنظر: نفسه، ص 36.

⁴ ينظر: جبل، حسن حسن محمد، المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 14729/هـ 208م، ص 170.

⁵ هنري فليش، العربية الفصحى، ص 43.

هذه الهمزة أو الصائت المساعد يسقط من الكلمة عندما تنتهي الكلمة السابقة عليه

بصائت، إذ يستخدم هذا الصائت في وصل مجموعة الأصوات الصامتة¹.

"وبيان الجانب الصوتي في صائت الايصال أنها صوت يعين على تحريك الصوت الساكن،

لكي يوافق بناء العربية التي تقتضي أحكامها أن لا يبدأ بصامت، ولا يوقف على صائت.²"

على أن هذه الحقيقة العلمية لا تنفي أهمية المصوتات داخل النسيج المقطعي للعربية، "ذلك

أن الصوائت تشكل نواة المقطع، وترتبط بالمصوت على الأغلب سمات المقطع من الغلق والانفتاح

والطول والقصر إلى جانب القوة والضعف، وينحاز المصوت داخل بنية التشكيل المقطعي بأنه

يجذب النبر، والنغمة والطول.³"

بل إنَّ من الباحثين من يُؤكِّد على فرضية مفادها "أن المقطع المفتوح هو الأصل، وأنَّ انتهاء

الكلمة العربية بحركة قصيرة أو طويلة سمة من سماتها، ومظهر عظيم الأهمية من مظاهرها.⁴"

ويدلل على ذلك بمجموعة من الإجراءات الصوتية، التي أجراها العربي في كلامه التماساً

للحركة وجذباً لها، فكثير من العرب لا يقفون على الكلمة بالسكون، بل هم يلتمسون الحركة

على وجه من الوجوه الآتية:⁵

¹ يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 409.

² علم الصرف الصوتي، ص 77. ويُنظر: السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ص 222/6.

³ النظام الصوتي التوليدي في السور المكية، ص 35.

⁴ الجنابي، طارق عبد العون، قضايا صوتية في النحو العربي، ص 382.

⁵ يُنظر: نفسه، ص 381.

1- "الروم: وهو الإتيان بالحركة مع إضعاف صوتها، والغرض به الفرق بين الساكن

والمسكن في الوقف".¹

2- الإشمام: وهو ضمّ الشفتين بعد الإسكان في المرفوع والمضموم للإشارة للحركة من غير

صوت،² وليس للسمع فيه حظّ، ولذلك لا يُدركه الأعمى ويدركه بالتعلّم بأن يضمّ شفّتيه إذا

وقف على الحرف.³

وذلك نحو "قراءة الكسائي بإشمام القاف الضم،"⁴ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ...﴾

⁵، ومنه في الأفعال التالية: (سيق)، (جئ)، (حيل)؛ "وحقيقة الإشمام في هذه الأفعال أن يُنتحى

بكسر أوائلها انتحاءً يسيراً نحو الضمة، دلالة على أصلها (فعل) كما يُنتحى بألف (رمى) نحو

الياء، دلالة على أنها منقلبة منها".⁶

3- إبدال النون ألفاً في المنصوب المنوّن، وفي (أذن)، وكذلك نون التوكيد الحقيقية.

¹ الشنقيطي، أحمد بن الأمين (ت 1331هـ)، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1999م، ص 563/2؛ ويُنظر: الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد (371هـ-444هـ)، التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد، تحقيق ودراسة: أحمد عبد التواب الفيومي، مكتبة وهبة، ط1، 1993، ص 204.

² نفسه، ص 563/2.

³ همع الهوامع، ص 208/6.

⁴ ابن خالويه إعراب القراءات، ص 67/1.

⁵ سورة البقرة، الآية 11.

⁶ ابن بادش، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت 540هـ) الإقناع في القراءات السبع، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ. ص 534/1 - 535.

4- إشباع الضمة لتصير واواً، وإشباع الكسر لتصير ياءاً، وإطلاق الفتحة ألفاً، فكأنما

تستريح السليقة للحركة، وهي لغة أزد سراً¹.

و قد أضاف تمام حسان مقطعا آخر وهو الأقصر في رأيه والذي يمثل حرفا صحيحا مشكلا بالسكون، مثل لام التعريف وسين الاستفعال، ولا بد في هذا الحرف الذي يكون مقطعا كاملا من أن يكون مشكلا بالسكون، متلوًّا بحرف متحرك وأن يكون في بداية الكلمة.²

"أما المقطع الرابع فلا يجوز في اللغة العربية الفصحى إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو في وسطها، بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئاً بصامت يُماثل الصامت، الذي ختم به المقطع السابق،"³ حيث يعمد العربي في هذه الحالة إلى تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين منفصلين بواسطة همزة، وبذلك يُصبح المقطع المديد مقطعين قصيرين، وذلك مثل (إحمأر)، (ولا الضالين)، فقد كان على هؤلاء العرب أن يجروا تقسيمهم المقطعي بطريقة ربما أبتت على المقطع المديد، ولكن كراهيتهم له جعلتهم يلجؤون إلى حيلة أخرى لتحاشيه.⁴

"فهذه الحالات التي يرد فيها هذا النوع من المقاطع، ومن ثمّ فإنّ المجيء به فصلا في غير ما ذكرنا، مكروه تأباه العربية ولا تكاد تسيغه،"⁵ لذلك لجأت إلى عديد الأساليب للتخلّص منه،

¹ يُنظر: قضايا صوتية في النحو العربي، ص 382.

² ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 69.

³ لحن العامة والتطور اللغوي، ص 56.

⁴ ينظر: العربية الفصحى، ص 45.

⁵ أثر القوائن الصوتية في بناء الكلمة، ص 114.

ومن ذلك الكسر على أصل التقاء الساكنين، وهو تعبير اتخذه علماء العربية للتعبير عن نوع من أنواع العمليات الصوتية التي لجأت إليها اللغة لتخلص من مقطع لا يقبله النظام المقطعي للغة العربية، وهذا المقطع ينتج بسبب بعض العلاقات النحوية الصوتية الطارئة على أشكال محدودة من أشكال التراكيب اللغوية.¹

ففي قوله تعالى ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا﴾²، قرأ الجمهور: لا تضار بفتح الراء المشددة على أن لا حرف هي وتضار مجزوم بلا الناهية والفتحة لتخلص من التقاء الساكنين، الذي نشأ عن تسكين الراء الأولى ليتأتى الإدغام وتسكين الراء الثانية لجزم وحرك بالفتحة لأنها أحف الحركات.³

"ومن الأمثلة التي يُمكن أن نسوقها لتوضيح هذا، حروف الجزم الداخلة على الأفعال المضارعة المسندة إلى المعرف بـ (أل) التعريف، فحرف الجزم يؤثر في الفعل المضارع صوتياً فيجزمه، فيصبح ساكن الآخر، وينضم الصوت المتبقي من المقطع بعد حذف نواته إلى المقطع السابق، مشكلاً معه مقطعا جديدا من النوع الثلاثي القصير المغلق، وأما همزة الوصل في (ال) التعريف، فتسقط في درج الكلام، ويبقى منها في هذه الحالة صوت اللام الساكنة الذي لا يمكن أن يشكل مقطعا مستقلا بذاته، لأنه يفتقر إلى النواة التي تحمل النبر، ولا يوجد ما يمكن أن

¹ ينظر: تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 2000، ص 28.

² سورة البقرة، الآية 233

³ التحرير والتنوير، ص 432/2.

ينضم إلى هذا الصوت من مقاطع، لأن المقطع السابق مغلق بصامت، وليس في العربية مقطع يُمكن أن يغلق بصامتين، ولذلك نلجأ إلى إعادة ترتيب المقاطع في التركيب بما يتلاءم مع النظام المقطعي للعربية.¹

من ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ^ط

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً^ط وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ^ط وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^٢﴾.

فقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، تتكون من المقاطع التالية:

لا/يت/ت-خ/ذأل/مؤ/م/نوا/ن

ص م/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م

وعندما تلجأ العربية إلى التخلص من همزة الوصل في درج الكلام تصبح المقاطع نظرياً (لا يتخذ لمؤمنون).

ص م/ ص م/ ص م

¹ يحيى عباينة، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص 36.

² سورة آل عمران، الآية 28.

ولما كان المقطع الأول (1) غير جائز في العربية، ولا يُمكن أن ينظم إلى المقطع السابق لأنه سيصبح (ص م ص ص)، وهذا غير جائز في العربية إلا إذا كان المقطع يمثل كلمة واحدة في الوقف عليه، وهذا ما لا يتوافر في هذا المقطع لجأت اللغة إلى استخدام كسرة أطلق عليها عملية الكسر على أصل التقاء الساكنين.¹

فيتغيّر ترتيب المقاطع، ويصبح على النحو التالي:

لا يتخذ لـ مؤمنون

ص م / ص م ص / ص م

وهي مقاطع جائزة في نظام العربية المقطعي.²

على أن وجود مثل هذه الإجراءات الصوتية دفعت بعض الدارسين إلى تقديم اجتهادات حاولوا من خلالها إعادة ضبط تقسيم المقاطع في العربية، فمن خلال نظرة في أنواع المقاطع -يقول أحد الدارسين في محاولة اجتهادية منه - " رأينا أن المحدثين سابقا اتفقوا على خمسة أنواع من المقاطع، ومن ناحيتنا نوافق على (الأول والثاني، والثالث) بشروط، ونضيف نوعا جديدا، ونرفض اعتبار المقطعين الرابع والخامس من المقاطع الصوتية، وسنوضح ما ذهبنا إليه بالآتي:

¹ ورد في تهذيب معاني القرآن وإعرابه، القراءة بالجزم وكسر الذال لالتقاء الساكنين، ص 263/1.

² ينظر: البناء التشكيلي لسورة آل عمران، ص 148.

- المقطع الرابع (صامت + صائت طويل + صامت): نحو كلمة (باب)، وتتكون في نظرنا من مقطعين (با-اب)، وليس من مقطع واحد، وذلك للأسباب الآتية:

- أ - "الكلمة فيها المقطع (با) من النوع الثاني، وهو نفسه في (بارد) و(باعد)، وهو مقطع كامل، ولا يجوز إضافة أصوات أخرى إليه، لأنه بذلك يفقد الخصائص التي جعلته مقطعا، وهو إلى ذلك من المقاطع ذات النهاية المفتوحة، لأننا نسنطيع مدّ الصوت خلال نطق الألف بقدر ما يسعنا النفس، ويمكننا الوقوف عند الانتهاء من نطقها، في حين أن المقطع الصوّتي لا يمكن عزل أصواته عن بعضها، لأنها تشكل وحدة صوتية غير قابلة للفصل.¹

- ب - "اعتبار هذه الكلمة مكونة من مقطعين يتعارض مع تعريف المقطع، بأنه الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصوي، سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا، وذلك لأن جهاز التصويت، أغلق ثم عاد وانفتح خلال نطق الألف، وإذا اعتبرنا (باب) مقطعا واحدا سيحدث في هذه الحالة غلق عند نطق الباء وفتح عند نطق الألف، وغلق عند نطق الباء الثانية ثم فتح لازم، وذلك لأنه لا يمكن نطق صوت انفجاري دون انفجار يصحبه فتح في الجهاز النطقي، وكل تلك العمليات النطقية من (غلق، وفتح، غلق، وفتح) لا يمكن أن تتم في مقطع صوتي واحد.

¹ التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي)، ص74.

- ج - المقطع كتلة صوتية لا يمكن فصل أصواته عن بعضها، في حين أننا يمكن أن نقول (با) ونسكت دون أن ننطق الباء الثانية، وبذلك يتم الفصل بين المقطع الأول (با) والصوت الصامت الساكن بعده.¹

-د- حل إشكالية الصوت الصامت المتبقي: إذا جعلنا (با) مقطعا في كلمة (باب)، فإن الإشكالية تبقى هي معرفة ماهية الباء الساكنة، التي بمفردها لا نعتبرها مقطعا، كما لا يمكن نطقها بمفردها ساكنة، وقد وجدنا من خلال فهمنا لعملية القطع الصوتي - يقول الباحث - أن الصوت الصامت يسبق بتخامد يحدث قبل، وبذلك يسبق الصوت الصامت الذي بعد الألف بحركة قصيرة ناتجة عن التخامد خلال قطعها. ولذا فكلمات مثل (باب - نام - قاد) ، تكون في نظرنا - يقول الدارس - من مقطعين :

- الأول يتكون من صامت وحركة طويلة نحو (با ، نا، فاء...) .

- الثاني يتكون من (تخامد صوت الألف عند قطعه + الصامت الساكن) ، نحو (اب، ان، اق....) ، وهذا ما يحدث خلال نطق همزة الوصل مع الصامت الذي بعده.

كما أنه يرفض المقطع الخامس وتحليله كالتالي:

¹ التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي) ، ص74.

- "المقطع الخامس (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت). ولعل الأسباب التي أوردتها عن رفضه اعتبار المقطع الرابع مقطعا صوتيا هي أكثر وضوحا في رفضه للمقطع الخامس نحو (بنت)، لأن:
- أ- (بنت) فيه (بن) مقطع من النوع الثالث، ولا يجوز أن نكمل نطق مقطع، ونضيف إليه أي صوت، ونعتبر كل تجمع من الأصوات مقطعا.
- ب- لا يمكن تسكين الصَّوت الأخير (التاء)، لأنه مسبوق بصوت ساكن.¹
- ج- نستطيع أن نقول (بن) ونوقف النطق: لأننا بغلق الجهاز النطقي نكون قد أنهينا نطق المقطع، ولكن دون التاء.
- د- المقطع (بن) من المقاطع ذات النهاية المغلقة، وهذا يتعارض مع تعريف المقطع، لأن الغلق سيتبعه فتح، ونحن نعرف أن بين كل غلق وفتح مقطعا جديدا.²

¹ التشكيل المقطعي، ص 74.

² نفسه، الصفحة نفسها.

وبناء على ماسبق تكون المقاطع في نظره على الشكل الآتي :

- 1- مقطع قصير مفتوح: ويتكون من (صامت + حركة قصيرة)، وشرطه ألا يأتي بعده حرف ساكن، كيلا يصبح مقطعا من النوع الثالث، وينشأ من تضيق أوسد + حركة قصيرة.
- 1- الناتج عن التضيق + الحركة القصيرة: ومثاله المقطعان الأول والثاني من كلمة (صعد).
- 2- الناتج عن السد + الحركة القصيرة: ومثاله المقاطع /ك/،/ت/،/ب/ في (كتب).¹
- 2- المقطع الطويل المفتوح: ويتكون من (صامت + حركة طويلة)، وشرطه ألا يأتي بعده حرف ساكن كيلا يصبح من النوع الرابع، وينتج عن سد أو تضيق + حركة طويلة.
- 1- الناتج عن تضيق وحركة طويلة، ومثاله الصوت الصامت الاحتكاكي مع الحركة الطويلة، نحو المقطع /فا/ في فارق .
- 3- الناتج عن مد وحركة طويلة، و مثاله الصامت الانفجاري (ت) + الحركة الطويلة (الألف) في كلمة (تابع) .
- 3- مقطع طويل مغلق، ويتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت)، وشرطه ألا يأتي بعده حرف ساكن كيلا يصبح من النوع الخامس (صامت + حركة قصيرة+صامت+صامت)، نحو (بنت) .

¹ نفسه، الصفحة 75.

وهو مقطع يحصل بين عمليتين من عمليات الغلق أو التضييق، ويتكون من :

- بين غلق و غلق والحركة القصيرة.
- بين تضييق وتضييق والحركة القصيرة.
- بين غلق وتضييق والحركة القصير .
- بين تضييق و غلق والحركة القصيرة.¹

4- المقطع الرابع : حركة تخامدية + صامت، ومثاله همزة الوصل مع الصامت الذي بعدها، وهذا النوع أطلق عليه المحدثون اسم **المقطع الطويل المغلق**، ويحصل قبل الغلق أو التضييق وهو:- الناتج عن همزة الوصل والصامت الذي بعده ، ومثاله المقطع الأول من /اس/ في استغفر، والمقطع الأول من (اب/ في ابتعد .

- الناتج عن التّخامد الحاصل في الصوت المستمر عند قطع الصائت الطويل (الألف والواو ، والياء)، ويتمثل بحركة قصيرة، ناتجة عن القطع + الصوت الصائت والصامت الذي بعده .

فهذه محاولة لتقديم تقسيم جديد للمقاطع ضمن نسيج اللغة العربية، وهي في مجملها تحاول إيجاد تخرّيج، وشرح لطبيعة المقطعين الرابع والخامس في العربية، ذلك أن تواجدها في النسيج مرتبط بظروف معينة، ثم إن الجنوح للتخلص منهما، يتخذ أشكال عدة.

¹ التشكيل المقطعي، ص75.

ومن ذلك حذف الواو: إذ تحذف الواو في حال تكرارها، في مثل قوله تعالى ﴿وَلَا

تَلُورَنَّ﴾¹، ﴿لَا يَسْتَوْنَ﴾²، ﴿دَاوُدُ﴾³، يقول الداني: "حذفت إحدى الواوين من الرسم

اجتزاء بإحدهما إذا كانت الثانية علامة للجمع، أو دخلت للبناء،"⁴ ويبدو أنهم كتبوا الواو للدلالة

على علامة الرفع، سواء أكانت في وسط الكلمة، أو في طرفها، فإثبات الواو في وسط الكلمة جاء

مطردا، مثل: قولاً، قوماً، إلا أن تجتمع صورتان للواو، فقد جرى الرسم على حذف إحدهما"⁵.

ويعود السبب في هذا الحذف إلى تقصير المقطع الطويل (ص م ص م ص ص) وتحويله إلى

(ص م ص ص). وهذا التحليل لم يغب عن النحاة القدماء فقد أفرد سيبويه لمثل هذه الظاهرة باباً

سماه (ما يجذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن)⁶.

ويقول الاسترأبادي "إذا التقى ساكنان في غير هذه المواضع وأولهما مدة حذفت أولهما"⁷.

ومادام ما يلفظ هو الحكم، فإن السقوط اللفظي وإزاه سقوط في الكتابة القرآنية الأصواتية، وهذا

ما فطن له الداني بقوله: "وذلك من حيث عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل، دون الأصل

¹ سورة آل عمران ، الآية 153 .

² سورة التوبة 19 .

³ سورة البقرة ، الآية 251 .

⁴ الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد ، المنفع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، تح : نورة بنت حسن بن فهد الحميد

، تقديم : ابراهيم بن سعيد الدوسري ، محمد بن سريع السريع ، دار التدمرية ، ط1 ، 1431هـ/2010م ، ص36 .

⁵ مصطفى ، زيد عمر ، رسم المصحف بين التحرز والتحرر ، ص 107 نقلاً البايي ، القضايا التطريزية ، ص205

⁶ الكتاب ، ص 156/4 .

⁷ الاسترأبادي ، شرح الشافية ، ص225/2

والقطع. ألا ترى أنهم لما حذفوا الألف والياء والواو في نحو

قوله ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾¹، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ﴾²، وشبهه لما سقط

من اللفظ لسكونهم وسكون ما بعدهن، وبنوا على الخط ذلك، فأسقطوهم منه.³ "ويبرز هذا

النص التقاء الساكنين، أو على الأصح السبب المقطعي، من جهة ومن جهة ثانية يشدد على تبعية

المكتوب القرآني لمنطوقه.⁴

كذلك اطرده حذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا،⁵ نحو قوله تعالى ﴿غَيْرَ بَاغٍ

وَلَا عَادٍ﴾⁶، فمن يطلب تثبيت الياء، إنما ينبغي أن يشير الرسم إلى البنية العميقة الأصلية، إذ لا

توجد الياء في التحقيق الأصواتي، ومن هنا فإن خطأ يعتمد على النطق المنجز سيستبعد لا محالة

كتابة الياء.⁷

¹ سورة النور ، الآية 31.

² سورة النساء ، الآية 146 .

³ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، المحكم في نقط المصحف، تح: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1418، 2/هـ/1997م، ص158 .

⁴ القضايا التطريزية ، ص206 .

⁵ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز احمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م ص1/255 .

⁶ سورة البقرة ، الآية 173.

⁷ القضايا التطريزية ، ص 206 .

وهذا ما تنبه إليه الداني، فقال: "كل اسم مخفوض أو مرفوع آخره ياء ولحقه التنوين فإن المصاحف اجتمعت على حذف تلك الياء بناء على حذفها من اللفظ في حال الوصل لسكونها وسكون التنوين بعدها."¹

وهذا يعد تقصيرا للمقطع الطويل (ص م ص م ص ص) إلى (ص م ص ص)، ومثل هذا يعلل به سقوط ياء المتكلم في نحو قوله تعالى ﴿ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.²

فهذا مجمل الحديث عن التشكيل المقطعي في القرآن الكريم، وهو يسير وفق ما ارتضته العربية لبنيتها، ووفق ما يُيسر عملية النطق والأداء، على أن الملاحظ أن العودة إلى البنية المقطعية أثناء الحديث عمّا يعترى اللفظ العربي من التغيير أثناء دخوله التركيب، قد يقدم تعليقات منطقية وعلمية أكثر، لبعض حالات التغيرات التركيبية؛ هذه التغيرات تعين الكتابة القرآنية على التنبيه إليها ومعرفة ما احتفظ به الرسم الكتابي دلالة على سقوطه من الأداء، مما يساهم في ضبط النسيج المقطعي، ضبطاً فيه الكثير من الدقة .

¹ المنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، ص34.

² سورة البقرة، الآية 186 .

2-النبر :

يعد النبر من العوامل المساعدة على وضوح مقاصد الكلمات، وفصاحة وقعها لدى السامع، ولنبر المقاطع في غير العربية دور خطير، إذ يتوقف عليه - عند السامع- نوع الكلمة أهي اسم أم صفة أم فعل، أما في العربية فنبر المقاطع قيمته أدائية، ولا تغير معاني الكلمات بسببه، .. وعدم تغير معاني الكلمات هو الذي يُفسّر عدم تعرض الأئمة القدماء للنبر.¹

ذلك أن إشكالية وجود النبر من عدمه في اللغة العربية، ثم قضية تظنن أو عدم تظنن علماء العربية إليه، قد احتلت مساحة واسعة من اهتمام المستشرقين، والعرب من دارسي اللغة العربية، فبرجستراسر يقول أثناء عرضه لهذه المسألة: "والآن بعد هذه التوطئة العامة نوجه نظرنا إلى العربية خاصة فتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدامى، لم يذكروا النغمة ولا يفيدنا ما قالوه، فلا نص نستند إليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن، ومما يتضح من اللغة العربية نفسها، ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد؛ وذلك أن اللغة الضاغطة كثير فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها ومدّ الحركات المضغوطة، وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية".²

وذهب هنري فليش "بأن نبر الكلمة فكرة مجهولة تماما لدى النحاة العرب، بل لم نجد لها اسما في سائر مصطلحاتهم، ثم أشار إلى أن النبر لم يلتفت إليه إلا في حالة واحدة في علم الصرف

¹ ينظر : المختصر في أصوات اللغة العربية ، ص174.

² ينظر : برجستراسر، التطور النحوي، ص87.

العربي، وهم يذكرون الاسم المؤنث إشارة منه إلى (غيداء) و(نجلاء)، وذلك حين يلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدود في مقابل المقصورة وهو يريد بالأولى (المنبورة) وفي الثانية غير

المنبورة".¹

¹ هنري فليش، العربية الفصحى، ص49.

ومن جانب آخر نفى الكثير من دارسي العربية هذه الفكرة، حيث يُقرُّ رمضان عبد التواب: "أنه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حال النبر في العربية، أما كون العربية لا تنبر، فهذا محل شك؛ ويورد دليلاً على النبر في العربية الفصحى، فيقول: "من طبيعة العربية الفصحى أن تُقصر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعا آخر منبورا ذا حركة طويلة فأصل مصدر (فاعل) في العربية القديمة (فيعال) نبر المقطع الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر أن قصرت حركته صار المصدر (فعال) مثل "قاتل قتالا"، بدلا من "قتل قتيلا".¹

ويقول محمد صالح الضالع: "على الرغم من إحاطة العرب القدماء بالتحليل اللغوي الدقيق والدرس النحوي العميق للغة العربية ونصوصها لم نعثر - حسب علمي - على ما يدل على تناولهم ظاهرتي النبر والتنغيم، ومع أنهم قدموا لنا في علمي التجويد والقراءات ما تناولوه عن الوقف والاستغراق الزمني، وهما من المظاهر التطريزية prosodic أو الفوق قطعية suprasegmental التي تشمل النبر والتنغيم إلى جانب هاتين الظاهرتين، فلم يذكروا عنهما شيئاً ولو بأوجز عبارة تدل على وجودهما في اللغة العربية وإحساس القدماء بهما."²

فهذه الآراء تكاد تتفق على النفي القاطع لمعرفة أو فهم النحويين والصرفيين القدامى لظاهرتي النبر والتنغيم بخاصة، أو لتوظيفهم لأي اصطلاح يحيل على النبر، والتنغيم، وفي هذا تعميم محل بالنسبة العلمية، "ومن شأن هذا الحكم القطعي أن يحرف أبصارنا وبصائرنا عن الحقيقة العلمية حتى ولو كانت بسيطة ونسبية أو نتيجة عن مجرد حدوس."³

¹ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظهره، علله وقوانينه، ص127.

² الضالع، محمد صالح، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، المحلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد67، مجلد 17، 1999، ص 10 .

³ ينظر:حنون مبارك، في بنية الوقف وبنية اللغة، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط المغرب، 1997، ص352/2.

على أن من الدارسين من يقف موقفاً مخالفاً، فهذا هو كارل بروكلمان يثبت وجود النبر في العربية القديمة، إذ يقول: "يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقى، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً، فيقف عليه، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول."¹

ثم إن إنكار معرفة اللغويين العرب للنبر، بادعائهم جهلهم لمصطلحه على رأي فليش، مردود بعدهم الهمز والنبر، كما سنرى شيئاً واحداً دالاً على الضغط دون أن يفصلوا أو ينظروا له، لأنهم لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة، وربما لم تلفت نظرهم لعدم تدخلها في تغيير المعنى.

فالنبر في العربية أصيل، غير أن ارتباط قيمته بالجانب الأدائي فقط، وعدم تدخله في تغيير المعاني، جعل علماء العربية والتجويد لا يلقون أهمية كبيرة لتدوينه .

من هذا المنطلق يبدي الدكتور تمام حسان تحفظه أثناء درس ظاهرتي النبر والتنغيم، إذ يقول "دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية تتطلب شيئاً من المجازفة، ذلك لأن العربية لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين، وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية."²

على أننا متى عدنا إلى التراث اللغوي للعربية، وجدنا إشارات من القدامى، قد لا ترقى لمستوى التعيد أو التفصيل الذي عرفته مختلف الظواهر اللغوية من قبل علماء العربية القدامى، ولكنها تدل على وعيهم بهاتين الظاهرتين الأدائيتين، ومن هذه الإشارات ما قدمه صاحب البيان والتبيين حين عرّف الصّوت بأنه "آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً إلا بالتقطيع، والتأليف، وحسن الإشارة

¹ ظواهر التشكيل الصوتي، ص306، نقلاً عن، كارل بوكلمان فقه اللغات السامية، ص45.

² مناهج البحث في اللغة، ص 197-198.

باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون، مع الإشارة من الدلّ والشكل، والتفتلّ والثنيّ. ¹ وقد جاء في اللسان : الدلّ الشكل هو التكسر في الكلام وحسن الحديث، ² والتفتلّ ليّ الثنيّ، ³ والثني هو التلوي في المشية والتكسر والانحناء. فهذه المعاني جميعا تلتقي في أداء الكلام بطريقة فيها التواء وتثن، زيادة للتلوينات الصوتية وأشكال الجرس الصوتي المصاحبة للإشارة مما يسهم في إبلاغ الدلالة وتيسير الفهم. ⁴

بل إن الدراسات القرآنية استعملت مصطلح النبر صراحة وهي تدل به على مجموعة من أشكال الضغط، من ذلك ما كان الضغط فيه واقعا على الهمزة، وسماه الدارسون المحدثون بالنبر الهمزي، يقول مكّي القيسي في هذا الصدد : " فيجب على القارئ أن لا يتكلف في الهمز ما يقبح من ظهور شدة بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا سهلا، فقد قال أبو بكر بن عياش - صاحب عاصم - : كان إمامنا يهزم (مؤصدة) فاشتبه أن أسد أذني إذا سمعت بهمزها، يريد أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمز، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها. ⁵

فالنبرة هنا مرادفة للشدة والضغط على الهمزة؛ وإلى هذا المعنى أيضا ذهب الداني، وذلك في قوله : " سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إمامنا يهزم مؤصدة فاشتبه أن أسد أذني إذا سمعته يهزمها ⁶ .

¹ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1418هـ/6، 1998م، ص79/1 .

² ينظر: ابن منظور (ت711هـ) لسان العرب ، طبعة جديدة اعنتى بتصحيحها : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، 1419هـ/1998، ص393/4 .

³ نفسه، ص177/10 .

⁴ ينظر: القضايا التطريزية، ص154 .

⁵ القيسي ، المكّي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة ولتحقيق لفظ التلاوة ، تح أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، الأردن ، ط3، 1417هـ/1996م ، ص120 .

⁶ الداني، أبو عمرو ، التحديد في الاتقان والتسديد في صناعة التجويد، ص252 .

وقال ابن الجزري في الهمزة: "وهي لا صورة لها في الخط، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة. والناس يتفاضلون في النطق بها على مقدار غلظ طباعهم ورقتها، فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع، وتنبو عنه القلوب ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به، وروي عن الأعمش أنه كان يكره شدة النبرة، يعني الهمز في القراءة ...¹"

فالنبر عند هؤلاء يعني الهمز، والهمز - بحسب ابن منظور - "الضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط، وقال الليث الهمز العصر، فالضغط والعصر والعلو ترادف النبر بدليل قوله: والمنبور المهموز، قال ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو، والنبر صيحة الفزع ونبرة المغني: رفع صوته عن خفض."²

من هذا المنطلق قرّر الأستاذ عبد الصبور شاهين أن الهمزة العربية هي صورة من صور النبر، ويؤكد سيوبه في وصفه لهذا الصوت، "أنه صوت شديد ونبرة في الصدر تخرج باجتهاد."³

"فالهمزة إذن صوت يتحقق في نطقه النبر، فكل الذي يستلزمه نطق الهمزة هو ذلك العلو الذي يرتبط بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من الهواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الوترين الصوتيين، فيكون من ذلك وضوح الصوت وبروزه، ويرتكز هذا الضغط أو التوتر على الزيادة في واحد من ثلاثة أمور هي مدّة المقطع أو شدته أو حدّته."⁴

فإذ عمّنا هذه الكيفية على أصوات العربية فإن الهمز يكون على حد تعبير عبد الصبور شاهين: "كيفية في نطق الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط

¹ ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص 115، 116.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة نبر، ط دار صادر، ص 40/7.

³ الكتاب، ص 405/2.

⁴ ينظر: المهدي بوروية، ظواهر التشكيل الصوتي في العربية، ص 295.

لاستأثر بذلك صوتا دون آخر، فإذا ضغط الناطق على مقطع الحاء من الفعل (أخذه) كانت الحاء هنا مهموزة، وإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة، وكذلك إذا ضغط على مقطع الهمزة في بدايته كانت الهمزة مهموزة.¹

كذلك فإنَّ بعض ظواهر الهمز الواردة في القراءات القرآنية تشكل نمطا نيريا، وفي هذا الصدد لاحظ أيوب السخيتاني، وغيره أن النبر الهمزي يكافئ المد أو لنقل نبر الطول.

يقول ابن خالويه: "قرأ أيوب السخيتاني (ولا الضالين) بالهمزة، فقليل لأيوب لما همزت ؟ فقال إن المدة التي مددتموها أنتم لتحجزوا بها بين الساكنين هي هذه الهمزة التي همزت."²

ثم إن تعاريف النبر عند المحدثين، تقوم بدورها على فكرة الضغط على مقطع من المقاطع يقول كانتينو: "النبرة هو إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة،"³ "أو هو إبراز ميزات المقطع بالتلفظ به على درجة كبيرة من الشدة والدقة وبنوعية تصويت أشد ارتفاعا أو زيادة مدته"⁴، "وهو وضوح نسبي للصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات و المقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم."⁵

¹ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، دط، دت، ص22.

² ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دط، دت، ص 34

³ جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي، صالح القرمادي، الجامعة التونسية ن مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية، ص1966ص194.

⁴ ينظر: أندرى مارتيني، وظيفة الألسن و ديناميتها، ترجمة، نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط1، 1996، ص205.

⁵ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص199، وينظر: عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات التطبيقية (المشكلة، التنغيم)، دارحامد، عمان، الأردن، ط1425، 1/هـ2004م ص49.

إن أبرز ما يلفت الانتباه في هذه التعاريف هو اتفاقها على لزوم حدوث الضغط، لكي يتحقق وجود النبر، والعرب عنت بالنبر ارتفاع الصوت وجعلته مرادفا للهمز، إذ قصدوا به تحقيق نطق همزة القطع في مقابل تسهيلها أو تخفيفها على النحو الذي ذكره أبو زيد الأنصاري، فقد قال: "أهل الحجاز و هذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر: فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا."¹

" فالمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا، وأوضح في السَّمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه النبر."²

إنَّ الصَّوت الذي يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى، يتطلب قدرا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفس المطلوب لإحداثه، فعندما يسלט هذا القدر الزائد على الوترين الصوتيين، يعلو الصوت عمَّا جاوره فيحظى في السمع بوضوح أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات، هذا الوضوح النسبي يسمى النبر.³

كذلك من أشكال النبر في العربية ما يظهر على شكل زيادة في المدة والطول، واصطلح عليه المحدثون بالنبر الطولي، ولقد حاول شاهين أن يفسر ظاهرة تخفيف الهمز بأنها نبر طول، وانطلاقا من مفهوم التكتيف يمكن أن تفسر الإشارات الواردة في كتب القراءات القرآنية بخصوص هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد نسوق ما قاله ابن جني في زيادة الياء المديَّة في بعض الأعلام " أحدهما كونه علما، والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون في غيره، نحو معد يكره (...) والآخر كثرة استعماله، وهم لما كثر استعماله أشد تغييرا. وذلك الحرف قولهم في عبد شمس: هذه عبشمس بفتح السين... فعلى هذا ينبغي أن نوجه قولهم في جبرائيل وميكائيل بياءين والمد، وذلك لأن المد إنما كان فيه لبقاء الهمزة المخففة

¹ لسان العرب (مادة نبر)، ص 40/7.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 170.

³ ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 262.

ولفظه فيه، هذا القول كقولهم بالمد وإن كانت الألف والياء بعدها أتم صوتا وأبعد ندى منها وبعدها غيرها من الحروف الصراح، نحو غراييل وسراييل وسراحين وميادين؛ وقد يجوز بعد هذا أن تكون ياء صريحة من حيث كان الأعجمي يتلعب فيه بالحروف تلعباً.¹

ومما يدعم هذه الفرضية كون النبر من العوامل التي تسهم في طول الكلام قول إبراهيم أنيس " أما العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي فأهمها: النبر ... فالصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور.²

"ولعل ما ينبغي أن يدرج في إطار نبر الطول ما عاجله القراء معالجة مستفيضة تحت مسمى المد والقصر، ذلك أننا نزعم أن ما اعتبره القراء مداً إنما هو في واقع الأمر نبر طول، وبخاصة ما اصطالحوا عليه المد للسكون.³

بل إن الملاحظات التي قدّمها الفلاسفة حول ظاهرة النبر، تُنبئ عن وعي كبير لهذا المفهوم للنبر، فقد ورد في الموسيقى الكبير للفارابي؛ حديث مهم عن النبرة في الكلام، ووظف النبرة بمعنى الضغط في قوله: "والحروف المتحركة إذا مدّت حركاتها أدنى مدّاً أو قرنت حركاتها بنبرات أو(هاء) خفيفة كانت قريبة من سبب خفيف.⁴ وكأنه يشير بقوله (كانت قريبة من سبب خفيف) إلى ما يعرف بالنبر الطولي، إذ أن الزيادة في طول الصّائت يجعل المقطع ينتقل من نوع(ص م) إلى(ص م-)، الأمر نفسه يحدث إذا ما اتصل الصوت المتحرك بهمزة أو هاء خفيفة.

¹ ابن جني، المحتسب في تبين وجوه القراءات والايضاح عنها، ص 98/1 .

² أنيس، الأصوات اللغوية، ص155.

³ القضايا التطريزية، ص65/2 .

⁴ الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان، الموسيقا الكبير، تحقيق وشرح، غطاس عبد المالك خشبة، مراجعة محمود

أحمد حنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، دت، ص1084.

كذلك من نصوص الفـارابي التي حملها ما يشعرا بإدراكه النَّبر بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث، نذكر قوله الذي أشار فيه إلى أن النَّبر في العربية يُفصّل المقطع الطويل أينما حلَّ في الكلمة،¹ فذكر أنه: "متى توالى متحرّكات كثيرة وتناهت إلى متحرك ووقف عليه، فإنه ربما جعل المتحرك الأخير ممدودا أو مقرونا بنبرة."²

ويقول الحسن بن أحمد بن علي الكاتب: "والنبرات حروف في أوائلها همزات، وهي تقع أبدا في المصوتات،"³ حيث ربط عملية النَّبر بالهمز أي الضغط ورفع الصوت الذي يكون حصرا على المصوتات لا غيرها.

ولكن ابن رشد سيحدد ذلك بالتدقيق في نصه الطويل: "والنبرات تستعمل إما في أبعاد ما بين الأقاويل، وإما في أبعاد ما بين اللفظة المفردة، وإما في أبعاد ما بين الأرجل والمقاطع، وإما في أبعاد ما بين الحروف، والتي تستعمل منها في أبعاد ما بين الأرجل والمقاطع تخص الوزن الشعري، والتي تستعمل منها في أبعاد ما بين الحروف تخص الأغاني، فإن الذي يخص الأقاويل الخطابية من ذلك ما كان مستعملا في أبعاد ما بين الألفاظ المفردة والأقاويل، والأقاويل صنفان: منها قصار ومنها طوال، ومنها التام ومنها غير التام... فالنبرات يستعملها الخطيب في أحد ثلاث مواضع: إما في نهاية الألفاظ المفردة، والأقاويل القصار التي هي أجزاء الأقاويل الطوال، وإما في أطراف الأقاويل التامة بالوجه الثاني، أو في أنصافها أعني في أجزاء الخطبة الكبرى..."⁴

فهذا النص يقترح بعضا من قواعد النَّبر أبرزها :

¹ ظواهر التشكيل الصوتي في العربية، ص302.

² الموسيقا الكبير، ص1085.

³ ينظر: الكاتب، الحسن بن أحمد بن علي، كمال أدب الغناء، تح: غطاس عبد الملك حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص79.

⁴ ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار العلم، بيروت، لبنان، دط، دت، ص285.

- أن هناك أشكالاً نبرية متعددة، منها ما يخص الشعر، ومنها ما يميز الغناء، ومنها ما يخص الأقوال النثرية الخطابية، وبخصوص ما يهم هذه الأخيرة فإن ابن رشد يميز بين نبر الكلمة ونبر الجملة، أو ما يصطلح عليه بنبر السياق.

- إن النبر إنما يقع في الألفاظ وكذا في الأقاويل القصار على المقطع الأخير ولا يكون إلا طويلاً، فإن لم يكن طويلاً يتم تطويله.

- إن نبر السياق يقع أيضاً في أجزاء الجملة على الأطراف، أولنقل المقطع الطويل الحتامي، وما ليس طويلاً فهو يطول، ومعنى هذا أن الطول المرتبط بالوقف إنما هو نبر، والأقاويل إنما هي أقاويل قصار، والأقاويل القصار إنما هي تأليف لألفاظ مفردة، وبهذا فهو يميز بين الجوهر بين نبرين: نبر لفظي ونبر جملي أو سياقي.

- إن المقطع هو المتحكم في الطول.¹

كذلك تحدث الدارسون عن شكل ثالث من أشكال النبر مرتبط بظاهرة مد الصوت سمّوه

بـ **نبر التضعيف**، (أو **الطول الصامت**):

فهذا النوع من النبر يندرج ضمن النبر الطولي، ومن مظاهره وقوعه على الصوت المشدّد وإن عدّه بعضهم شكلاً من أشكال النبر التوتري إلا أنه يمكن إلحاق هذا النوع بالنبر الطولي، من حيث كان التضعيف في الصوت الصامت طويلاً في مدته وأداءه.²

ويُدرج ضمن هذا النمط التبري الوقف بالتضعيف، يقول ابن بادش: "تشديد الحرف في الوقف، ولا يكون في الحرف الذي قبله ساكن نحو (العجل) لأنه لا يجتمع في كلامهم ثلاثة سواكن. ونقل الحركة يكون فيما سكن ما قبل آخره، فتحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين، فإن كان ذلك مما يجوز في الوقف نحو (منه، عنه وبالصبر، وهذا بكر) ولا يكون في

¹ القضايا التطريزية، ص 167.

² ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 26.

* تنبعا مواضع النبر الرئيسي فقط دون الثانوي.

المنصوب فأما المنصوب المنون فلا يكون فيه شيء من هذه الوجوه لتوسطه بإبدال التنوين ألفاً، فهذا حكم الحرف الصحيح الموقوف عليه عند العرب. فأما عند القراء في ذلك فذكر أبو الفضل الخزاعي وغيره أن الرواية وردت عن حمزة والكسائي بالروم والإشمام.¹

فالتضعيف يعني تطويل الحرف والوقوف عليه بعد إسقاط الحركة مع ما يرافقه من تغيير في البنية المقطعية. ويمكن أن ندرج في هذا النبر كذلك الوقف على الحرف المشدد.²

فالوقف على الحرف المشدد، وحالة سقوط الهمز مع الوقوف على الحرف المضعف أمور تتعلق بالطول التعويضي، وتجدد الإشارة إلى أن للتضعيف (الطول) مزية الإبراز والتشديد.³

" فهذا الذي سماه حنون مبارك إبرازاً مع التشديد، اعتبره البايب نبر طول، وهو يرى أن هذا النمط النبري الذي هو نوع من الطول يسعه تنظير الفلاسفة، وخاصة قول ابن رشد السابق: " وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف."⁴

فهذه أمطاط نبرية يمكن استنباطها من القراءات القرآنية، ويبقى أن التنبيه على هذه الأنمط لاتلغي ارتباط النبر دوماً بأساس مقطعي.⁵ فعلم العروض العربي، يقوم على المتحرك والساكن، وفكرة المقطع العربي وبطريقة نبره.⁶

بل يمكن استخلاص علاقة المقطع بالنبر، من خلال أقوال تراثية على نحو قول ابن رشد: " إلا أن العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، كانت

¹ ابن بادش، الإقناع في القراءات السبع، ص 505/1 .

² ينظر: النشر، ص 89/2.

³ ينظر: حنون مبارك، في بنية الوقف وبنية اللغة، ص 452/2.

⁴ ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص 100.

⁵ القضايا التطريزية، ص 69/2 .

⁶ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 244.

أواسط الأقاويل أو في أواخرها. وأما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم إذا كانت في أواسط الأقاويل. وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا ... وقد يمدون المقاطع المقصورة في أواسط الأقاويل إذا كان بعض الفصول الكبار ينتهي إلى المقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة ... وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف.¹

وبهذا فإن العرب - حسب ابن رشد- تقرن النبر بالمقاطع، ولعمري إن هذا الفهم متقدم على تصور تلك المدارس اللسانية التي ربطت النبر بالمقطع لا بالمقاطع، وبخاصة المقاطع الممدودة سواء كانت في أواسط الأقاويل أو في أواخرها. ومعنى هذا أن النبر يقترن تحديدا بالنواة المقطعية المديدة، ولا تحمله البتة المقاطع القصيرة، فإن حملته في أواخر الأقاويل، أي عند الوقف، تحولت هذه المقاطع القصيرة في الأصل إلى مقاطع طويلة، لتحقيق تجانس مقاطع هذه الفصول، أي بهدف إيقاعي محض، فالنبر يقع على المقاطع القصير، فإذا حدث ذلك لزم تطويلها، وذلك عند الوقف وهذا يعني تلازم النبر والوقف في هذه الحالة.²

وعلى هذا الأساس المقطعي ظهرت محاولات تحديد موضع النبر في الكلمة العربية، على أن الدارسين المحدثين قرروا مسبقاً، "أن مكان نبرة الكلمة في العربية الفصحى معروف، وإن كانت حقيقة هذه النبر مجهولة، ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة التالية في هذا السياق، تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها، وإذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها، ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الأخرى وذلك نحو: (يقاتلوا) و(قاتل)، و(يقاتلوا) (النبرة على قا)."³

¹ ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص 100 .

² ينظر: القضايا التطريزية، ص 162، 163 .

³ جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 194-195.

فلنبر مواضع في اللغة العربية وتحكمها قواعد مطردة وتتسم بأنها قليلة لأنّها تدور حول توالي العدد القليل من المقاطع في الكلمة أو السياق، ومن ثمّ فإنّه يسهّل تطبيقها، ومعالجتها واستخلاص ما تشمل عليه من نتائج:¹

(1)-نبر الكلمة: و هو ينقسم بحسب قوة النطق ودرجة الدفعة إلى نوعين:

أولاً: النبر الرئيسي (الأولي)

يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان من نوع (ص م⁻ ص) أو (ص م ص) أي من النوع الطويل مثل: قال، استقال، قلّ استقل أو من النوع المتوسط في الكلمات الأحادية المقطع، كفعل الأمر من قال.² ولا يمكن أن يوجد هذان المقطعان في اللغة العربية الفصحى، إلا في حالتين:

(1)-في حالة التقاء الساكنين على حدهما، أي إن الصامت الأخير في نهاية المقطع هو نفسه الصامت الأول في بداية المقطع التالي، مثل ذلك قولنا: وللضالين، حيث تتألف الكلمة من المقاطع الآتية:

ضال لين = ص م⁻ ص + ص م⁻ بنبر المقطع الأخير.³

(2)-في حالة الوقف: ويكون النبر فيها هكذا: ص م ص + ص م⁻ ص، وكذلك أمثلة، يفعلان، بتسكين الآخر، فيكون النبر على المقطع الأخير هكذا: ص م ص + ص م⁻ ص م⁻

¹ ينظر: البهنساوي حسام، الدراسة الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2005، ص177.

² ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص195.

³ ينظر: البهنساوي حسام، الدراسة الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص180.

ص، و كذلك في أمثلة (فعل) أو (فعل) أو (فعل)، و هي تتألف من مقطع واحد هو: ص م ص ص و يقع عليه النبر الرئيسي.¹

(ب) ويقع على ما قبل الأخير إذا كان متوسطا والآخر متوسطا، سواء كان هذا المتوسط من نوع (ص م ص) أو (ص م) مثل: عَلم - سَلم - عبدك.. أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص م) القصير مبدوءة به الكلمة أو مسبوقا بصدر إلحاقى نحو: كتب، حسب، محترم، انجس.

يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر، إذا كان الآخر يقع مع قبله في إحدى الصور الآتية: * (ص م + ص م ص) = نحو: علمك - حاسبك

* (ص م + ص م) نحو : علموا - حاسبوا - ضربك - ولا يقع النبر على المقطع السابق لهذا الأخير.²

ثانيا: النبر الثانوي:

النبر الثانوي أضعف جهدا من النبر الأولي لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأولي،³ ثم إن مجال النبر الثانوي في الكلمة أضيق منه في الجملة أو المجموعة الكلامية، ومع هذا فإن النبر الثانوي يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبرا ثانويا يمكن وجوده على مسافات محددة من النبر الأولي؛⁴ كما يلي:

¹ ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص182.

² ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص196.

³ البيان في روائع القرآن، ص269.

⁴ مناهج البحث في اللغة، ص196، و ينظر اللغة العربية معناها و مبناها، ص184.

1- يقع الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا أوليا، إذا كان ذو النبر الثانوي طويلا مثل (ضالين) تتألف هذه الكلمة من مقطعين ص م - ص + ص م - ص، حيث يقع النبر الرئيسي على المقطع الأخير في حين يقع النبر الثانوي على المقطع الأول.¹

2- يقع على المقطع الذي بينه وبين المنبور نبرا أوليا مقطع آخر، إذا كان المنبور الثانوي يكون مع الذي يفصل بينه وبين المنبورة الأولى أحد الأنساق الآتية:
أ- مقطع متوسط + آخر متوسط (ص م ص) أو (ص م -) مثل، علمناه، مستبقين.

ب- مقطع متوسط + مقطع قصير مثل: مستقيم، صاحبوهم.²

3- يقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبرا أوليا إذا كانت الثلاثة السابقة لهذا المنبور الأولى تكون نسقا في صورة (متوسط + قصير + قصير أو متوسط) نحو: مستحمين، يستفيدون، ما عرفناهم، محتملون.

ولا يقع الضغط الثانوي على المقطع الرابع السابق للمنبور الأولي في الكلمة.³

على أنه يجب تبين قاعدة هامة تبين أثر السوابق والكواسع في موضع النبر، مفادها أن السوابق لا تغير من مكان النبر لأن الحساب من آخر الكلمة، أما الأحشاء والكواسع فإنها تغير من مكان النبر بأن تجعله يتأخر قليلا، وتأخير موضع النبر بالكواسع مشروط بأن تكون الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع كحد أدنى.

وعن قواعد النبر في الصيغة الإفرادية فقد لخصها إبراهيم أنيس بصورة أكثر وضوحا نظرا إلى مقاطع الكلمة المفردة من الآخر أي من مقطعيها الأخير، فإذا كان المقطع الأخير من

¹ ينظر: الدراسات الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص 186.

² ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 196.

³ نفسه، ص 197.

النوعين (ص م-ص) أو (ص م ص ص) الزائد الطول المغلق، أو المديد المغلق فإن النبر يقع عليها، وإلا نظرنا إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث الطويل المغلق (ص م ص) والطويل المفتوح (ص م-)، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول، القصير المفتوح (ص م) نظرنا إلى ما قبله، فإن كان من مثله، أي من النوع القصير (ص م) أيضا كان النبر على هذا المقطع الثالث من الآخر، ويكون النبر على المقطع الرابع من الآخر في حالة كون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من نوع المقطع القصير المفتوح (ص م).¹

وعلى كل حال فإن نبر الصيغة الصرفية لا يؤمن هو الآخر حدود الكلمات، وسبب ذلك أن السياق يدخل على الكلمات من اللواصق وحروف المعاني، ما قد يكون في صورته على صوت واحد، فيبدوا كأنه جزء من بنية الكلمة تتغير به البنية، فيدعو إلى تغيير موقع النبر فيها.²

فتجاوز الكلمات في السياق اللغوي تنشأ عنه ظروف جديدة تفرض على النبر أن يقع في مواقع من الكلمات لم تكن له في حالة الأفراد، وهذه الظروف الجديدة هي مقتضيات الإيقاع الذي ينسب إلى السياق، ولا ينسب إلى المفردات.³

فهذه قواعد النبر كما فصل تمام حسان، وابراهيم أنيس وهي تشمل نبر الكلمة المفردة والنبر في السياق، ذلك أنه يمكن دراسة النبر في اللغة العربية بإحدى وجهتي نظر، أولهما في الأفراد والثانية في السياق المتصل، والنبر الإفرادي نبر الصيغة الصرفية والسياسي نبر الإيقاع.⁴

وقد قرّر تمام حسان بداية أنه انطلق في درسها من قراء عصره المصريين ليضع نظاما نبريا للغة العربية، حيث قال بعد تقديمه لقواعد النبر: "... هي نظام النبر في صرف اللغة العربية

¹ ينظر: ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 182-183.

² ينظر: حسان تمام، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص216.

³ ينظر: في روائع القرآن، ص266.

⁴ تمام حسان، مقالات في اللغة ص260.

الفصحى كما يلاحظها المرء عند قراءة القرآن وهي الشكل الوحيد للفصحى الذي يشتمل على عنصر التواتر المتعمد.¹

وإن لم يوافق بعض الدارسين على هذا الاعتماد على القراءة القرآنية، يقول داود عبده: "إلا أنه لا يصح - في نظري - اعتبار قواعد النبر كما نسمعها عند قراءة القرآن ممثلة تماما لقواعد النبر في الفصحى، وذلك لاختلاف قراءة القرآن في نطق المد، فلو أخذنا مثلا (أولى ببعض) لوجدنا أن المد في نهاية (أول) طويلة في القراءة القرآنية وقصير في غير ذلك (حتى عندما يلفظه القارئ ذاته)، مما يجعل النبر يقع على المقطع الأخير في القراءة القرآنية وعلى الأول في اللفظ العادي للفصحى (أولى بعض)، في القراءة القرآنية تنطق كـ (أولاد بعض) في اللفظ العادي للفصحى، حيث يقع النبر على (لا) في كلمة (أولاد) بينما يقع على (أو) في كلمة (أولى)."²

ويعلق البايبي على هذا الكلام بقوله، "فنحن نرى أن الأمثلة المقدمة مختلفة مقطعيًا ومن ثم كان لزاما أن تختلف في النبر، بل إن القواعد المقدمة زكاهما تفحصنا لأداء بعض القراء المغاربة."³

فقراءة القرآن -يقول كمال أبو ديب - قد تكون (الظاهرة) الوحيدة التي احتفظت بخصائصها الإيقاعية عبر القرون، ونفترض هنا أن قراءة القرآن جسدت إما النبر اللغوي في خصائصه العامة، أو النبر الشعري. لكننا نعرف أن العرب أحسوا أن القرآن لم يكن شعرا، حتى حين ورد موزونا. من هنا يمكن أن نقترح أن نبر القرآن لا يتحد بالنبر الشعري بصورة

¹ حسان تمام، اللغة العربية معناه ومبناها، ص305،304

² داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، الكويت، ص130-129

³ القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص59/2

مطلقة أو إلى حد توحيد إيقاعه بإيقاع الشعر. ويبقى احتمال كون نبر القرآن اتحد بالنبر اللغوي أو قاربه وطوره.¹

وعلى هذا الأساس كان للنبر وظيفة إيقاعية تظهر من خلال التشابه أو قرب التشابه بين كميات المسافة الفاصلة بين النبرات، ذلك أننا إذا تأملنا كلاما متصلا لاحظنا تشابه المسافات بين نبر ونبر أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النبرين المتواليين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النبر على أحد هذه الثلاثة. ثم إن النبرين المتواليين قد يكونان من قبيل النبر الأولي وقد يكون أحدهما ثانويا. وهذا التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع.....²

فهذا مجمل ما توصلت إليه الدراسات الصوتية في ما يتعلق بموضوع النبر، وهي تركز في تعييدها لهذه الظاهرة التطريزية على تلاوة كتاب الله عز وجل وفق ضوابط القراءات القرآنية، وهي بذلك تبين منهج دراسة النبر في اللغة العربية، وذلك من خلال تتبع قواعد النبر في أداء معين لقراءة معينة، وعلى هذا الأساس قمنا بمحاولة الوقوف على مواضع النبر في آيات من الذكر الحكيم من خلال مراعاة القواعد التي ضبطها الدارسون المحدثون -مما تم ذكره آنفا- وبالاستئناس إلى السماع للتلاوة الحية، للآيات المختارة للتحليل من أفواه القراء المجيدين :

النموذج الأول : قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ

خٰلِفَةً ۗ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ اِنِّيْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۗ³

¹ أبو ديب كمال، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص 291

² ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص..

³ سورة البقرة، الآية 30

التقطيع:

وإذ/قال/رب/ب/ك/لل/م/لا/ئ/ك/ة/إن/ني/جا/ع/لن/فل/أراض/خ/لي/ف/تن/قالو/أ/تج/
ع/ل/في/ها/من/يف/س/د/في/ها/و/يس/ف/ك/د/د/ماء/و/انح/إن/سب/ب/ح/ب/حم/د/ك/
و/إن/قد/د/س/لك/قال/إن/ني/أ/ع/ل/م/ما/لا/ت/ع/ل/مون .

النموذج الثاني: قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

عَلَى الْمَلْتِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾¹

التقطيع:

و/عل/م/ء/ء/د/مل/أس/ماء/كل/ل/ها/ثم/م/ع/ارض/هم/ع/لل/م/لا/ئ/ك/ة/ف/قال/أن/
ب/أو/ني/ب/أس/ماء/ها/و/لا/ء/إن/كن/تم/صا/د/قين.

النموذج الثالث: قال تعالى ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾²

التقطيع:

قالو/سب/ح/ان/ك/لا/عل/م/ل/نا/إل/لا/ما/عل/لم/ت/نا/إن/ن/ك/أن/تل/ع/لي/مل/ح/كيم

فهذه عينات منتقاة من سورة البقرة، حاولنا استخراج مواضع النبر فيها وفق القواعد التي تحكم نبر الصيغة الإفرادية، ذلك أن نبر السياق يحتاج في ضبطه إلى معامل صوتية، تمكننا من تمييز النبر الأولي من النبر الثانوي، " فالدراسات الصوتية المعملية، تثبت مثلا أن الذبذبات الأولية للمقاطع المتتابعة في جملة خبرية ما، تبدأ من المستوى الثاني لدرجة الصوت (أي الدرجة

¹ سورة البقرة، الآية 31.

² سورة البقرة، الآية 32 .

المتوسطة) ويمتد هذا المستوى خلال التعبير حتى المقطع الأخير، حيث يتزل فجأة إلى المستوى الأول (أي درجة الصوت المنخفضة). ويمثل هذا النمط من الكلام المتوازن المستمر والذي يخفض عند الوقف، ويظهر المستوى الثالث، في هيئة قمم عندما يشدد (في عملية النطق)، على بعض المقاطع أكثر من غيرها".¹

وتحديد مواضع النبر وفق هكذا منحني نغمي لا يمكن الوقوف عليه بوجه دقيق، إلا بمساعدة الآلة، فالنبر في الكلام ظاهرة موقعية لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا، وهي ميدان الظواهر الموقعية.² إذ أن المفردة إذا انتضمت داخل السياق تغيرت أحوالها التي كانت لها عند الأفراد، وذلك لأسباب تشتمل عليها بيئتها الجديدة.³ ولهذا قرّر المحدثون أن لا سبيل تعين على تحديد النبر في نطق العربية الفصحى " سوى ما يمكن أن يؤخذ من نطق القرآن الكريم."⁴

فإذا ما عدنا إلى توصيف أشكال النبر وفق بنية الكلمة العربية - مما تم ذكره آنفاً- وجدنا أن معظم مواضع النبر في النماذج التي تم تحليلها، تتركز على الصوت المشدّد وعلى الصّوت الممتول:

ففي الموضع الأول ظهر ارتكاز النبر على المقطع من نوع (ص م-)، إذ يصل تردده إلى عشر (10) مواضع من مجموع مواضع النبر في الآية الكريمة والبالغ عددها أربع وعشرين موضعاً (24).

كما أن النبر يظهر بشكل كبير على الصوت المضعف ففي النموذج الثاني، كل مواضع الصّوت المضعّف وقع عليها النبر، إذ ظهر في ثلاث (3) مواضع من مجموع (12) موضعاً، وفي النموذج الثالث ظهر في (3) مواضع من مجموع عشرة مواضع (10) للنبر.

¹ العبد محمد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 2006/هـ1426م، ص48،47.

² ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 170 .

³ ينظر: مقالات في اللغة، ص175 .

⁴ ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 28 .

إن هذا النوع من النبر يندرج ضمن النبر الطولي، كذلك فإن وقوع النبر على الصوت المشدّد، يعد شكلا من أشكال النبر الطولي، وإن عدّه بعضهم شكلا من أشكال النبر التوتري، إلا أنه يمكن إلحاق هذا النوع بالنبر الطولي، من حيث كان التضعيف في الصّوت الصّامت طولا في مدته وأدائه.¹

والنبر في القرآن الكريم يُعزّز من إيقاعية الذكر الحكيم خاصة ما كان مصدره التوازن والتوازي، وذلك ما لمسناه في السور المدنية، إذ يقع النبر ضمن مسافات معينة تضمن تحقيق الموسيقى والانسجام في آي الذكر الحكيم، ففي قوله تعالى ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾، تمنح الفواصل الزمنية بين كل نبر ونبر موسيقية للآية الكريمة وإيقاعا متناغما ومتوازنا، فبين المقطع الأول والثاني (2) مقطعين، وبين الذي يليه ثلاثة مواضع (3)، وبين الثالث والرابع مقطعين (2)، وبين الرابع والخامس مقطعين (2)، والخامس والسادس مقطعين (2)، والسادس والسابع مقطعين (2)، والسابع والثامن مقطعين (2).

فكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح، بمعنى أن هذه الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تتقارب أحسن السّامع وكأن المتكلم يتعثر في مشيته، بل إن المتكلم نفسه لا بد أن يحس هذا الإحساس. أما أن هذا التقارب وذاك الانتظام فهو الذي نجده في إيقاع الأسلوب القرآني، كما رأينا في المثال السابق، ومثله ما نلمسه مثلا في قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾²

¹ ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 26 .

² سورة البقرة، الآية 19 .

إذ بين النبر الأول والثاني مقطع واحد هو (ك) وبين الثاني والثالث اثنان هما (يب) وبين هذا والذي بعده اثنان هما (ن السا) وبين النبر التالي مقطع واحد هو (ء) وهكذا يستمر الفارق في هذه الحدود فيكون الإيقاع ¹.

"إن التناسب أو الاتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السَّماع أو التلقّي، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتتالي أو النبر الشديد في كلمتين متعاقبتين، بل إنها ترفض صيغة النقرة القويّة يليها نقرتان خفيفتان أو زمان ضعيفان، وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية فضعيفة ثم أخرى قوية فرابعة ضعيفة تساوي زمن الثانية، وإنما تقبل أو تستريح للتوازن وتلذ به وتنتشي" ².

وهكذا فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، لسان موسيقي تستمتع الأسماع بلفظ كلماته، وتخضع مقاطعه في تواليها لنظام خاص يراعيه الناظم مراعاة دقيقة، ويعمد إليه عمدا... وتتردد في كلماته مقاطع بعينها فتستريح إلى ترددّها الأذان... وكل هذا يكسب الكلام جمالا وكمالا. ³

فوضع الصوت أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنحاء، إنما يكون لملامح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقى وبذلك يضحى التعبير أبرع والتأثير أروع.... فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان لمعنى في السياق وليس لضرورة الإيقاع.

¹ ينظر: البيان في روائع القرآن، ص1/187 .

² اليافي نعيم، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 25، 1407هـ/1986م، ص..

³ ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص306.

3- التنغيم في السور المدنية:

أ- أهمية التنغيم في القرآن الكريم:

إذا ما انتبهت: "لتصغي إلى إيقاع الكلمات المنسوقة في عبارة تامة، وأحسست أن تناغماً خاصاً ينتظمها، فقد وقفت على ما تسميه الصوتيات الحديثة (التنغيم)، وجوهر التنغيم أن يعطي المتكلم العبارة نغمات معينة تنجم نفسياً عن عاطفة يحسها، وفكرياً عن معنى يختلج في ذهنه، وعضوياً عن تغيير في عدد الهزات، التي تسري في وتري الحنجرة، فيزيد الاهتزاز أو ينقص، وفق الغرض الذي يتوجه إليه الكلام.¹

والتنغيم لغة "جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها.² واصطلاحاً: "هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام.³

وربّما يعرف التنغيم أنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الحدوث في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف المتواصل يحدث نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين.⁴ فالتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح.⁵ ويذهب ماريوباي إلى أن التنغيم التابع الإيقاعي في أحداث كلام معين.⁶

والتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ "intonation"، ويعد ابراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسماه موسيقى الكلام، حيث ذكر "أن

¹ ينظر: التحليل الصوتي للنص، ص23. نقلاً عن: في علم اللغة، غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000، ص154.

² ابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر، ص590/12.

³ حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، ص164.

⁴ Jones Daniel, An outline of English phonetics, Cambridge, 1967, p 275.

⁵ دلالة التنغيم في اللغة العربية، ص03.

⁶ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص256.

الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيه ... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنعمة الموسيقية.¹

وينعته **محمود السَّعران**، بقوله: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام."²

والمقصود منه التنويع في أداء الكلام بحسب المقال المقول فيه. فكما أن لكل مقام مقالا فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه، فالتهنئة غير الرثاء، والأمر غير النهي، سطوة وردعا وغيرهما شفقة، وهما غير التأنيب والتوبيخ، والتساؤل والاستفهام غير النفي وهكذا.³

ولعلماء العربية إشارات مهمة لهذا الملمح الصوتي، من ذلك ذكرهم إضافة المدة بغرض الترثم والتنغيم بقول **سيبويه**: "إذا ترثَّـموا ألـحقوا الألف والياء والواو."⁴

ومن أشهر النصوص الدالة على وعي القدامى لظاهرة التنغيم ما ذهب إليه **ابن جني** في الخصائص، "إذ هو يتفنَّن في ضروب المصطلح الدال على التنغيم، كما يظهر من كلامه الصلة الوثيقة بين النبر والتنغيم، وكون العلاقة بينهما تلازمية."⁵

يقول **ابن جني**: "وقد حذفت الصفة ودلَّت عليه الحال، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم، سير عليهم ليل، وهم يريدون ليل طویل، وكأن هذا إنَّما

¹ الأصوات اللغوية ، ص 176

² محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، دت . ص 2010.

³ جبل ، محمد محمد حسن ، المختصر في أصوات اللغة العربية ، ص 177

⁴ ينظر: الكتاب، ص 220/2.

⁵ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 256.

حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والترويح، والتفخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فتريد في قوة اللفظ بـ ((الله)) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً وشجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك وكذلك سألناه فوجدناه إنساناً، وتُمكن الصوت بإنسان وتضخّمه، فتستغني عن وصفه بقولك إنساناً سمحاً أو جواداً، أو نحو ذلك، وإن ذمته ووصفته بالضيق، قلت: سألناه وكان إنساناً، وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك إنساناً لئما أو نجراً أو مُبخلاً أو نحو ذلك.¹

فحذف الصفة - حسب النص أعلاه - منسوب لإمام النحو سيبويه، ويعوض المحذوف بقرينة أداء الكلام، أي التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، وهي تلوينات صوتية تسد مسد التلفظ بالصفة والتصريح بها.² "إن الأمر يعني أن يذهب الصوت وأن يجيء في الهواء وأن يطول ويرفع ويعلى ويزاد في مده، أي أن المتكلم يحدث تغييرات في طبقة الصوت."³ إذ ورد في لسان العرب: تطوّح إذا ذهب وجاء في الهواء وفيه أيضاً طرّح الشيء طوّله، وقيل رفعه وأعلاه.⁴

ويرجح البايبي، من خلال هذا ومن قول أبي الفتح في موضع آخر في المدات "وذلك من شأن المدات، ولذلك استعملن في الأرداف والوصول والتأسيس والخروج وفيهن يجري الصوت للغناء والحداء والترثم والتطويح."⁵ "أن التطويح وكذا التطريح - في كتاباته - هما المرادفان الاصطلاحيان للتنعيم في الدرس الصوتي الحديث."⁶

¹ الخصائص، ص 370/2-371.

² القضايا التطريزية، ص 149

³ حنون مبارك، في بنية الوقف وبنية اللغة، ص 356/2

⁴ ينظر: لسان العرب، ط دار إحياء التراث العربي، مادة (طوح) ص 215/8. مادة (طرح) ص 137/8.

⁵ الخصائص، ص 233/2

⁶ القضايا التطريزية، ص 149

ثم إن ألفاظ التطويح والتطريح والتفخيم تدور من خلال معانيها اللغوية حول تطويل الصوت ورفعها؛ والنبر بمفهومه الحديث عملية عضوية تؤدي إلى علو الصوت، وكذلك تراعي في النبر قوة الصوت، وهذه تفهم من قول ابن جني: "فتزيد قوة اللفظ وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها"، فتعيين اللام في كلمة رجلاً، لتكون محلاً للتمطيط والإطالة، يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكّن في النطق، لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، وإنما على جزء منها، كذلك يكون الصوت المنبور أطول منه، حيث يكون غير منبور،¹ فالتنعيم ظاهرة صوتية تعمل بالموازاة مع ظواهر أخرى، أبرزها النبر، وما ينجم عنه من المدّ والتفخيم.

ويقول ابن يعيش في باب الندبة: "اعلم ان المندوب مدعو ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به، وإن كان بحيث لا يسمع كأنه نعه حاضرًا وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن وقلة صبرهن، ولما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله (بيا أو وا) لمدّ الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرًا للترنيم كما يأتون به في القوافي المطلقة وخصوصًا بالألف دون الواو والياء لأن المد فيه أمكن من أختيها.² إن رفع الصوت ومدّه، والترنم به هي ملامح تنغيمية بامتياز .

والنغمة من السمات فوق الجزئية SUPRA SEGMENTAL FEATURES، المميّزة التي ترتبط بعلو الصوت، ودرجة الصوت (PITCH)، ويذهب مالمبرج إلى أنها (تنوع في درجات الصّوت)³.
 " وتتمّ النغمة (TONE)، بتغيير ارتفاع طبقة الصوت أو انخفاضها فوق المقطع الواحد أو مقاطع متعددة؛"⁴ وتعدّ من سمات إيقاع المقطع، ويتمّ في عملية التحليل اللغوي إبراز النغمة في

¹ عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة، عمان الأردن، ط1، 2005، ص 37 و38.

² ابن يعيش، شرح المفصل، ص13/2.

³ برتيل مالمبرج، الصوتيات، ترجمة: محمد حلمي خليل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 101.

⁴ سمير إبراهيم وحيد العزاوي، التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، دار الضياء، عمان الأردن، 2000، ص 27.

المقطع أو تحديده، وفق خصائص وسمات المصوّت الواقع في المقطع ذات النغمة العالية أو النغمة المنخفضة¹. فالكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنعيم². وعموماً، فالتنعيم يظهر في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية،³ في أثناء الكلام، وهذه الارتفاعات والانخفاضات ترجع إلى التغيّر في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية،⁴ "تزيد من خصوبة الموسيقى التي تُحدثها الأصوات التركيبية، لذلك يقع على عاتق هذه الارتفاعات والانخفاضات إحداث التغيرات الموسيقية في الكلام، فالكلام، مهما كان نوعه، لا يلقي على مستوى واحد مجال من الأحوال،"⁵ وهو يخضع لعامل المقاطع المخصوصة والتي يُحددها نوعها الموقف والجرس الصوتي، أو تردد بعض الحروف تردداً ملحوظاً.⁶

ذلك أن كل جملة أو كلمة ينطق بها لا بد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجة الصوت، ما بين عالية ومنخفضة، ومستوية، ومنحدرة، تتناسق وتتناغم لتؤدي الكلمة والجملة. فاختلاف درجة الصوت في الكلمة وتباينها من مقطع إلى مقطع آخر قاعدة عامة تخضع له جميع اللغات، إذ أنه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلمة أو الجملة وتجعلها سائدة في كل أجزاء الجملة، فلا بد أن تكون هناك عدة نغمات متألّفة متناسبة

¹ النظام الصوتي التوليدي في السور المكية، ص .

² ينظر: البيان في روائع القرآن، ص 263 .

³ كمال بشر، علم الأصوات، ص 533.

⁴ ينظر: محمود السّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 192.

⁵ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات ص 533،

⁶ ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص 56.

في الكلمة. وقد أشار العلماء إلى أنواع النغمات ما بين هابطة إلى أسفل وصاعدة إلى أعلى وثابتة مستوية.¹

"فالنظام النغمي في العربية يُقسّم إلى مستويات، تبعاً لدرجة الصوت. فهناك الدرجة المنخفضة، الدرجة المتوسطة، الدرجة العالية والدرجة العالية جداً".²

ومن المؤكّد أنّ هذه المستويات الأربعة ليست مطلقة بل نسبية، ويُلاحظ أنّ المستوى الرابع محدود الوجود والتوزيع، ولا يبدأ به أي لفظ، وغالباً ما يوجد في الألفاظ الانفعالية، كالدهشة الشديدة، أو الحزن أو الفرح الشديد، وغيرها.³

ويُميّز هاليداي Halliday بين خمس نغمات رئيسية تبعاً للحركة النغمية Pitch movement.

النغمة	الرمز البصري	الحركة النغمية	الميل النغمي عند النهاية
1	1	- هابطة - صاعدة	- منخفضة - عالية
2	7	- هابطة - صاعدة	- عالية
3	7	- صاعدة	- متوسطة
4	7	(صاعدة) - هابطة - صاعدة	- متوسطة
5	7	(صاعدة) - صاعدة - هابطة	- منخفضة

الجدول⁴.

¹ ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 166

² سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)، تر: ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط1، (1403هـ / 1983م)، ص 141.

³ نفسه، ص 141.

⁴ Coulthard, M, m, Introduction to discourse Analysis, Ibid, p. 117.

"على أن تحديد طبيعة النغمة، إذا كانت صاعدة أو هابطة، إنما يتمّ بالنظر إلى نهايتهما فقط، أما إطارهما الداخلي فينتظم عدداً من التنويعات الجزئية الكثيرة، فحسبان النغمات اثنين فقط، إنما هو بالنظر إلى النهاية، لا إلى الوحدات الداخلية المتناثرة في المنطوق المعين"¹.
وقد جعل بعض الباحثين أنواع النغمات على ثلاثة أنماط، وهي الأكثر شيوعاً:

1- نغمة هابطة.

2- نغمة مستوية.

3- نغمة صاعدة.

لكنّ الدكتور سعد مصلوح جعلها على أربعة أنواع:

1- نغمة مستوية.

2- نغمة صاعدة.

3- نغمة هابطة.

4- نغمة هابطة صاعدة.²

أما الآخرون، فقد رصدوا الأنواع الخمسة الآتية في أغلب بحوثهم:

1- النغمة المستوية: وتشمل (أ) - نغمة مستوية منخفضة، (ب) - نغمة مستوية مرتفعة،

(ج) - نغمة مستوية متوسطة.

2- النغمة الصاعدة.

3- النغمة الهابطة.

¹ بشر كمال، فن الكلام، دار غريب القاهرة، دط، دت، ص 263.

² يُنظر: مشتاق عباس، معن، أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، ص 99، نقلاً: دراسة السمع والكلام، سعد مصلوح، ص

4- النغمة الهابطة الصاعدة.

5- النغمة الصاعدة الهابطة.¹

فالنغمة المستوية تعبير يُطلق على الأداء الطبيعي للجمل بحسب المستوى الموضوع لها أصلاً، فمثلاً الإخبار له أداءٌ يُميّزه مما سواه من أساليب العربية، فالثبات على ذلك المستوى يوّلد من خلال أدائه (نغمة مستوية، ثابتة).² وهي عادة ما تكون عند الوقوف على الكلام غير التام، كالوقوف على الشرط قبل الدخول في الجواب.³

والنغمة الصاعدة، تتطلب وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر أو مستوية تليها درجة أكثر منها علواً، وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة من نغمة منخفضة عليها نغمة متوسطة، وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة تليها نغمة عالية،⁴ وفيها يشعر السامع ببعض الأشياء التي لم تتم بحيث يتوقع أن يتلقى بقية الكلام، أو يتوقع إجابة، وتنتهي هذه النغمة أو التنغيم بأعلى درجة إسماع.⁵ ثم النغمة المسطحة، وتكون عند الوقوف على الكلام غير التام، كالوقوف على الشرط قبل الدخول في الجواب.⁶

ويقدم تمام حسان تصورا لقواعد التنغيم، بما فيه من نغمات ولحون وفق ما أسماه بالموازن النغمية، إذ ضبط المصطلحات الدالة على التنغيم فيما يلي:

¹ وضع هذه الأنماط الخمسة الدكتور عبد الرحمن أيوب، إذ أشار إلى ذلك الدكتور زين الخويسكي في كتابه علم الأصوات، ص135، وما بعدها. كمال بشر، علم الأصوات، ص534 وما بعدها، د. مناف الموسوي، التشكيل الصوتي، ص143. نقلاً: رائدة عاظم فياض، الاتساق الصوتي في نهج البلاغة (التنغيم أمودجاً)، مجلة العميد، العدد6، شعبان، 143هـ/2013، ص99.

² ينظر: كمال بشر، علم الأصوات ص534 وما بعدها.

³ ينظر: حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، ص178/2.

⁴ ينظر: الاتساق الصوتي في نهج البلاغة، ص104.

⁵ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص258، وظاهرة التشكيل الصوتي، ص320.

⁶ ينظر: مقالات في اللغة، ص178/2.

- شكل النغمة الذي يقسمه إلى قسمين:
 - 1- اللحن الأول الذي ينتهي بنغمة هابطة.
 - 2- اللحن الثاني الذي ينتهي بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلا مما قبلها.
- المدى بين أعلى نغمة وأخفضها سعة وضيقا، ويقسمها إلى ثلاثة أقسام:
 - 1- المدى الإيجابي، ويستعمل في الكلام الذي تصحبه إثارة قوية للأوتار الصوتية بإخراج كمية أكبر من الهواء الرئوي، باستعمال نشاط أشد في حركة الحجاب الحاجز.
 - 2- المدى النسبي، ويستعمل في الكلام غير العاطفي، وتفهم سعة المدى وضيقه في محدودية المدى التنغيمي العام في اللغة المدروسة، أي المدى الذي بين أعلى وأخفض نغمة كلامية تستعمل في المحادثة، وذلك لأنه ليس هناك سعة مطلقة وضيق مطلق بل كل شيء في هذا المجال نسبي .
 - 3- المدى السلبي، ويستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة تهبط بالنشاط الجسمي العام كالحزن مثلا.¹

وهو يقسم النغمات، انطلاقاً من فيزيولوجية النطق بها، إذ نجد يقف على ثلاث نغمات: النغمة الواسعة: وتكون نتيجة إثارة أقوى للوترين الصوتيين بواسطة الهواء المندفَع من الرئتين، فيسبب ذلك اهتزازاً أكبر منها، ومن ثم يعلو الصوت ويربو. والنغمة المتوسطة: وتكون أقل تطلباً لكمية الهواء وما يصحبها من علو الصوت السابق ذكره، وأخيراً النغمة الضيقة: وتستعمل في العبارات الحزينة.² وهو يقصد بالنغمة تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف النغمة بالصاعدة أو الهابطة أو الثابتة، بينما اللحن يطلق على مجموع

¹ ينظر: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص 198-201.

² ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 229.

النعمة التي في المجموعة الكلامية أي الترتيب الأفقي للنعمة، أما الميزان فهو النموذج التنغيمي الذي يشمل اللحن والمدى.¹

فمعرفة تنغيم جملة ما إذن، إنما هو بالنظر إلى آخرها فقط، يقول مارتيني معرفاً إياه "بأنه ما يبقى من المنحى التنغيمي بمجرد أن تعطي الضرورات ذات الطابع النغمي والنبري."² ثم يبين مصطلح التنغيمية بأنها حينما تكون سمتها الملائمة في الاتجاه العائد لجزء من المنحى التنغيمي صاعد، هابط، أو موحد.³

وهذا ما دعا (ديفيد كريستال) إلى القول " ليس التنغيم نظاماً متفرداً من المناسب يأتي في نهاية الجملة ولكن خصائص معقدة من مختلف الأنظمة البروسودية تشمل النعمة، درجة الصوت، المدى، علو الصوت، التزمين؛ هذه الأمور كلها مجتمعة تأتي متناغمة ذات إيقاع."⁴

ولقد ظل الدارسون مترددين في حصر التنغيم فقط في حركة درجة الصوت (pitch)، بيد أنه عندما يسأل ما أثر التنغيم في توجيه المعنى، حينئذ معايير أخرى غير درجة الصوت يشار إليها على أنها جزء مهم وأساس في التأثير على المعنى.⁵

فالتنغيم أوسع من أن يحصر في ما يسمى بهبوط النعمة، أو صعودها، ولكن كل ما يحيط بالنطق من طرق الأداء. هذه الطرق تشمل الوقف، والسكت، وعلو الصوت، نبر المقاطع، وطول الصوت وغير ذلك، ثم أن التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة دون التراكيب المقروءة، فالأداء وما يحمل من نبرات، وتنغيمات، وفواصل له أثر كبير في نفوس السامعين ومتابعاتهم، وحسن إصغائهم، وفهم المراد. ولقد تناول سليمان بن إبراهيم العايد، ذلك في

¹ نفسه، ص201.

² مارتيني، أندريه، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة: نادر السراج، دار المنتخب العربي، دط، ص206.

³ نفسه، ص203.

⁴ اللغة العربية معناها ومبناها، ص06.

⁵ D. Crystal :Intonation, p110.

مقال (القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه)، يقول: "فأنت حين تقول (أخرج) وأنت تأمر أمرا عاديا لك أداء يختلف عنه حين تقولها وأنت تنهر شخصا وتطرده. ومثلها (قم) في الحالين، وكذلك حين تأتي باستفهام تريد به مجرد الاستفهام، أو تريد به الإنكار، أو التعجب، أو التقرير.¹

من هنا كان تتبع النغمات في اللغة العربية أمرا صعبا، ومردّ ذلك أن للتنغيم درجات لا حصر لها، ولا تخضع لهذا النمط القسري من التقسيم، ما دام يعبر عن غرض المتكلم، وحالاته النفسية والانفعالية.²

"فالتنغيم قرينة صوتية لا رمز لها، أو يعسر أن يتحدد لها رموز، ومن ثمة لم يكن موضع عناية اللغويين القدامى، ولكنه وجد من المحدثين اهتماما خاصا بعد أن أضحت اللغات المحكية موضع دراسة في المختبرات الصوتية."³

على أن هذا الكلام ليس دقيقا إلى حدّ ما، ذلك أن مصنّفات الفلاسفة وعلماء التجويد تقدم لنا إشارات مهمة لهذا الملمح التمييزي، فابن سينا مثلا يبرز أن للتنغيم وظائف تعبيرية ودلالية، وأن لكل نطاق تنغمي مناسبة مع انفعالات وأخلاق معينة، فالانتقال من نطاق إلى آخر إنما هو في الواقع نتيجة للانتقال من حالة انفعالية إلى حالة أخرى، ويوضح ذلك ابن زيلة عندما يقول: "إن الانتقال إلى النعمة الحادة يحاكي شمائل الغضب، والانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدراية، والانتقال إلى هبوط يتدارك بصعود راجع يعطي النفس همّة شريفة مقوية مع شجى مخيل، وضدها يعطي هيئة لذيدة مائلة إلى الحق مع شجى.⁴ ويضيف أيضا: "أفضل الانتقالات في تركيب النغم هو الانتقال المحدث للسرور، وهو الذي يكون فيه من ثقل النغمات

¹ ينظر: دلالة التنغيم في اللغة العربية، ص 07.

² ينظر: قضايا صوتية في النحو العربي، ص 274.

³ نفسه، ص 374.

⁴ ابن زيلة، الكافي في الموسيقى، ص 43 نقلا عن: القضايا النظرية، ص 164/1.

إلى حدتها، فيتبعه انتقال الصوت من خفض إلى رفع، وأما ما أشبهه فهو الذي يكون الانتقال فيه من حد النغمات إلى ثقلها، فيتبعه انتقال الصوت من رفع إلى خفض، ومنها انتقالات في تركيب النغم تحدث السخاء، وأخرى تحدث الشجاعة، وأخرى تحدث الحمية والألفة، وأخرى تميل بالنفس إلى القوة، وأخرى تميل بها أضداد هذه الشمائل".¹

فلأداء أدوار انفعالية ودلالية متنوعة، يتم الانتقال بين النطاقات التنغيمية، حيث توظف الحدة والثقل إلى جانب عمليتي الصعود والهبوط، يقول حنون " وهكذا يتضح أن هناك نطاقات تنغيمية مختلفة يناسب كل نطاق تنغيمي منها حالة أو موقفا للمتكلم يخص ما يرمي إليه، وعليه فكل تشكيل تنغيمي متميز يسند إلى القول وظيفة انفعالية أو تعبيرة متفردة وبطبيعة الحال، فالأمر لا يتعلق فحسب بصعود النغم وهبوطه، وإنما يتعلق أيضا بالحدة والثقل".² وهذا التفاعل بين هذين المقومين هو ما انتبه إليه ابن زيلة، قائلا: " إما أن يكون من طرف الثقل هابطا إلى الحدة، أو يكون من طرف الحدة صاعدا إلى الثقل، أو من الوسط هابطا إلى الحدة مرة، وصاعدا إلى الثقل مرة".³

ففي هذا الكلام تفصيل جيد لأنواع النغمات وتوزيع لها إلى ثلاثة مستويات: " النغمة العالية حيث تنتهي بدرجة إسماع عالية، ففي حالة الاستفهام والشرط، والغضب مثلا، تتوتر الحبال الصوتية عند نهاية الجملة، فيكون الصوت حادا، ولذلك حق لابن زيلة أن يخلص إلى أن الانتقال إلى النغمة الحادة يحاكي شمائل الغضب، وإلى هذا السبب يرد وجود النغم. النغمة المتوسطة: وتكون في الحالة العادية. النغمة الهابطة (الثقل): حيث تنتهي بدرجة إسماع منخفضة، وحسب ابن زيلة إن الانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدراية، ففي حالات

¹ نفسه، ص 65.

² حنون مبارك، في بنية الوقف وبنية اللغة، ص 363/2

³ ابن زيلة، الكافي في الموسيقى، ص 41، نقلا عن: القضايا التطريزية، ص 164/1.

الضعف والعجز، والهدوء، والحلم، أو في الجمل التقريرية عموماً، ترتخي الحبال الصوتية في نهاية الجملة، فيكون الصوت ثقيلًا، وهذا ما يفسر وجود النغم الهابط.¹

ومن ذلك قول السمرقندي: "مثال ذلك: (ما قلت)، وارتفاع الصوت ب(ما)، يعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت، يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين، يعلم أنها استفهامية، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن."²

على أنه في دراسة الأساليب البلاغية ما يعد مدخلا لدراسة التنعيم، من هنا قرّر العلماء أن الأساليب قد تحدد نمط التنعيم ونوع النغمة؛ ذلك أن التنعيم في الأساليب قسمان:

الأول: ينتهي بنغمة هابطة، ويكثر استعمال النغمة الهابطة في التقرير لإفادة انتهاء الجملة وتمام المعنى. والثاني: ينتهي بنغمة صاعدة، وغالباً ما يكون في أسلوب الاستفهام.³

حيث أن العلوّ في النغمة يدلّ على الاستفهام إذا كان منطلقاً من قاعدة خبرية مثلاً كنطق: (قرأ محمد قصيدة) بأسلوب الاستفهام⁴، فهذا الارتفاع عن المستوى الثابت للتركيب الخبري يسمى بـ (نغمة صاعدة)، والانخفاض عن المستوى يشكل نغمة هابطة،⁵ وأسلوب الاستهزاء أو الاستفهام، أو غيرها هي الأساليب الكلامية التي يبرز وجود هذه النغمة فيها أكثر من غيرها من الأساليب.⁶

فللتنعيم إذن أهمية عظيمة الأثر في دراسة الأساليب، حتى لقد ذهب بعد الدارسين الغربيين، وهو يتحدث عما يُسمّيه بالاستخدام الفعلي بين الإسناد والتنعيم "إلى أن هاتين

¹ القضايا التطويرية، ص 165

² ينظر: القدوري، غامم حمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 479.

³ البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 01

⁴ الاتساق الصوتي في نهج البلاغة، ص 19.

⁵ الاتساق الصوتي في نهج البلاغة، ص 105. نقلاً عن الأصوات اللغوية، الخويسكي، ص 124.

⁶ ينظر: التشكيل الصوتي، ص 146.

الظاهرتين - والتنغيم في المقام الأول - تكونان الجملة،¹ "وهو في كثيرٍ من الأحيان يكون قرينة أعظم أثراً من القرينة اللفظية (أي الأداة) بحيث تجرّدها والجملة المركبة معها من المعنى الذي تُحمل عليه."²

"إن ما يُذكر من خروج التراكيب إلى أساليب مختلفة، أو دلالة الأداة على أكثر من معنى، واختلاف النحاة في ذلك، إنما يرجع إلى التنغيم، ودواعي هذا الاختلاف أنهم ينظرون - غالباً - إلى النص المكتوب دون المنطوق."³

من هذا المنطلق أغنى التنغيم الصوتي عن أداة الاستفهام، في بيت عمر بن ربيعة:

ثم قالوا: تحبها؟ قلت بهراً
عدد النجوم والحصى والتراب.

يقول الدكتور تمام حسان: "فقد أغنت النعمة الاستفهامية في قوله (تحبها) عن أداة الاستفهام، فحذفت الأداة، وبقي الاستفهام مفهوماً من البيت."⁴

وفي قول جميل:

لا، لا أبوح بحبّ بثينة إنَّها
أخذت عليّ موثقاً وعهوداً.

تقول رجاء عيد: "ويرى الدكتور تمام حسان أنه يستحسن الوقوف تنغيماً عند (لا) الأولى، وكأنها مكتفية بذاتها، وأنه لا معنى لتورط النحاة في اعتبارها حرف نفيٍّ مؤكِّد تأكيداً لفظياً، وربما تُضيف إلى هذه الملاحظة ملاحظة، وهي أنّ (لا) الأولى، والوقوف عندها تنغيمياً،

¹ كراتشا كابوشان، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، تر: جعفر دك الباب، دمشق، 1980، ص 26.

² قضايا صوتية في النحو العربي، ص 376.

³ نفسه، ص 378.

⁴ رجاء عيد، القول الشعر (منظورات معاصرة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط. د.ت، ص 31 - 32.

إنما تُضفي دلالة شعورية على أنّ صراعاً داخلياً في ضمير الشاعر بين البوح واللابوح، وكأنّ (لا) هذه متصلة لا شعورياً بما يدور في الداخل".¹

فالتنغيم إذن ظاهرة أدائية، تعكس مختلف المواقف الشعورية والنفسية، ويظهر أثرها من الناحية الفيزيولوجية، وذلك ما تضبطه المعامل المخبرية، وفي غيابها، يمكن للدارس الاستئناس بالأساليب البلاغية، إذ هي مُعين مهم لمعرفة النغمات وضبطها، لاسيما في آخر الأفاويل، إذ آخر نغمة في الكلام هي من يحدد بها نوع التنغيم وشكله.

ولقد أدرك اللسانيون المحدثون، القراءات والتأويلات التي يقدمها معرفة تنغيم جملة أو نص، لاسيما إن وظف في فهم النص القرآني، يقول "وكم يكون جميلاً أن يهتم به دارسو الأدب ورجال النقد الأدبي، إذ هم بذلك يستطيعون الحكم على المعاني حكماً صادقاً، ومن الواجب علينا أيضاً أن نراعيه في تلاوة كتاب الله فنحن إن فعلنا ذلك سهل علينا فهمه وتذوق معانيه".²

من هنا كان لزاماً استنباط شيء من التنغيم في السور المدنية، منطلقين ممّا توصل إليه اللسانيون، ويظهر ذلك فيما يلي :

¹ القول الشعري (منظورات معاصرة)، ص 32.

² بشر كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ص 163.

ب- الأشكال النغمية في القرآن المدني :

من الآيات المدنية التي يظهر فيها التنغيم، من خلال دراسة أساليب ما يلي :

أ- النغمة الهابطة:

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۖ ... ﴾¹، إذ الاستفهام المستعمل هنا

في مقام الاستئذان، وهو استئذان تهكمي، لأنه قد نبأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم.²

ومنه في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

³، "إذ تبدو الآية بهذا القدر استفهامية - للوهلة الأولى - بناء على القرينة اللفظية، وهي

أداة الاستفهام، إذا نظرنا إليها مكتوبة، فإذا عرضناها على أسماعنا من أفواه القراء، أو نظرنا

إليها في سياق المعنى القرآني، لم تكن الجملة استفهامية، والآية بصياغتها من أساليب التحقيق

والتأكيد، ومن ثمة جعل أكثر النحاة والمفسرين (هل) بمعنى (قد)، والقرينة التي كانت لها الغلبة

على (هل) هو المعنى والتنغيم المعبر عنه، وبهذا تجرّدت الجملة من معنى الاستفهام مع توافر قرينة

الاستفهام اللفظية المعروفة".⁴ "فالاستفهام ينبغي أن يفهم من التراكيب وما يُصاحبها من قرائن

معنوية وأدائية، لا من الأداة وحدها".⁵

فلفظ الآية استفهام ومعناه الخبر والتقدير، وهذا محل للنغمة المنخفضة أو الهابطة.

¹ سورة الحج، الآية 72.

² يُنظر: التحرير والتنوير، ص 336/17.

³ سورة الإنسان، الآية 1.

⁴ قضايا صوتية في النحو العربي، ص 376.

⁵ نفسه، ص 376.

ومن ذلك الجمل التي تعتبر مفتريات، يقول النووي، ومن الآداب إذا قرئ نحو ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾¹ و ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾²، أن يخفض بها صوته وكذا كان النحوي يفعل.³

"إن هذه الآيات فيها جرأة على الله وتقول عليه، وكفر وتحد، أو افتراء عليه، لذلك فهي تؤدي على مستوى طبقات الصوت بصوت خفيض تسفيها لقائلها وتعظيم الله واستحياء منه. وهذا مانبه عليه الدركلي وهو يحدد النعمات التي ينبغي أن يقرأ بها القرآن، حيث اعتبر أن المفتريات ينبغي أن تقرأ بالإخفاء والترقيق، وهي من الملامح الموازية للخفض.⁴ حيث قال: "قال بعض المحققين: ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع نعمات: فما جاء من أسمائه تعالى وصفاته فبالتعظيم والتوقير، وما جاء من المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق، وما جاء في ردها فبالإعلان والتفخيم، وما جاء من ذكر الجنة فبالشوق والطرب، وما جاء من ذكر النار والعذاب فبالخوف والرهبة، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة، وما جاء من ذكر المناهي فبالإبانة والرهبة.⁵

ب- النغمة الصاعدة:

ومنه التنعيم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوَّفَتْ كُلُّ قَلْبٍ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾⁶، الاستفهام مستعمل كناية عن التعجب من حال فريق المشركين الذين هم من أصحاب العقول، ومع ذلك قد حرموا من الهدى، لما لم يجعله الله فيهم، وقد جعل الهدى في العجموات، إذ جبلها على إدراك

¹ سورة التوبة ، الآية 30 .

² سورة المائدة ، الآية 64 .

³ ينظر : السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص1/107 .

⁴ القضايا التطريزية ، 297 .

⁵ ينظر : القدوري ، غانم حمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص 569

⁶ سورة النور ، الآية 41 .

أثر نعمة الوجود والرزق، والاستفهام هنا إنكاري مكين الوقع،¹ ومثله في قوله تعالى: ﴿... مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا...﴾²، الاستفهام حقيقي، وذلك أن تجعله للتعجب من علمه بذلك.³

والاستفهام عادة ما يتطلب تنغيما عالي وتصاعدي ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁴

يظهر تنعيم الآية بدرجة إسماع عالية ويظل النغم يسير وفق هذه النغمة المتصاعدة حتى نهاية الآية مما يمنح الآية وقعا وحضورا قويين.

فهذه نماذج من الأشكال النغمية في الجزء المدني من القرآن الكريم، وهي تساهم في تحقيق الفهم الصحيح لكلام الله عز وجل، وتبيان المبتغى من الآيات، وتساهم في توجيه الدلالة، بل حتى في تحديدها كما سنرى في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

¹ يُنظر: التحرير والتنوير، ص 258/18 – 259.

² سورة التحريم، الآية 3.

³ التحرير والتنوير، ص 354/28.

⁴ الآية (106) من سورة آل عمران.

4- نظام الفواصل :

لمادة (فصل) في اللغة أصل واحد تلتقي عليه الاستخدامات المختلفة لهذه المادة، وهو الفصل بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع الفصل وبين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين شيئين.¹

"وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما عداها، والكلام التام قد يكون رأس آية وكذلك الفواصل يَكُنُّ رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آي، فالفاصلة تعمُّ النوعين وتجمع الضربين."²

وموقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، على حد قول الزركشي، ويؤتى بها لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان.³ وعرفها الرماني والباقلاني "على أنها حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني."⁴ وقد نقض عبد الكريم الخطيب في كتابه إعجاز القرآن هذا التعريف بقوله: "وعلى هذا فالتعريف الذي عرّف به القاضي أبو بكر الفاصلة ليس تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون، إذ أن قوله (يقع بها إفهام المعاني)، يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة يتقابل مع المعاني الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية، أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها."⁵

¹ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ط دار إحياء التراث العربي، ص 273/10.

² الداني، أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، تح: غانم حمد القدوري، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط، 1414هـ/1994، ص 126.

³ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، ص 54/1.

⁴ الرماني، الحسن بن علي (ت 386هـ)، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تح محمد زغلول سلام، محمد خلف الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، ص 89.

⁵ ينظر: النقيب، محمد حسين، الفاصلة في السياق القرآني، ص 04.

وناقش محمد الحسناوي مختلف الآراء حول تعريف الفاصلة ورجح أن الفاصلة "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر".¹

"وعموما فالفاصلة هي آخر كلمة في الآية ليعرف بعدها بدء الآية الجديدة بتمام الآية السابقة لها، وقد نقصد بها الحرف الأخير من هذه الكلمة خاصة عند الحديث عن التكرار في المستوى الصوتي".² ومجموع تعاريف الفاصلة تتفق في مواطن محددة هي كالتالي :

- 1- موقع الفاصلة آخر الجملة.
- 2- دور الفاصلة في إفهام المعنى .
- 3- التشاكل والتشابه في الحروف والمقاطع .
- 4- غالبا ما يتم مقارنتها بالقافية في الشعر والسجع في النثر ليتضح دورها.

"وعلى هذا فالفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها".³

"وقد كثرت في القرآن الكريم الفواصل بوصفها وسيلة تعبيرية بالغة التأثير، فعليها يتوقف اكتمال المعنى، وفيها ذروة النغم، وبها ينتهي إيقاع القرينة، فهي إذن مشحونة بالنغم والإيقاع، وبما لا يمكن للفظة أخرى في النسق أن توازيها في الكم الموسيقي، وكثيرا ما تتراح بعض الألفاظ عن مواقعها المألوفة في الجملة لتهيئ الفرصة للفظة أخرى أن تأخذ الموقع لأن الأخرى هي المناسبة أن تكون".⁴

¹ الحسناوي محمد ، الفاصلة في القرآن، دار عمار ، ط1421هـ، 2/2000م، ص29

² ينظر: غوادرة، فيصل حسين طحيمر، التكرار في الفاصلة القرآنية الجزء الأخير من القرآن أمودجا (دراسة أسلوبية

(،جامعة القدس المفتوحة ، ص.10

³ البناء الصوتي في البيان القرآني ، ص69

⁴ البنية الإيقاعية في الأسلوب القرني ، ص26

إن الوزن والفاصلة في القرآن الكريم، أكسبا نظمه قوة في التعبير، لأن انسياب النغم الموسيقي في الآيات بهما، وتدفعه مع المعاني قوة ولينا، متمم للأثر القوي، الذي يحدثه القرآن في نفوس السامعين عن طريق الحس السَّمعي.¹

"الفاصلة تكمل معنى الآية، ويتم بها النغم الموسيقي، فمكانة الفاصلة من الآية، مكانة القافية من البيت، إذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة".²

إن عودة النقرة على الوتر، تحدث التجاوب مع سابقتها، فتأنس الأذن بازدواجهما وتآلفهما، فإن عودة الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس الذي لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه لكفته، فإذا كان مما يزيد المعنى شيئا أفاد مع الجرس الظاهر جرسا خفيا لا تدركه الأذن، وإنما يدركه العقل والوجدان وراء صورته.³

"على أنه من أبرز خصائص الفاصلة القرآنية مايلي:

- اطراد الفاصلة: ونعني بها تواليها باستمرار، فلا يوجد في القرآن الكريم آية بدون فاصلة.
- اعتماد الفتحة على روي الفاصلة التي تليها الألف: وقد جاء هذا كثيرا في القرآن الكريم وفي الوقت نفسه جاءت مستساغ مقبولة من مثل (بصيرا، عليما، حكيمًا).-
- تنوع الفاصلة أو تغييرها أو تماثلها: مما يحقق عنصر الإثارة والتشويق ويساهم في تطوير أسلوب التعبير، ولم يخضع لقالب الرتابة الممل.
- انسجام أداء الفاصلة الصوتي مع المعنى: وهذا الذي ميّزها عن قافية الشعر، والسجع في النثر أهما لا يغني غيرها عنها.

¹ سلام، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أواخر القرن 4هـ، قدّم له: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، ط1، مصر، ص243.

² البناء الصوتي في البيان القرآني، ص69.

³ نفسه، ص89.

- شيوع نظام الفواصل المبني على حرف النون والميم، المسبوقتين بياء أو واو، والوقوف عليها بالسكون¹.

فالفاصلة القرآنية ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد: شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية، ولو أمعنا النظر في فواصل القرآن، ودرسنا الحروف التي يكثر ورودها فيها، ولا سيما في خاتمتها، لوجدنا النون، والميم، والألف، والواو، والياء، وحكمة ذلك وجود التمكن من التطريب، لذلك يقول سيبويه: "إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصّوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا؛" وقد جاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع².

ويقول الزركشي: "كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد، واللين، وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك."³ وبالتالي يتحقق إيقاع المناسبة، ولهذا الإيقاع تأثير بالغ في اعتدال نسق الكلام، وله موقع حسن في النفس، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها⁴.

قال أديب العربية مصطفى صادق الرافعي: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا، يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف

¹ الفاصلة في السياق القرآني، ص 08.

² سيبويه، الكتاب، 2/220.

³ ينظر: بدوي، عمار توفيق أحمد، الفاصلة القرآنية شكلا وبلاغة، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، القاس،

ط 2007، ص 98

⁴ نفسه، ص 97.

من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة، وتقطع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه، وأليق بموضعه".¹

فأصوات المد واللين، وصوتا النون والميم، جميعها تحمل لنا إيقاعيا لا يتوافر في الحروف الأخرى، ثلاثة منها تستعمل للمدود، وتقابل تسمية الإطلاق في البيت الشعري، وحرفان سهلا المخرج، فيهما غنة محببة، تساعد على إخراج صوت محبب من الأنف، تلك هي شحنة النغم.²

فالمدود في الفواصل هي نهاية الدفقات الصوتية للآيات عند الوقف، و"نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظا يثير الحكم بأن لها دخلا كبيرا في الإعجاز، وهي إما مدود مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر في كلمة الفاصلة، فيضعف التكرير قيمتها، بما لا يخفى جماله، وأمر إيقاعه.³

وبالرجوع إلى القرآن المدني نجد على سبيل المثال، فواصل سورة الأحزاب تسير على فاصلة واحدة هي الألف، وجاءت فواصل على حروف أخرى في مواضع محدودة، على نحو مجيئها على حرف اللام في قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۗ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۗ ﴾⁴.

¹ الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص212، 213.

² ينظر: الفاصلة القرآنية شكلا وبلاغة، ص 99.

³ البناء الصوتي في البيان القرآني، ص78.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 04.

"وسورة الرحمن جميع آياتها تحتوي على مدود إلا في آية واحدة اقتضى الحال أن لا يوجد فيها مد، وبذلك تتوحد النغمة الموسيقية من بداية سورة الرحمن إلى آخر آية فيها،"¹ وهي ﴿تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾²

فاللام والنون هما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرار، فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة، وتقطيع كلماتها ومناسبة للون المنطق، بما هو أشبه به، وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقله أو الصفير أو نحوهما مما هو ضرب من النظم الموسيقي.³

بل قد يحدث تغيير في نهاية الآية رغبة في تحقيق ماسمي بالنظم الموسيقي، من هنا كانت مراعاة فواصل الألف المدية في قوله تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾⁴ "جاءت بإلحاق الألف، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فتزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل، أو حذف حرف".⁵

¹ الموسيقى القرآنية والجرس الدلالي (بحث موجز في النغمة القرآنية)، ص 11، موقع

aldhiala.com/magazin/maab/7pdf

² سورة الرحمن، الآية 78

³ ينظر: فواصل الآيات القرآنية، ص 83

⁴ سورة الأحزاب، الآية 10.

⁵ السيد، محمد يوسف هاشم، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ص 52.

فقد كتب (الظنوناً) في الإمام بألف بعد النون، زيدت هذه الألف في النطق للرعاية على الفواصل في الوقوف، لأن الفواصل مثل الأسجاع تعتبر موقوفاً عليها، لأن المتكلم أرادها كذلك .

فسورة الأحزاب " بُنيت على فاصلة الألف مثل القصائد المقصورة ، كما زيدت الألف في قوله تعالى: ((وأطعنا الرسول))، وقوله ((فأضلونا السبيل))".¹

وعن أبي علي في الحجة، "من أثبت الألف في الوصل لأنها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع، فأما من طرح الألف في الوصل فإنه ذهب إلى أن ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقواف... والأحسن الوقوف عليها لأن الفواصل كالأسجاع والأسجاع كالقوافي".² "ذلك أن مبنى الفواصل على الوقف".³

قال القزويني: "واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها، لأن الغرض أن يزواج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة، إلا بالوقف".⁴

وقال الدكتور بدوي: "فمكانة الفاصلة من الآية مكان القافية من البيت، إذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة، وتترل الفاصلة من آياتها، تكمل من معناها".⁵

¹ التحرير والتنوير، ص 282/21.

² نفسه، الصفحة نفسها .

³ القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 549/2

⁴ نفسه، الصفحة نفسها، وينظر : الحموي، تقي الدين، خزانة الأدب، تحقيق: عصام شعيتو، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987، ص 413/2.

⁵ بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، نُهضة مصر، 2005، ص 75.

فنظام الفواصل القرآنية، يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات لتبرز موسيقاها، وتستريح الأذان إلى سماعها، كما تستريح إلى القوافي الشعرية، ولا تتضح موسيقى الآيات إلا بالوقوف على رؤوسها .

يقول الدكتور ابراهيم أنيس: وحين نتبع الفواصل القرآنية، نراها بوجه عام، قد بنيت في السورة الواحدة أو في معظم آياتها على حرف واحد، يتكرر ويتردد مع كل آية، فكأنما هو بمثابة الروي في القوافي الشعرية، فإذا لم يتكرر نفس الحرف، تكرر ما يشبهه من الناحية الصوتية كالنون والميم مثلاً.¹ فالوقع الداخلة في فواصل الآي حاصل في التعبير القرآني موزون بميزان ذي حسّ شديد، يميل إلى أخف الحركات والتموجات.²

ومن مراعاة النغم الموسيقي ما تحدث عنه العلماء من من مشاكلة الفاصلة لآيات السورة في الحرف الأخير أو ما قبله، ففي قوله تعالى ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ^ع وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا³﴾

العلماء لم يعدوا (ويأت بآخرين) فاصلة لعدم تشاكل طرفها مع طرف الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا^ع﴾، وإنما عدوا قوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا)، فاصلة لتشاكل الطرفين.⁴ ومعنى هذا أن الإيقاع الموزون للقرآن الكريم يتحقق باعتبار مراعاة اتفاق الوزن ومراعاة الإيقاع في مجموع الآيات المتتالية.

¹ شرشر ، البناء الصوتي في البيان القرآني ، ص 79.

² ينظر: الخالدي عبد الفتاح، التصوير الفني عند سيد قطب، ص 168.

³ سورة النساء، الآية 133.

⁴ الفاصلة في السياق القرآني، ص 07.

ومن أساليب مراعاة النغم، اختيار التعبير واللفظ، ونسج التركيب المحققين لهذا النغم" ذلك أن المعنى الواحد يمكن أن يؤدي في اللغات الراقية في صيغ متعددة، ويمكن أن يؤلف الكلام في صور شتى، تختلف في تراكيبها وأساليب تأليفها، وكثيرا ما يعدل عن الطرق المألوفة في التركيب المعتاد، والتأليف المعهود، لأهداف فنية ومقاصد بلاغية. ففي قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹، "التركيب النحوي يقتضي أن تقول: "وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت"، فجاء في الآية "القواعد من البيت" بدلا من قواعد البيت، وفرق بين إبراهيم وإسماعيل، لينتهي الكلام بلفظ إسماعيل، وتتوازن أجزاء الكلام من حيث الجرس والنغمة".²

وكذلك قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، "فصيغ الجزء الأول من الكلام (الخوف) صياغة إسمية، والجزء الثاني (الحزن) صياغة فعلية، ولو صيغ كلاهما صياغة إسمية، (لا حزن عليهم ولا خوف) أو صياغة فعلية، (لا يخافون ولا يحزنون)، لما كان للكلام هذا الوقع الجميل".³

كما يلحظ العلماء ومنهم الزمخشري، أن القرآن قد يعدل عن لفظ إلى لفظ مراعاة لحق الفاصلة، إذ أن الفواصل القرآنية في سور كثيرة، يتحد نغمها الصوّتي وفي وحدة النغم هذه، تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه.... فالزمخشري من قلة البلاغيين يرون هذا الرأي، لذلك يفسر بعض الخصائص القرآنية تفسيرا مبنيا على اهتمامه بالناحية الصوتية.⁴

¹ سورة البقرة، الآية 127.

² البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 55.

³ المبارك محمد، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر المعاصر، ط4، 1973، ص 149.

⁴ ينظر: أبو موسى محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 369.

يقول في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا﴾¹، وزيادة الألف، لإطلاق الصوت، جعلت فواصل الآي، كقوافي الشعر. وفائدتها الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف.²

ومن قبيل مراعاة الفواصل ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾³، يقول الفارسي: "ويجوز أن يكون نصب (أشد) على الحال من (ذكر) الموالي له وأن أصل أشد نعت له ونظم الكلام : أو ذكرا أشد، فقدم النعت فصار حالا، والداعي إلى تقديم النعت حينئذ هو القيام بوصفه كونه أشد، وليتأتى إشباع حرف الفاصلة عند الوقوف عليه، وليباعد بين الذكر المتكررة ثلاث مرات بقدر الإمكان."⁴

فهذه نماذج من خصائص الفاصلة القرآنية كما تتجلى في السور المدنية، على أن موسيقى الفاصلة وأنواعها وخصائصها، تظهر بصورة أبرز في القرآن المكي، مقارنة بالقرآن المدني، فالآيات المدنية نظرا لطولها وطابعا التشريع، يتحقق المستوى الموسيقي فيها بتضافر المبني والمعنى ومراعاة السياق والمقام، وذلك أكثر من تجليه في الجانب الصوتي الأدائي .

يقول الأستاذ نعيم اليافي: " وإذا كان لنا أن نفرق بين السور المدنية والسور المكيّة ، بين النمط الفكري أو (النثري) التعبيري، والنمط الوجداني أو (الشعري) له، وإذا كان لنا أن نزعّم أن الموسيقى تظهر في النمطين إلا أنّها في الثاني أوضح وأبرز، وأن للفاصلة- جانبيها الإيقاعي والموسيقى بملمحيه التآلف والتناغم- فإن مانود أن نقرره هنا هو أن فاصلة الآيات المدنية

¹ سورة الأحزاب، الآية 67.

² الكشاف، ص 100/5.

³ سورة البقرة، الآية 200.

⁴ ينظر: الفارسي، الحجة، ص 246/2 .

ترتبط بالإيقاع ، ويقتصر دورها عليه في حين أن فاصلة الآيات المكية ترتبط بالإيقاع والموسيقى معا.¹

ويضيف هذا الباحث مجيباً عن سؤال يتعلق بوظيفة الفاصلة في السور المدنية ، إن لم يكن الجانب الموسيقي مبتغاهاً في القرآن المدني ، فيقول " ما وظيفة القافية في السور المدنية ؟ لكي نجيب عن هذا التساؤل علينا أن نتذكر أن حرف الروي في هذه السور قليل التنوع وهو على العموم ميم أو نون (يستقل حرف النون مثلاً بـ 66% من فواصل البقرة والميم بـ 22% وما تبقى 12% للراء والدال واللام والقاف)، وأن الآيات فيها طويلة يصل بعضها إلى نيف وأربعين كلمة ، ودرجة الأصوات أو شدتها قليلة التفاوت . . . في مثل هذه الصورة أو الحالة حيث يجتمع الطول مع ندرة التنوع في الروي وضالته في الصوت تحتاج الآيات إلى أداة تضبطها ، تضبط فيها نهايتها، وتعمل على تماسكها، وهذه الأداة هي الفاصلة، ووظيفة الفاصلة إذ في الآيات المدنية أنها تضبط الآيات، تحد رؤوسها، تسنح بالوقفات والاسترواح عندها، وهذه الوظيفة إيقاعية وليست موسيقية"².

¹ نعيم اليافي ، قواعد تشكُّل النَّغم في موسيقى القرآن ، مجلة التراث العربي، العدد 25-26، دمشق ، أكتوبر /يناير 1986، ص 147.

² نفسه ، ص 148-149.

الفصل الثالث :

أثر البنائين التَّشْكِيلِيِّينَ

وما فوق التَّشْكِيلِيِّينَ في الدلالة .

أولاً : أثر البناء الصوتي في الدلالة :

إن مراد أي دراسة لغوية، أيًا كان المستوى الذي تناوله من اللغة إنما هو خدمة المعنى، بإيضاحه أو إبرازه، أو توضيحه أو تقديمه في صورة جميلة فريدة، واللغة العربية لغة معروفة بخاصيتها الجمالية وبتحقيق، جميع معطياتها من أجل تحقيق الفهم والإفهام، ولكل معطى لغوي نصيبه كثر أم قل في الإسهام في إيصال المعنى وتبينه، والدراسات اللغوية قديمها وحديثها، تمنح الجانب الصوتي للغة، نصيباً من خدمة الدلالة، دليل ذلك تلك العناية الكبيرة التي حضيت بها قضية نشأة اللغة.

إذ شغلت قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى الدرس اللغوي زمناً غير يسير، وتضاربت آراء الدارسين حولها، هل هي طبيعية أم وضعية، ويقف أحد الباحثين من هذه القضية موقفاً وسطاً وذلك بعد أن ناقش مختلف الآراء الواردة حولها مُقررًا أن هناك فرقاً دقيقاً بين الاعتقاد بوجود علاقة ومناسبة وضعية بين اللفظ والمعنى، والاعتقاد بالمناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى، وأغلب من درس هذه القضية لم يتوقف عند هذه التفرقة نتيجة عدم اطلاعه على مباحث علم الوضع الذي كان منهجاً مقررًا في الدرس اللغوي القديم، والفرق بينهما أن العلاقة بين اللفظ والمعنى وإن كانت وضعية فلا بأس من القول بها، أي أن الواضع (الله أو المجتمع) إلا أنه عندما وضع الألفاظ لتدل على المعاني، لاحظ مناسبة بين المعنى القوي والأصوات القوية والمعنى الضعيف والأصوات الضعيفة؛¹ وهي أشبه ما تكون بعملية وضع المصطلحات اليوم، فإننا ننتخب من المعجم اللفظ الذي نرى وزنه وصيغته وأصواته ومعناه أكثر مناسبة من غيره ليكون اللفظ دالاً إزاء المعنى الاصطلاحي، والفرق بين العمليتين أن في عملية الوضع الاصطلاحي تكون الألفاظ المنتقاة لها معنى أصلي في حين تكون اللفظة في عملية الوضع الأول خالية من

¹ ينظر، فتحي يونس محمد ذنون، إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى، دراسة تطبيقية على السين وسوف في

القرآن الكريم، جامعة الموصل، العراق، ص 2.

المعنى قبل عملية الوضع، ثم يضع واضع اللفظة التي يراها تتناغم موسيقيا مع المعنى المدلول عليه، وبما أن الله تعالى حكيم على القول بأن واضع اللغة، والمجتمع الإنساني فلا يبعد أنه قد راعى وجود علاقة بين المعاني والدوال عليها، وإنما تغيب هذه العلاقة أحيانا نتيجة عوامل الزمن البعيدة بين الوضع والدرس اللغوي أو نتيجة ضعف الدارس في استكناه العلاقة بين الدال والمدلول.¹

وهذا الاعتقاد بوجود المناسبة الوضعية ذكره ابن جني ودافع عنه بقوله "بأن يكون الحاضر شاهد حال فعرف السبب الذي ومن أجله ما وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية."²

أما القول بأن الأصوات تدل على معاني بذواتها دون وضع الواضع للفظ والمعنى، أي أن الأصوات تدل على المعاني بذواتها دون وضع الواضع، فهذا هو الذي اتفق الجمهور على فساده.³ لأن الألفاظ لو دلت على المعاني بأنفسها دون عملية الوضع يلزم منه أن نفهم معاني جميع لغات العالم بمجرد سماع أصواتها، لكن النتيجة باطلة فالمقدم مثله.⁴

ثم إن الدرس اللغوي الحديث ينفي (المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى وليس المناسبة الوضعية بين اللفظ والمعنى).⁵ وهو ما نفاه الجمهور من اللغويين العرب القدماء أيضا، لكن نتيجة عدم اهتمام الدرس اللغوي الغربي الحديث بفكرة (الوضع اللغوي) نتيجة توهمه أن هذه القضية مرتبطة بموضوع (نشأة اللغة) وما تجره من آراء يصعب إثباتها لم يناقش -المناسبة

¹ نفسه، ص 03.

² ينظر: الخصائص، ص 66/1 .

³ ينظر: السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البحاي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ص 47/1.

⁴ ينظر: نفسه، ص 16-17.

⁵ ينظر: فندريس، اللغة، ص 38-42، وأولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له، وعلق عليه: كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ص 22-25.

الوضعية - في دراساته اللغوية، مع أن التفكير السهل يجرنا إلى القول بأن المجتمع الإنساني عندما يتواضع على إطلاق لفظ إزاء معنى، قد يلاحظ ويختار أصواتا معينة دون غيرها يجدها ذات قيمة تعبيرية وجمالية مقصودة، فكيف إذا كان الواضع هو الله تعالى سواء وضع البعض واستلهم المجتمع طبيعة العملية الوضعية فأكملوا ما بدأ به بنفسه حسب احتياجاتهم وطبيعة أفكارهم وأحوال بيئاتهم وأشكال تضاريسهم... الخ.

"والنتيجة من هذا المطلب أن هناك علاقة بين اللفظ والمعنى تظهر في بعض الألفاظ قد قصدها الواضع ولاحظها عند وضعه لألفاظ اللغة، سواء كان الواضع هو الله تعالى أم المجتمع، لأن اكتشاف اللغة كنظام إشاري عمل عقلي جبار، فلماذا لا يستطيع هذا المستكشف ونوابغه من انتخاب الأصوات المناسبة إزاء معانيها المراد التعبير عنها."¹

هذه خلاصة سجال كبير حول قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى، وإنما كان مرده إلى قيمة المعنى في أي دراسة لغوية، من هنا صرح الأستاذ تمام حسان، "بأن كل دراسة لغوية ينبغي أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة ... وهو صلة المبنى بالمعنى."²

لأن الألفاظ (الأصوات الكلامية) والعبارات في اللغة ترجمات للفكر الإنساني إذ للألفاظ أثر في السلوك الإنساني، فهي الأداة التي يستخدمها الأفراد في أحاديثهم والوسيلة الفعالة التي بها يتم التعامل الإنساني بصفة عامة وبعدئذ تحمل هذه الألفاظ دلالة ومعنى.³

¹ إشكالية زيادة المبنى ودلالته على زيادة المعنى، ص 04.

² ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 09.

³ ينظر: عبده داود، دراسات في علم اللغة النفسي، مطبوعات جامعة الكويت، ط 1، 1984، ص 19، 22.

"وعلى هذا فاللغة سلوك يفسر المنحى النفسي الذي يكون عليه المرء في أثناء كلامه وما تنبض به مكونات اللغة من انفعالات تكشف الحالة النفسية للمتكلم."¹

فاللغة إذن هي الوعاء أو المظهر الخارجي الذي يتم تقديم الفكر من خلاله، وهي تتخذ من الأصوات أولى طرقها. من هنا ركز البلاغيون على تذوقهم للجرس اللفظي، وما يؤديه من إichاءات وربطوا بين الصور الصوتية والصور البلاغية، يقول ابن الأثير: "فالألفاظ الجزلة تُتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق، ولطافة مزاج."²

من هذا المنطلق ظهر جليا صلة علم الأصوات بالدرس الدلالي، "فالأصوات مرتبطة بالدلالة، سواء أكانت دلالة إفرادية أم تركيبية، ولكي تشكل هذه العلامة ينبغي أن يولد عند عامة الجماعة التي تسمعه وتتداوله."³

لذلك فالبحث العلمي اليوم يؤكد أن الدراسات الدلالية قد لا تكون مثمرة، ما لم تركز على دراسة الصور الصوتية والتنغيمية؛ كما أثبتت الدراسات أثر الصوت في يقظة النفس وفعله البالغ في بعث رؤاها وذكرياتهما، وقد أكد علمائنا السلف أن الأصوات وإيقاعاتها أفعال في النفس من الصور والمعاني والأفكار، وأن السرايب الخفية المضمرّة الأحاسيس والمشاعر لا تبعثها إلا رنة الصوت في تنظيم وتتابع.

"وهكذا لاحظ علماءنا مناسبة حروف العربية لمعانيها ولحوا في الحرف العربي القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه

¹ النظام الصوتي التوليدي، ص18.

² ينظر: المثل السائر، ص 252/1.

³ بصل، محمد اسماعيل، صفوان سلوم، أثر الصوائت في الدلالة اللغوية (الإفرادية والتركيبية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد1، 2010، ص 155.

معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية، التي يمكن حل أجزاءها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها مستقل ببيان خاص مادام مستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع.¹

فالنظام الصوتي يعمل على احتضان هذه الانفعالات والمضامين التي تتناغم مع السلوك والفكر بمقتضى نظرية المثير stimulate والاستجابة reponse بغية التوصل إلى التواصل اللغوي، وظهورها في الألفاظ أو الكلمات التي تعد الأصوات بمثابة الحاضنة لبذور الكلمة في مراحل تكوينها، والتي تنمو في أرضية أي نص سواء أكانت نثراً أم قصيدة، ومن ثم تتفاعل مع عناصر البنية اللسانية الأخرى.²

"وتتجلى فاعلية الأصوات في قدرتها على إضافة (طبقة دلالية) - إن جاز التعبير - من خلال الطبقة الصوتية، وهي في ذلك، كأنها إيماء مكثف يحتزل إضافات صوتية أو تشبيهية أو سواهما، وكأنهما لذلك معنى فوق المعنى."³

"فمادة الصوت إذن هي مظهر الانفعال النفسي، وإن هذا الانفعال بطبيعته، إنما سبب في تنويع الصوت، بما يخرج فيه، مدّاً أو غنة، أو لينا، أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة، في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى."⁴

¹ الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، 2004، ص142.

² ينظر: منهج النقد الصوتي، ص 45-85.

³ العيد رجاء، القول الشعري (منظورات معاصرة)، ص 109.

⁴ البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 39.

"فإذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم، كانت قيمة الصوت في التعبير، والإيحاء، أبرز وأظهر إذ لعلَّ جمال النعمة هو السَّبب في العدول في الكثير من الآيات عن طرائق التركيب والتأليف المعتادة إلى صياغة خاصة في الكلام."¹

من هنا قرَّر العلماء أن الأصوات اللينة الهادئة الجرس تبعث الارتياح، والقويَّة تناسب مواقف الزجر والتعنيف، والممدودة تناسب مواطن النصح والإرشاد إلى غير ذلك، ولكل هذا شأن في بلاغة القول وروعته ومطابقته لمقتضى الحال وتجد ذلك واضحاً في الأسلوب المحكم المعجز للقرآن الكريم وبلاغته.²

فحين يرسم القرآن الكريم صورة الرحمة مثلاً فإنه ينتقل من الألفاظ الغليظة، والمرعبة إلى الألفاظ الهادئة المسرة، فتكون النعمة هنا كالماء البارد الذي يتناوله الإنسان وهو في رمضاء الصحراء، وللنظر مثلاً إلى القرآن الكريم وهو يصور لنا النعيم الموجود في الجنة، وذلك بلفظة (نضاختان) في قوله تعالى ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾³، إذ تدل على قوة الماء النازل فهو يتفجَّر من شدة القوة، فلو استعمل كلمة (جارتان) لما تركت في النفس من تشويق وانتباه. و كذلك كلمة (رفرف) في قوله تعالى ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾⁴، "رفرف تعني (ثياب خضر يتخذ منها المحابس)، فهو ثوب رقيق ناعم يشعر فيه الإنسان بالارتياح النفسي والجسدي."⁵

¹ دراسة أدبية في نصوص من القرآن، ص 153.

² عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها، دار الكتب، 1971، دط، ص 16.

³ سورة الرحمن، الآية 66.

⁴ سورة الرحمن، الآية 67.

⁵ الموسيقى القرآنية والجرس الدلالي، ص 6.

"فالقرآن الكريم هو دستور النفس الإنسانية وهو نوح تربيتها وسبيل استقامتها وطريق نقائها وخير علاج لأدوائها، فما يجلبه من وقع في الأذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورده القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبا مع معطيات الدلالة الصوتية، التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها، فتوحي بأثر موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض، ويستقرئ من خلال تشابك النص الأدبي في عبارته، فيعطي مدلولاً متميزاً في مجالات عدة: الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوق، التردد، التلبث... الخ."¹

وأثر الصوت في الدلالة في كتاب الله عز وجل يمتد عبر تسلسل، يبدأ بالصوت مفرداً ومركباً، ويظهر في طريقة صياغة المفردة وما يعترئها من تغيير، بل ويشمل البنية التركيبية بجميع عناصرها وأشكالها، وسنحاول أن نقدم وقفات مع آيات الذكر الحكيم في شقه المدني، ضمن هذه العناصر الصوتية .

ونبدأ بالمبحث الأول، من منطلق أن جرس المفردة ما هو إلا صوت حروفها من حيث الشدة والرخاوة، والجره والهمس، وما إلى ذلك، وهي مع هذا تحمل وتدل على معان، كما أن ترتيب أصوات المفردة، يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليها، وقد توصلت الدراسات إلى أن المفردة القرآنية امتازت بثلاث ميزات رئيسية هي:

1- جمال وقعها في السمع.

2- اتساقها الشامل في المعنى.

3- اتساع دلالتها كما لا يتسع عادة دلالات الكلمات الأخرى.

¹ الصغير محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000، ص

1- دلالة الصّوامت :

أ- التّناسب بين اختيار الصّامت والدّلالة :

مّمّا أصبح شبه مقررًا عند الدارسين المحدثين، بعض التحليلات التي تعكس وجود صلة بين طبيعة الصوت وخصائصه النطقية، وبين السياقات والمواقف بل وحتى البيئات التي يتواجد ويرد فيه، فقد نصّ الدكتور إبراهيم أنيس على "أن البداوة، تميل إلى الأصوات الانفجارية، لكونها تناسب غلظتها، وجفاء طبعها، كما تميل الحضارة إلى الأصوات الاحتكاكية، ففيها من التؤدة واللين، مما يناسب بيئتها وطبيعتها."¹

ويرى الدكتور عليّ يونس: "أن الصّوت اللغوي، الذي يشابه صوتًا بشريًا غير لغويّ، قد يكتسب شيئًا من دلالاته، فالهاء والحاء يشبهان إلى حدّ ما أصوات التنهّد والتأوه، وتنفس ارتياح بعد تعب، والحركات الطويلة تشبه صيحات الانفعال، والفاء تشبه الزفرة التي تعبر عن الضجر، أو الغضب، أو الحزن."²

"كذلك لم تكن الرّاء لتدل على التكرار، إلا بلمح التكرار الذي تحمله، ولم تكن الشين، لتدل على الانتشار، إلا بلمح التفشّي الذي تحمله...، لذلك يُعتقد أن الملمح التمييزي يمثل وحدة دلالية أصغر من الصوت اللغوي في الكلام، ومّمّا يؤيّد ذلك أن الصّوت اللغوي نفسه، تشكّله الملامح التمييزيّة، وأن لهذه الملامح قدرة على تمييز معنى منطوق، من معنى منطوق آخر."³

ومنهم من توسّع في دلالة الأصوات اللغوية، فاستخلص لكل صوت لغوي دلالة ذاتية، تمثّل الوحدة الدلاليّة الصّغرى في الكلام، متخطيةً بذلك الكلمة، ومن ذلك ما نصّ عليه الشيخ

¹ أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ص 88، 89.

² يونس علي، نظرة جديدة في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 239.

³ التحليل الصوتي للنص، ص 58.

عبد الله العلايلي في قضية التطور اللغوي، أن الهمزة تدل على الجوفية، وما هو وعاء للمعنى، وتدل على الصفة تصير طبعاً، والباء تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، والتاء على الاضطراب في الطبيعة، والجيم على العظم مطلقاً، والذال على التفرد، والراء على الملكة، وشيوع الوصف، والشين على التفشي بغير نظام، والعين على الخلوّ الباطن، أو الخلوّ مطلقاً، والغين على كمال المعنى في الشيء، والميم على الاجتماع.¹

ثم إن الهاء في بعض المواضع قد يكون ناتجاً عن الحالة النفسية للمتكلم التي تنعكس في نطقه، ويمكن القول، أن هذه الهاء تلحق مثل هذه الضمائر "هوه، هيه" عندما يكون المتكلم في نفسية متوترة وتغلب عليه العصبية والاضطراب، ومعلوم أن هذا التوتر والاضطراب يفرض على الشخص تتابع النفس بقوة وشدة، ذلك التابع القوي يسمع على شكل صوت الهاء في نهاية الكلام .

وها هو العقاد يوضح أن القيمة الدلالية لا تتحقق كيفما اتفق في جميع الأصوات، وحيثما كانت، فهناك أصوات لا نستطيع ملاحظة هذه الخصيصة فيها إلا إذا كانت واقعة في أول الكلمة فقط، وأصوات أخرى لا تلاحظ فيها إلا إذا كانت آخر الكلمة، فمن ذلك الحاء "التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعا في السَّمع، ولكن على حسب موضعها من الكلمة، ومصاحبة ذلك الموضوع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها، حيث كانت من أوائل الكلمات أو أوسطها، فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السَّعة حيث يلفظ الفم بكلمات الارتياح والسَّماح، والفلاح والنجاح، والفصاحة والسَّماحة، والفرح، والمرح، والصَّفح، والفتح، والتسبيح والترويح، وما جرى مجراها في دلالة النطق على الراحة."²

¹ ينظر: التحليل الصوتي للنص، ص 56.

² العقاد محمود عباس، أشئات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط6، ص 43.

"والسين: يدل على الليونة والسهولة والنقص في أكثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة." ¹
"والعين: تدل على الاستتار والغيبة والخفاء إذا كان في أول الكلمة." ²

"والفاء: أغلب أحواله للدلالة على الإبانة والوضوح إذا وقع في أول الكلمة." ³
"القاف: يدل على الاصطدام والانفصال والقطع كيفما كان موقعه في الكلمة"، ⁴ "الكاف: يدل على التمكن في الشيء في أغلب أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة." ⁵ "الميم : يدل على الانقطاع والاستئصال." ⁶ "النون : يدل في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة." ⁷ "التاء: يدل على القطع إذا جاء ثاني، الثاء: يدل على الانتشار والتفريق إذا جاء ثاني الكلمة." ⁸ "الذال: يدل على القطع، إذا وقع حرفا ثانيا للكلمة. الراء : تدل على التكرار وديمومة الحدث في أكثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة." ⁹

كما ويقدم العقاد تفسيرات، هي أشبه ما تكون بضوابط تعين على توجيه الدلالة التي توحى بها بعض الأصوات، إذ يقول: "قد تنبّهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض

¹ مبارك محمد، فقه اللغة، ص 101.

² الفاخري صالح سليم عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص 150.

³ أشتات مجتمعات، ص 45.

⁴ محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأسهل في التحديد والتوليد، دار الفكر، دط، ص 102.

⁵ الدلالة الصوتية، ص 151.

⁶ أشتات ومجتمعات، ص 45.

⁷ الألفاظ اللغوية، ص 42.

⁸ نفسه، الصفحة نفسها.

⁹ محمد المبارك، فقه اللغة، ص 101.

الغين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح، فرح، فلق، فجر، فسر... الخ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل، وبعبكسه الحاء التي تحتكر أشرف المعاني وأقواها: حب، حق، حرية.¹

فإذا يَمَمنا شطر كتاب الله عز وجل، وجدنا هذه الإيحاءات الدلالية تتجلى بأشكال ودرجات مختلفة، تنبّه إلى بعض منها الدارسون لكتاب الله عز وجل، من ذلك تعليق الأستاذ سيد قطب على آيات من سورة الرعد، إذ يقول " هذه السورة من أعاجيب السور القرآنية التي تأخذ في نفس واحد وإيقاع واحد وجو واحد، وعطر واحد من بدئها إلى نهايتها... إنها ليست ألفاظا وعبارات وإنما هي مطارق وإيقاعات، صورها، ظلالها، مشاهدتها، موسيقاها، لمساتها الوجدانية التي تكمن وتتوزع هنا وهناك."²

"وهذه السورة تطوف بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق، وتعرض عليه الكون في شتى مجالاته الأخاذة، في السموات المرفوعة بغير عمد، وفي الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى....، فهي تلاحق القلب أينما توجهه، تلاحقه بعلم الله النافذ الكاشف الشامل يلُم بالشارد والوارد، والمستخفي والسارب، ويتعقب كل حي فيحصي عليه الخواطر والخواجج."³

ويتناسق في السورة التقابل المعنوي مع التقابلات الحسيّة، وتتسق مع الجو العام، ومن ثم يتقابل الاستعلاء في الاستواء على العرش مع تسخير الشمس والقمر، ففي قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمْنَوتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

¹ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 45.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1972، ط 32، 1423، 2003، ص 2039.

³ نفسه، ص 2040.

كُلُّ تَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى¹ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ² ﴿١﴾، "راع قرب مخارج الحروف واعتدالها في هذه الألفاظ، فالسين والتاء في لفظة (استوى) من أول الفم ومن طرف اللسان وبعدها حرفاً مدّ هما الواو والألف المقصورة مما يعطي النفس إعانة في النطق وراحة في الأداء."²

والمد موحى بعظم هذا الاستواء، إن لم نقل أن الكلمة تشخص مهابة هذا الموقف وجلالة هذا الاستعلاء، وامتداده بامتداد أصوات كلمة (استوى) من أول الحلق إلى آخر الفم مع مدّ وطول دالين على عظم هذا الاستواء.

"وفي (سخر) تنمة لمعنى هذه العظمة في (الشمس)، (القمر)، وهذه الألفاظ مجتمعة تؤدي معنى العظمة الكاملة والقوة القادرة، وهذه الحروف في همسها وصفيرها كأنما تتبع أحداث هذين الكوكبين العظيمين، وسريانهما في جوانب الكون الفسيح المترامي الأطراف"³.

وفي قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾⁴

جاءت هذه الآية ضمن سورة من أبرز خصائصها أنها متضمنة لقواعد وأصول وضوابط الأدب مع الله ومع نبيه، والآية في سياقها جاءت لتبين أدب الحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت ألفاظ الآية عاكسة عظم التوجيه، وأهميته في اختيار لفظة (حبط) للدلالة على جزاء عدم الامتثال لهذا الأمر الرباني .

¹ سورة الرعد، الآية 02.

² البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 24.

³ نفسه، ص 25.

⁴ سورة الحجرات، الآية 02

" فالحبط إنما هو تمثيل لعدم الانتفاع بالأعمال الصالحة بسبب ما يطرأ عليها من الكفر"¹، فهي تدل على بطلان أو ألم، يقال أحبط الله عمل الكافر، أي أبطله.² "والحبوط في الأصل من حبطت الإبل: إذا أكلت الخضر فنفخ بطنها، وربما هلكت".³ "ومما يقرب من هذا الباب حبط الجلد، إذا كانت به جراح فبرأت وبقيت بها آثار".⁴

فإذا ما عدنا إلى الآية وجدناها تدل على أمرين هائلين، أحدهما: "أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله. والثاني: أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط، ولعله عند الله كذلك، فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ".⁵

فالموقف موقف جزر وتعنيف، واختير له أصوات قوية تناسب هكذا موقف.⁶ فانفجارية الباء والبدال،⁷ تعكس الغلظة والشدة الدالين على قوة التحذير، زد على ذلك حفيف الحاء وعمق مخرجها،⁸ ثم الانتقال إلى مخرج الباء الشفوي، ثم الارتداد إلى مخرج الطاء الأسناني،⁹ فكأن في عمل العبد ارتدادا وانتكاسا بعد جهد وعمل، وتفخيم الطاء يوحي بعظم

¹ التحرير والتنوير، ص221/26.

² ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ص129/2.

³ الكشاف، ص560/05.

⁴ مقاييس اللغة، ص130/02.

⁵ الكشاف، ص561/2.

⁶ ينظر: عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها، دار الكتب، 1971، د ط، ص16.

⁷ ينظر: عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص156، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص48.

⁸ ينظر: السعراي محمود، علم اللغة، ص178.

⁹ ينظر: عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص161.

الخسارة التي تنتظرهم إن هم رضوا بأن يصيب الحبط أعمالهم. "وقد عمل هذا النداء الحبيب في نفوس المؤمنين، وهذا التحذير المرهوب، عمله العميق الشديد."¹

وقال عز من قائل ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ

أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾²

"سياق الآية الحديث عن قصة سيدنا موسى مع قومه الذين أرسل إليهم، والذين فضلوا الانحراف عن رسالته، والتكبر لأمانتهم، فلم يعودوا أمناء على دين الله في الأرض، وجاء هذا التكبر والانحراف معبرا عنه بلفظة الزيغ؛ فالزيغ: الميل عن الحق، أي لما خالفوا ما أمرهم رسوله جعل الله في قلوبهم زيغا، أي تمكن الزيغ من نفوسهم، فلم ينفكوا في الضلال."³

واختيرت مادة (زيغ) وهي في المعجم "أصل يدل على ميل الشيء، يقال زاغ يزيغ زيغا، والتزيغ: التمايل، وقوم زاغة، أي زائعون، وزاغت الشمس وذلك إذا مالت وفاء الفيء."⁴

وهي من ناحية الأصوات مكونة من صوت الزاي الأسناني اللثوي الرخو المجهور المرقق.⁵ ثم هي صوت صفيري، وذلك بسبب الاحتكاك الشديد في أثناء نطق هذه الأصوات، نتيجة لتقارب أعضاء النطق تقاربا شديدا، إذ تترك منفذا ضيقا يمر منه الهواء محدثا احتكاكا، فينتج من هذا الاحتكاك صوت ضعيف يشبه صوت الحفيف، فإذا كان منفذ الهواء ضيقا جدا يتحول الصوت إلى ما يشبه الصفيير الحاد.⁶ أما الغين فهو "صوت طبقي رخو مجهور مرق،

¹ في ظلال القرآن، ص 3339.

² سورة الصف، الآية 05.

³ التحرير والتنوير، ص 179/28.

⁴ مقاييس اللغة، ص 40، 41/03.

⁵ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 163.

⁶ ينظر: المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها، ص 16/3.

وإن ارتبط بقيمة شبه تفخيمية في بعض المواقع، ويتم النطق به برفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق وخلق صلة تسمح للهواء الرئوي من المرور، ولكن مع احتكاك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وهذا هو عنصر الرخاوة في الغين، وفي نفس الوقت يرتفع الطبقة ليسد المجرى الأنفي، وتحدث ذبذبة في الوترين الصوتيين.¹

والموحي في هذه الأصوات أن صفيير الزاي يمنح معنى الانحراف توكيدا وتمثيلا، زد على ذلك الحفيف المشترك بين الزاي والغين النَّاجم عن الهمس الذي يشتركان فيه، والغين توحى في كثير من معانيها على كمال المعنى في الشيء،² فكأن انحرافهم وميلهم بلغ مداه وأقصاه، وكيف وهم ينكرون الحق بعدما أن تبين لهم .

وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾³

الآية تصوير للمنافقين المتظاهرين بالإسلام وهم له كائدون، فهم يعتمدون على إتقان فن النفاق وعلى خفاء أمرهم في الغالب على المسلمين.⁴ واختار القرآن التعبير عما في نفوسهم مما يتقنون ستره وإخفائه بلفظة الأضغان .

و(الضغن) "أصل صحيح يدل على تغطية شيء في ميل واعوجاج، ولا يدل على خير، من ذلك الضغن والضغن: الحقد، وفرس ضاغن، إذا كان لا يعطي ما عنده من الجري إلا

¹ مناهج البحث في اللغة ، ص129.

² ينظر: العلايلي عبد الله، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، القاهرة، دت، دط، ص211.

³ سورة محمد، الآية 29.

⁴ ينظر: في ظلال القرآن، ص3298.

بالضَّرْب".¹ "وهو فى سياق الآية دال على الحقد والعداوة"،² "وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم له".³

فهذه اللفظة تركيب بديع من أصوات خفية عميقة، وبها شيء من الغلظة توحى ببشاعة ما تنطوي عليه أنفسهم، فالغين صوت طبقي رخو، ذو تفخيم جزئي، وهي ترتبط بشكل وثيق مع معاني الاستتار والغيبة والخفاء.⁴

ثم إن هذا التفخيم يظهر مكتملا مع صوت الضاد، "ذو المخرج العسير والأداء الصَّعب وقد خُصَّ هذا الصَّوت بالشَّوم، يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل".⁵ وليتسرب الهواء من الأنف مع صوت النون عاكسا مدى حرصهم على إخفاء هذا القبيح الذي تموج به صدورهم.

وقريب من هذا معنى (الغيظ) فى قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ

يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾⁶

" فالغيظ: الحنق والغضب".⁷ يقول ابن فارس: "الغين والياء والظاء أصيل فيه كلمة واحدة، يدل على كرب يلحق الإنسان من غيره، يقال غاظني يغيظني".⁸ "فالظاء صوت مطبق وهو النظير المطبق لصوت الدال، لإصدار هذا الصوت يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا

¹ مقاييس اللغة، ص 364/03.

² التحرير والتنوير، ص 120/26.

³ الكشاف، ص 527/02.

⁴ ينظر: الدلالة الصوتية، 150.

⁵ أشنات مجتمعات فى اللغة والأدب، ص 45.

⁶ سورة الأحزاب، الآية 25.

⁷ التحرير والتنوير، 310/21.

⁸ مقاييس اللغة، ص 405/04.

العليا والسفلى، وتندفع كمية من الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة، حيث يهتز الوتران الصوتيان ويرتفع مؤخر اللسان تجاه منطلق أقصى الحنك (الطبق)، ويرجع قليلا إلى الخلف مع تقعر وسطه".¹

واجتماع الظاء بالعين الحلقي والياء الشجري على هكذا ترتيب، يوحي بمدى الحنق والأذى النفسي، الذي يصيب الشخص المغتاض، فكأن الهواء يخرج في منافذ ضيقة وصعبة تبتدأ بصوت العين الحنجري، ثم الياء حيث يتسرب الهواء من الجنبات وأخيرا الظاء بما فيه من غلظ وفخامة وصعوبة أداء.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ بِنِسِ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾²

" اللمز ذكر ما يعده الذّاكر عيبا لأحد مواجهة، فهو المباشرة بالمكروه، فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلا فهو وقاحة وكذب."³ والمعنى في الآية الكريمة، "وخصّوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء من عيبها والظعن فيها".⁴ "وللفظة اللمز، جرس وظل، فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية".⁵ —

وأصوات هذه الصيغة توحى بشيء من هذا الأثر المؤلم الذي يسببه سلوك اللمز، فاللام صوت جانبي، يتسرب الهواء بالخروج من جنبات اللسان، والميم صوت أنفي يتسرب الهواء في

¹ عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص160.

² سورة الحجرات، الآية 11.

³ التحرير والتنوير، ص248/26، وينظر مقاييس اللغة، ص209/05.

⁴ الكشف، ص 560/05.

⁵ في ظلال القرآن، ص 3344.

إخراجه من الأنف، والزاي صوت صفير ممدود، فكأنَّ في تعيب الناس مجانبة للحق وكذبا وبهتاناً لا ينبغي أن يكون من خلق المسلم المؤمن، ثم إن الميم تحمل "معنى الانقطاع والاستئصال"¹. وجليُّ ما يسببه التَّعيب والسخرية من الغير في قطع أواصر المحبة، وعرى الأخوة .

ومن ذلك صيغة (الرَّجَز) في قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾²

"الرجز: الرء والجيم والزاي، أصل يدل على اضطراب، من ذلك الرَّجَز: داء يصيب الإبل في أعجازها فإذا أصاب الناقة ارتعشت فخذها، ومن هذا اشتقاق الرَّجَز من الشَّعر، لأنه مقطوع مضطرب"³.

وأصوات الصيغة تُمثل هذا الاضطراب أيما تمثيل، إذ في تكرارية الرَّاء اضطراب اللسان وخروج للصَّوت على شكل ترددات، والزاي صوت صفير، يوحي بالحركة وعدم الثبات، فهذه الخصائص الصوتية مما يعزز سلوك الاضطراب الذي تدل عليه صيغة (الرجز).

كذلك مما تنبه إليه الدارسون من القيمة الإيحائية للصوت، ما تمَّ ذكره من قول العقاد "بأن الحاء تحتكر أشرف المعاني وأقواها : حب ، حق ، حرية"⁴ وهي عند بعضهم تشبه أصوات التنهد والتأوه، وتنفس الارتياح بعد التَّعب. ولعل صوت الحاء بهذه القيمة التعبيرية، هو صدى لما توحى به ألفاظ الرحمة (رحم، رحمة)، ممَّا ورد في الذكر الحكيم، "إذ تنطلق في القرآن أصداء حاملة ، في ألفاظ ملؤها الحنان، تؤدي معناها من خلال أصواتها، وتوحي بمؤداها مجردة

¹ أشنات مجتمعات في اللغة والأدب، ص45.

² سورة البقرة، الآية 59.

³ مقاييس اللغة ، ص489/2.

⁴ أشنات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 45.

عن التصنيع والبديع، فهي ناطقة بمضمونها هادرة بإرادتها، دون إضافة وإضاءة، وما أكثر هذا المنحنى في القرآن، وما أروع تواليه في آياته الكريمة".¹

فقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ﴾²، والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة: نحو رحم الله فلانا إذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون رقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف.³

كذلك جاء في قوله تعالى ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ

الرُّسُولِ وَهُمْ بَدُّوا لَكُمْ أَوْلًا مَّرَّةً ۚ أَتُحْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁴

"نلاحظ أن الخواص الصوتية الكامنة في لفظة (نكثوا) تصور بدقة متناهية عملية النكث والنقض. فالنون صوت صميمي قوي من قيمه الانبثاق والخروج، يوحي بخروج الناكث عن عهده ويمينه بقوة، كما يعبر الكاف الصوت الطبقي، أن هاجس نكث الإيمان والرغبة فيه قد أطبق خيامه على قلب الناكث الذي استمرى النكث، ثم إنَّه بسمته الانفجارية التي يندفع الهواء ويتدفق بسرعة كبيرة في أثناء إزالة التحام العضوين وانفصالهما، يتوافق ودلالة أن الناكث يكسر عهده ويخرج منه بقوة واندفاع: أي يعبر عن فجائية نكث المشرك للإيمان بما يعبر عن

¹ الصوت اللغوي في القرآن، ص 176.

² سورة البقرة، الآية 157.

³ ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، ص 178.

⁴ سورة التوبة، الآية 13.

مباغطة المؤمنين بذلك، ثم يأتي صوت الناء المهموس الرخو ، الذي يتراجع اللسان إلى الداخل في أثناء خروجه ليصور تراجع الناكث عن كلمته وعهده، ثم إن التصاق طرف اللسان بمقدمة اللثة وتعلقه به، يعبر عن شدة تعلق الناكث بنكته وشدة إصراره عليه وبعثرة النفس وخروج الهواء مصابقة لحال الناكث الذي يستمر في النكث ونقض العهود والمواثيق المبرمة. ويحاكي قيام طرف اللسان بشق الأسنان (القواطع) الأمامية السفلى وقطعه عن العليا وبروزه إلى الخارج وخروج اللسان، قطع الناكث ليمينه وخروجه التام من العقد والمعاهدة المبرمة بين المشاركين بما تشير إليه الأسنان الأمامية السفلى، وبين المؤمنين بما تشير إليه الأسنان الأمامية العليا، وذلك أن السمو والعلو قرينا للإيمان والتسفل والدناءة قرينا للكفر".¹ فهذا من التحليلات التي استطاع الدارسون المحدثون من خلالها تبيان عمق الصلة بين أصوات الصيغ ودلالاتها، لاسيما في الخطاب القرآني .

ومن قبيل هذا التحليل، تضيف فخريه القادري في قوله تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾²

تقول: "يحمل التشكيل الصوتي قيمته المعجمية والسياقية الدائرة في فلك الجنون والاضطراب العقلي والفساد، وتفكك الشيء الملتحم، فأول صوت لها هو الخاء: الصوت الطبقي المهموس الرخو، يعبر بما يمتلكه من خنخنة وتضييق للهواء واضطرابه واستمراريته وضعفه عن أولى مراحل الجنون، وهو التضييق على العقل والفهم وطول الاضطراب للحد منه

¹ القادري فخريه، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة، سورة التوبة أمودجا، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2001 ، ص25، 26.

² سورة التوبة، الآية 47.

(من العقل) كما يتوافق مع دلالة السياقية من أن المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين كانوا سيحدثون بلبلة وتفريقا وتهويشا بألسنتهم المتطاوله.¹

" ثم يأتي بعده صوت الباء وهو صوت انفجاري شديد يحاكي بصداه القوي أن مرض الخبل يشق العقل ويبدده إثر الاضطراب الدائم، مثلما بيدد ويشق الهواء المضغوط وراء نقطة الانسداد الحاجز الواقف أمامه، ويخرج بتدفق وقوة، هذا من حيث الدلالة المعجمية، أما السياق فيوحي بأن خروج الفئة المنافقة مع المؤمنين فيه تفكيك لوحدتهم وشق لصفوفهم الملتحمة فهو بمثابة داء عضال يشل تفكير المسلمين ويفتك بوحدتهم وتماسكهم.²

وتختتم الكلمة بصوت اللام وهو صوت جانبي منحرف ينحرف الهواء واللسان عن مساره عند النطق به ليصاقب بذلك المرحلة النهائية لمرض الخبل وهو الانحراف الكلي للعقل، كما أن انحراف اللسان والتصاق مقدمته بمقدمة الحنك اللين في أثناء خروج صوت اللام، يصور حال الفئة المنافقة المنحرفة عن جادة الصواب والاستقامة والتي تندس بين صفوف المسلمين، فيحاكي عملية التصاق مقدمة اللسان بالجزء الأمامي للحنك اللين، تمكن المنافقين وأقوالهم في نفوس ضعاف الإيمان من المسلمين فبضاعة الفئة المنافق ورواجها يجد القبول من لدنهم، وعليه فإن السمة الغالبة للأصوات الثلاثة (خ،ب،ل) هي الاضطراب والحركة الدائبة، وبعثرة النفس لتصاقب بذلك الاضطراب العقلي للمصاب بمرض الخبل.³

¹ تجليات الدلالة الإيحائية، ص31.

² نفسه الصفحة نفسها.

³ نفسه، ص32،31.

كذلك مما يُمكن التماس صلة بين أصوات كلماته والدلالة، ما جاء في قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾¹

فصيغة (شد)، تدلُّ على قوة في الشيء، وفروعه ترجع إليه؛ من ذلك شددت العقد شدًّا أشدُّه، والشدَّة المرَّة الواحدة.² "والمعنى أنهم أقوياء في معاملة أهل النار الذين وكلوا بهم، يقال اشتد فلان على فلان، أي أساء معاملته، ويقال اشتدَّت الحرب واشتدَّت البأساء والشدَّة من أسماء البؤس والجوع والقحط"،³ فقوله تعالى ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ "أي أن في أجرامهم غلظة وشدَّة، أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة، لا تأخذهم رافة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه."⁴

وقد ساعد على أداء هذا المعنى الانفجار والشدَّة التي يوحي بها كل من صوتي الدال والشين، "فالأصوات الانفجارية تدل على الشدَّة والغلظة".⁵ فصوت الدال من خواصه أنه صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم، حتى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت شديد نسميه الدال.⁶

¹ سورة التحريم، الآية 06.

² ينظر: مقاييس اللغة، ص 179/03.

³ التحرير والتنوير، ص 366/28.

⁴ الكشاف، ص 161/6.

⁵ مقدمة لدرس لغة العرب، ص 210.

⁶ ينظر: ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 48.

وهو بهذا الأداء النطقي يعكس قوة هذه الفئة وصرامتها وعدم تماؤها في أداء واجبها وتنفيذ أوامر المولى عز وجل. وفي تفشي الشين دلالة على التفشّي واستيعاب قوتهم للمكان والحيز الذي يتواجدون فيه، فقوتهم وشدتهم من العظم والجفاء بلغت مبلغا يتناسب مع طبيعة العذاب الذي هم موكلون به.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ

اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾¹

فصيغة (ليبطئن) "خطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا، ومعنى (ليبطئن) ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطء بمعنى أبطأ".²

" والملاحظ أن أصوات هذه الصيغة (الباء، الطاء، الهمزة)، تشترك في خاصية الشدة، التي هي في أصلها تعثر لجريان الهواء في منطقة معينة من الجهاز النطقي، فيجد عائقا وإقفالا يتبعه بعدها منفذ لهذا الإقفال مؤديا إلى خروج الصوت على شكل انفجار، فكان حال المنافقين حال المتعثرين في تنفيذ أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، فصورة التبطئة ترسم من خلال جرس العبارة، فيحس القارئ أن اللسان يتعثر فيعمد إلى البطء في التلفظ حتى يصل إلى نهايتها وبذلك تتماثل هذه الأصوات بجرسها وتتطابق مع الدلالة تطابق وجهي الورقة مع بعضهما."³

¹ سورة النساء، الآية 72.

² الكشاف، ص 106/2.

³ البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 13.

ومن هذا القبيل كلمة (الوهن) فى قوله تعالى ﴿ذَلِكَمَّ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكٰفِرِينَ﴾¹، قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع ((موهّن)) بفتح الواو وتشديد الهاء من وهن يوهن، وقرأ الباقون ((موهن كيد الكافرين))، بإسكان الواو وتخفيف الهاء من أوهن يوهن فهو موهنٌ. "والواو والهاء والنون: كلمتان تدل إحداهما على ضعف، والأخرى على زمان."² "ومعنى الآية أن الغرض إنما هو إبلاء المؤمنين، وتوهين كيد الكافرين."³

ومثله صيغة (الوهن) فى قوله تعالى ﴿وَكَايِّنَ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾⁴

فرب العزة ينفي الوهن عن عباده المؤمنين، وهم فى وضع أخبروا فيه أن نبيهم قتل وعلى الرغم ممن ذلك، ما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو، وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسولهم وبضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم للكفار، حتى أرادوا أن يعترضوا بالمنافق عبد الله بن أبي وطلب الأمان من أبي سفيان.

¹ سورة الأنفال، الآية 18.

² مقاييس اللغة، ص 149/06.

³ الكشف، ص 567/2.

⁴ سورة آل عمران، الآية 146.

ويحتمل أيضا أن يفسر الوهن باستيلاء الخوف عليهم، ويفسر الضعف بأن يضعف إيمانهم، وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم، والاستكانة هي الانتقال من دينهم إلى دين عدوهم.¹

وكان من الممكن التعبير بصيغة **ضعف**، فالوهن في اللغة هو "الضعف، يقال : وهن الشيء يهن وهنا ، ضعف"؛² إلا أن صيغة (وهن) تركبت من صوت الواو بما فيه من خفاء ورقة ولين، مع قرب مخرجه لكونه شفها فينظر إلى مناسبة لينه ورقته وخفائه، إلى معنى الضعف والوهن والإعياء، والهاء صوت خفي عبارة عن هواء، فكأنها تعبر عن تأوه الإنسان الواهن الذي لا يستطيع حمل جسمه ولا التحرك إلا بمشقة، والنون صوت أنفي لا يتسرّب الهواء معه من الفم بل يختار الخروج من الأنف على شكل غنة ممدودة يزيد من طولها اتصالها بصائت الضم الطويل، ذو المخرج المغلق والشفقتين المستديرتين.

فصيغة (وهن) إذا تحمل صورة الضعف والتأوه والتوجع، وتستمد هذه اللفظة هذه الدلالة من تضافر (الواو، والهاء والنون)، ومن تحمّل صوت الهاء لقدر كبير من هذه الدلالة نظرا لخصائصه الصوتية فهو "عادة ما يعد صوتا أساسيا من ضمن الأصوات التي تعرف بالأصوات الانفعالية interjections التي هي عبارة عن أصوات قصيرة تعبر عن التوجع والدّهشة أو الألم أو ما إليها من الوجدانات العابرة، وهي شائعة في جميع اللغات قيل: آه، وي، أواه، ها، هيا، واه، واه، واه".³

¹ ينظر: الرازي فخر الدين التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب"، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر. دط، دت، ص 24/9.

² مقاييس اللغة، ص 150/06.

³ حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1990، ص 33.

"ولعل ذلك لأنه من أسهل الأصوات نطقاً، لأن الهاء نفس،"¹ يحدث بواسطة الزفير الاعتيادي دون أن يستعمل الإنسان في نطقه أيّاً من اللسان أو الأسنان أو الشفتين، إنه هواء الزفير الخارج من الفم دون أي جهد، مما يجعله صوتاً أساسياً في إنتاج الصيحات أو الصرخات الانفعالية من شهقات أو آهات أو تأوهات، فيظهر صوت الهاء محورا لهذه الانفعالات فكلها لا تخلو منه، وهي لا تبتعد عن كونها زفرات خارجة من الفم دون عناء. فعند التوجع أو التألم أو التأوه نقول "آه" وهو صوت اندفاع للهواء خارج الفم، وقد اشتق العرب منه أفعالا ومصادر وأسماء أفعال وأسماء أصوات، "فقالوا: "آه، واه، أوها" أي شكا وتوجع، وهكذا "أوه أوها" وقد دعوا مرض الحصبة "آهة" والجدرى "مآهة" وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ... فإنهم بتشخيصهم الحصبة "آهة" كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوه المرض.²

ويربط حسن عباس بين آلية نطق صوت الهاء وما يرافقها من انقباض وتوتر في أغشية الحنجرة وأنسجتها والدلالة على التوتر الوجداني ومشاعر الخوف والألم، إذ ((أن الإنسان الانفعالي الذي يدخل في حالة يأس أو بؤس أو حزن أو ضياع ولو لعارض مفاجئ لا بد أن ينقبض منه نفسه، فينعكس ذلك على جملة العصبية، وتبعاً لذلك لا بد أن ينقبض لها بدنه بما في ذلك جوف الصدر، ويفرق بين نطق الهاء المشبعة (ألف الإطلاق) ونطق الهاء الساكنة المجردة من ألف الإطلاق، فإذا لفظ صوت (الهاء) مشبعا أو حى بالإضراب والسحق والقطع والكسر وإذا نطق مخففا (ساكنا مجردا من الإطلاق) كان أكثر عرضة للتأثر المباشر بمختلف الانفعالات التي تجيش في الصدر من حدة وقساوة أو حزن وأسى أو تمكّم أو سخرية أو رقة أو شفافية.³

¹ ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو، ط4، 1980، ص23.

² اللسان، ص472/13.

³ ينظر: عتيق عمر عبد الهادي، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنار، جامعة آل البيت، المجلد 16، العدد3، ص23.

فصوت الهاء من أكثر الصوامت العربية، قدرة على تجسيد معاني الألم والاعتلال، والضعف، ووروده على هكذا معنى كثير في كتاب الله عز وجل.

كذلك في قوله تعالى ﴿أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي نَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ تَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾¹، و سياق الآية حديث عن الحقائق العلمية التي جاء بها القرآن الكريم، ومنها وصف البحر بأنه لُجِّي، "(اللُّجِّي) منسوب إلى اللُّجَّة، واللُّج هو معظم البحر، أي بحر عميق".² "ومن الباب لُجُّ البحر، وهو قاموسه، وكذلك لُجته، لأنه يتردد بعضه على بعض".³

"وتأثير صوت الجيم واضح في الدلالة على معنى العمق، لا سيما أن بعض الباحثين رأى في صوت الجيم دلالة على العظم المطلق".⁴

والجيم صامت رخو حنكي مجهور،⁵ يتكون برفع أقصى اللسان اتجاه أقصى الحنك (أو الحنك اللين)، والتصاقه به مع ارتفاع أقصى الحنك الأعلى نفسه، ليسد مجرى الهواء من الأنف ثم يضغط الهواء لمدة من الزمن ثم يطلق سراح المجرى الهوائي، فيحدث انفجار ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.

¹ سورة النور، الآية 40.

² التحرير والتنوير، ص 256/18، وينظر: الكشاف، ص 309/04.

³ مقاييس اللغة، ص 201/05.

⁴ التحليل الصوتي للنص، ص 56/2.

⁵ ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، دط، د.ت، ص 124.

ففي الانتقال من صوت اللام اللثوي الجانبي نحو مخرج الجيم، الذي يتسرب فيه الهواء بقوة يعكسها الانفجار، وشساعة مساحة يعكسها سعة المخرج، إيجاء بعظم هذا الوصف للبحر وعمقه .

ومنه كذلك قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ

أَصْبِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝﴾¹

"فقد جسّمت الحركة الإيقاعية الداخلية لهم بحركة إيقاعية خارجية تمثّلت في الصيّب النازل والرعد الهادر، والبرق الخاطف، وحركة الأصابع في الأذان، وحركة الفزع المتحفزة للإفلات كلما سنحت الفرصة، فإيقاع كلمة (صيّب)، يوحى بالانصباب الشديد عليهم، ساهم في ذلك صوت الباء بشدته وجهره الموحيان ببلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما. "²

"وزيادة في استحضر الصورة وشخصها في الآذان جاء قوله (من السماء)، ثم قوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم) تتناسق مع جو الرعد القاصف، والبرق الخاطف، والموت الماحق، ثم كلمة (قاموا) بدلا من وقفوا، (وإذا أظلم عليهم قاموا) للدلالة على ما في نفوس المنافقين من خوف وقلق وحيرة، فهم يحاولون الإفلات حين تحين الفرصة. "³

ومنه في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ۝﴾⁴، "(التفت) كلمة وقعت في القرآن الكريم وتردّد المفسرون في المراد منها، واضطرب

علماء اللغة في معناها، ولعلهم لم يعثروا عليها في كلام العرب المحتج به، قال الزجاج : إن أهل

¹ سورة البقرة، الآية 19.

² ينظر: التحليل الصوتي للنص، ص 56/2.

³ البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 16، 17.

⁴ سورة الحج، الآية 29.

اللغة لا يعلمون التفث إلا من التفسير، أي من أقوال المفسرين¹، "فعن أبي عبيدة : التفث: قص الأضافر والأخذ من الشارب وكل ما يجرم على المحرم، ومثله قول عكرمة ومجاهد، وربما زاد مجاهد مع ذلك: رمي الجمار"². وعن صاحب العين والفراء والزجاج : "التفث الرمي، والذبح، والحلق وقصُّ الأظافر والشارب وشعر الإبط وهو قول الحسن ونسب إلى مالك بن أنس أيضا"³. وتتفق معاجم اللغة على هذه الدلالة.⁴

وأصوات هذه الصيغة التاء والفاء والتاء، يحاكي صوتها صوت دفع ورمي ما يستقدر من الفم إلى الخارج، فالتاء صوت شديد مهموس، يوحى بالبتر والقطع، ثم هو قطع لأمر ظاهرة جلية يدل على ذلك صوت الفاء الشفوي الشديد، فالفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا⁵، إذ يتلاصق هذان العضوان مع حدوث تضيق في مجرى الهواء. ولتختتم الكلمة بالتاء الصوت الرخو المهموس⁶، والموحى بالانتشار والتفريق فكأنه أي التفث، قطع لكل مستكره، وتنقية من كل درن.

كذلك من النماذج المستنبطة من القرآن الكريم، قوله عز وجل ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁷، "النفس : الروح، سميت نفسا أخذنا من النفس، بفتح الفاء، وهو الهواء الذي يخرج من الأنف والفم، من كل حيوان ذي رئة، لأن النفس يتولد

¹ التحرير والتنوير، ص 248/17.

² نفسه، ص 249/17.

³ نفسه، الصفحة نفسها. وينظر الكشاف، ص 190/4.

⁴ ينظر: مقاييس اللغة، ص 350/1.

⁵ ينظر: الكتاب، ص 433/4، ابن جني سر الصناعة، ص 61/1، ابن يعيش، شرح المفصل، ص 125/10.

⁶ ينظر : بسام بركة، علم الأصوات العام، ص 121.

⁷ سورة المنافقون، الآية 11.

منها، كما سمي مرادف النفس روحا لأنه مأخوذ من الروح بفتح الراء".¹ "والتَّفسُّ : كل شيء يفرَّج به عن مكروب".²

وتتكون هذه الصيغة من ثلاث أصوات هي النون والفاء والسين، والثلاثة تشترك في صفة الرَّخاوة وخروج الهواء وفق امتداد يعكس لون الصوت وطبيعته، "فالنون يخرج باندفاع الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة، أين يتذبذب الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مسارا عبر الحلق، إذ يهبط أقصى الحنك اللين فيسدُّ بهبوطه فتحة الفم، ممَّا يجعل الهواء يتسرَّب عبر المسرب الأنفي، وفي صناعة هذا الصوت يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة"³. "والفاء صوت شفوي رخو مهموس، والسين صوت أسناني لثوي رخو مهموس مرقق".⁴ "والكلمة بهذه الأصوات تعكس امتداد النفس وخروجه سواء من الأنف مع النون ومن الفم مع الفاء مع امتداد وسهولة وليونة".⁵ يعززها صوت السين الرخو الصفيري .

كذلك قال تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^ط وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٦﴾

"المظاهرة التعاون، يقال ظاهره، أي أيده وأعاناه، ولعل أفعال المظاهرة، ووصف ظهير كلها مشتقة من الاسم الجامد وهو الظَّهر، لأن المعين والمؤيد كأنه يشد ظهره من يعينه".⁷

¹ التحرير والتنوير، ص255/28.

² مقاييس اللغة ، ص 460/05.

³ عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص174، 173.

⁴ ينظر : مناهج البحث في اللغة ، ص128.

⁵ محمد مبارك ، فقه اللغة ، ص101.

⁶ سورة التحريم ، الآية 04.

⁷ التحرير والتنوير ، ص 358/28.

كما أنها تدل على القوة والبروز".¹ وفي التعاون قدرة على البروز والظهور، فإذا ما تكوّنت أصوات الصيغة من صوت الظاء المجهور الرخو المطبق المفخم²، مع امتداد للصوت باتصاله بصائت المد واتصاله بصوت الهاء المدعوم بصائت الفتح، ثم انتهاء الكلمة بصوت الراء المكرر والمجهور، كانت الدلالة على البروز والظهور أقوى وعلى معاني التعاضد والتعاون أكثر.

ومن ذلك قال تعالى ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۗ ۝۳۰ ﴾

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝۳۱

"فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (نشرها) بالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (ننشزها بالزاي)".⁴ "فمعنى قراءة (نشرها) أي إحيائها وبعثها بعد موتها".⁵

والنشز الارتفاع، والمراد ارتفاعها حين تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم بها فحصل من القراءتين معنيان لكلمة واحدة.⁶ وقيل ننشزها معناه نجعلها بعد بلاها وهجودها ناشزة ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع.⁷

"وحاصل القراءتين أن الله بين كيفية إحياء الموتى، وذلك بإحياء العظام وبعثها من موتها التي كانت فيها كما دلت عليه قراءة الراء، وبيّنت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام، وذلك برفع بعضها إلى بعض حتى التأمّت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم

¹ مقاييس اللغة، ص 471/3.

² ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 226، وحسان تمام، مناهج البحث في اللغة، ص 127.

³ سورة البقرة، من الآية 259.

⁴ صالح، إيراد سالم، الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني، جامعة تكريت، ص 26.

⁵ نفسه، ص 25.

⁶ الحجة، ص 37/3.

⁷ نفسه، ص 25/3.

قدرته، فدلّ بالقراءتين على عظيم قدرته سبحانه فى البعث والإحياء والتركيب من غير تناقض أو تباين أو تضاد¹.

ويقول عز من قائل فى سورة الحديد ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾²

وقد تضافرت كلمات المفسرين على تفسير يهيج (يبس) أو يجف، ولم يستظهروا بشاهد من كلام العرب يدلُّ على أن من معاني الهياج الجفاف، "وقد قال الرَّاعِب، يقال: هاج البقل، إذا اصفرَّ وطاب، وفى الأساس من المجاز هاج البقل إذا أخذ فى اليبس...." والوجه أن الهياج الغلظ ومقاربة اليبس، لأن مادة الهياج تدل على الاضطراب وعدم التوازن، وسميت الحرب هيجاء... والزرع إذا غلظ يكون لحركته صوت فكأنه هائج، أي نائر، وذلك ابتداء جفافه.³

فهذا زرع أعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم. والمعنى أن الدنيا ليست إلا من محقرات الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فماهى إلا أمور عظام، وهى: العذاب الشديد و المغفرة و رضوان الله.⁴

¹ الاختلاف فى القراءات القرآنية وأثره فى اتساع المعاني، ص 26.

² سورة الحديد، الآية 20.

³ ينظر، التحرير والتنوير، ص 405/27.

⁴ ينظر: الكشاف، ص 49/06.

وقيل أن الجيم تدل على معظم الشيء، فكأنما في كلمة (يهيج) دلالة على شمولية الهيجان وقضائه على جميع ما نبت.

فهذا شيء يسير من الشواهد والمواضع التي يمكن استكناه واستنباط أثر الصوت اللغوي وخصائصه في الدلالة، وبالتالي الانتصار لما يسمى بالدلالة الصوتية وذلك بالنظر إلى إسهامات الصوت في مدّ محتوياتها، على أنه ينبغي مراعاة التابع الصوتي وتنوعاته داخل تيار الكلام، إذ يوجهانها بدورهم، ثم هي تخضع لما يمنحها المتكلم من قدرة، وديناميكية داخل التركيب.¹

فهذه العناصر الثلاث مما لا ينبغي إغفاله عند محاولة استنباط الدلالة الصوتية من أي نص، وينبغي الحرص على استيفاؤها حين يتعلق الأمر بالنص القرآني.

ب- تكرار الصّامت داخل الصّيغة وأثره في الدلالة :

من صور ظهور أثر الصوامت في الدلالة، تلك الصورة التي يتكرر فيها وجود الصامت في الكلام، عاكسا سماته الصوتية على دلالة الكلمة مع مراعاة السياقات الواردة فيه.

"فالدلالات لا ترجع إلى قيمة الصّوت في حدّ ذاته بقدر ما تكون وليدة السّياق وخليقته، فالسياق هو الذي حمّل الصّوت هذا المعنى، وهو الذي استخدم الحرف أو الكلمة كصوت يلبسها دلالة سياقية حينية مؤقتة، وليست دلالة دائمة تستصحب في غيره من السّياقات، فكل سياق له دلالته التي يجعلها على أصواته، وكل قارئ أو سامع له ذوقه الخاص في استكناه دلالة تلك الأصوات وتأثره بها، وإن كان هذا لا ينفي وجود حسّ أو ذوق عام يكاد يشترك في فهم دلالات كثير من تلك الأصوات في السّياقات والمواقف المختلفة."²

¹ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصّوتي، ص 152.

² هندواوي عبد الحميد، الإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1428هـ/2004م، ص15.

من ذلك مثلا، "الهمزة والباء وما ثلثها: يدل على النفور والانفصال".¹ "والجيم والراء وما ثلثهما: مدلولهما، الجذب والسحب".² "والحاء والسين وما ثلثهما: مدلولهما اللين والسهولة، والسين واللام، مدلولهما وما ثلثهما، خروج الشيء".³ كذلك "السين والباء ومدلولهما: الامتداد والانقطاع".⁴ وغير ذلك من المركبات التي وقف عندها الباحثون وحاولوا تحديدها أبرزها.

وهاهو نعيم علوية، يضرب لنا مثلا في أثناء دراسته هذه الظاهرة، فيقول: أبرز ما يصل إلى سمع الإنسان من أصوات (الررفة)، عنصران هما: (فففف) و(رررر)، الصوت الأول ينقل صورة لصوت احتكاك جسم الطير بالهواء، والآخر ينقل صورة، لتكرر اصطفاق الأجنحة بأجسام الطيور والهواء معا، واللفظان: (رف)، و(فر)، يشتملان على ذينك العنصرين بصورة مختصرة⁵. ومن الباحثين من ذهب أبعد من ذلك، فرأى حسن عباس، أن بعض الأصوات يوحي بأحاسيس لمسية، وبعضها بأحاسيس ذوقية، وكذلك الشم والبصر، والسمع.⁶

" ولكي يكتسب الصوت اللغوي إيحاء تعبيريا، يجب أن يتردد بدرجة تجعل له وجودا بارزا ولافتا في الكلام".⁷ ويتضح ذلك مما يلي :

قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾⁸

¹ مبارك محمد ، فقه اللغة ، ص 120 .

² نفسه، 102 .

³ نفسه، ص 101 .

⁴ ينظر: الدلالة الصوتية، ص 155-156 .

⁵ ينظر: علوية، نعيم، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعة، بيروت، ط2، 1986، ص 21، 22 .

⁶ ينظر: التحليل الصوتي للنص ، ص 56 .

⁷ يونس علي، نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، ص 239 .

⁸ سورة الاحزاب ، الآية 11 .

"زلّ: الزاء واللام أصل مطّرد منقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي، وهذا من عجيب هذا الأصل، تقول: زلّ عن مكانه زليلا وزلّاً، والماء الزلال العذب، لأنه يزل عن ظهر اللسان لرقّته، والزلّة: الخطأ؛ لأن المخطئ زل عن نهج الصّواب، وتزلزلت الأرض: اضطربت ، وزلزلت زلزالا."¹

فالزلال : اضطراب الأرض، وهو مضاعف زلّ تضعيفا يفيد المبالغة، وهو في الآية الكريمة استعارة لاختلال الحال اختلالا شديدا بحيث تحيّل مضطربة اضطرابا شديدا كاضطراب الأرض وهو أشد اضطرابا للحاقه أعظم جسم في هذا العالم، ويقال: زلزل فلان، مبنيا للمجهول تبعا لقولهم: زلزلت الأرض، إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفا، وهذا هو غالب استعماله .. والمراد بزلزل المؤمنين شدة الانزعاج والدُّعْر لأن أحزاب العدو تفوقهم عددا وعدة.²

وصوت الزاي: أسناني لثوي، وهو رخو مجهور مرقق،³ واللام صوت أسناني لثوي مجهور، مائع،⁴ وهو صوت منحرف، جانبي (حافي)، ويتميز بأن طرف اللسان يرتفع في النطق بها حتى يعتمد على الحنك، وتنخفض حواف اللسان بطريقة تسمح للهواء بأن يمر من جوانبه.⁵

فكل من صفير الزاي وجانبية اللام، توحى بهذا الانحراف والتذبذب وعد الثبات الذي تدل عليه لفظة (زل) .

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة ، ص 04/03.

² ينظر: التحرير والتنوير، ص 283/21.

³ ينظر : عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ، ص 163.

⁴ كمال بشر، فن الكلام، ص 219.

⁵ فنديس، اللغة ، ص 53.

إن لتكرير الحرف في الكلمة مزية سمعية ترجع إلى الموسيقى وأخرى فكرية تعود إلى المعنى،¹ فمثلا تردد القاف بشكل ظاهر في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^ط وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ تَخَشَّوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيِنَّمَا تَكُونُونَ يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَالْمَالُ هَتُّؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾²

فصوت القاف، يظهر ظهورا عجيبا في السياق، مع كثير من الحروف المكررة، كاللام والنون والتاء والسين والكاف والشين، فهذا التكرار قد يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعا خاصا يؤكد التكرار، وإما أن يكون لتأكيد أمر اقتضاه القصد فتساوقت الحروف المكررة في نطقها له مع الدلالة في التعبير عنه.³

ويرى ابراهيم أنيس " أن تردد بعض الحروف أو الكلمات قد يكسب الشطر لونا من الموسيقى تستريح إليه الآذان وتقبل عليه، فالتكرار المعتدل يزيد الموسيقى حسنا وجودة، وذلك كالموسيقى التي تتردد فيها أنغام معينة في مواضع خاصة من اللحن فتزداد بهذا التردد جمالا

¹ ينظر: التكرار في الفاصلة القرآنية، ص 06.

² سورة النساء، الآيات 76-78.

³ ينظر: منذر عياش، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990، ص 82.

وحسنا، فتكرار الحروف لا يكون قبيحا إلا إذا وقعت عليه المبالغة، أو كان الصوت المكرر عسير النطق".¹

وفي الشعر مثلا قرّر الباحثون أن اختلاف التجارب يبعث على اختلاف الأصوات الدالة عليها عند الشاعر الواحد، فشعر الغزل ينسجم مع أصوات لا ينسجم معها شعر الفخر، وشعر الطبيعة ينسجم مع أصوات لا ينسجم معها شعر المعارك، ومن هنا فإن الأصوات تنقسم إلى قسمين: "أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف والآخر يناسب المعنى الرقيق الهادئ، ومرجع هذا التقسيم في الحروف إلى صفتها ووقعا في الآذان".²

ومنه في كتاب الله عز وجل، قوله تعالى ﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾³، "تكرّر في العبارة الكريمة صوتا التاء والباء اللتان تسهمان في التشكيل الصامتي لألفاظ مادة (توب) ومشتقاتها (تكرر صوتا التاء أربع مرات وصوت الباء ثلاث مرات) وتجدر الإشارة أن سورة التوبة تعد من أكثر سور القرآن احتواء لألفاظ مادة (توب) ومشتقاتها؛ إذ وردت سبع عشر مرة لتسلم الصّدارة في نسبة ورودها توافما مع اسم السورة ومضمونها".⁴

"والتوبة هي : الإنابة والرجوع عن الذنب، أو ترك القبيح على أجمل الوجوه".⁵ ويرى بعض الدارسين أن تشكيلتها الصوتية تعبر تمام التعبير عن مضمونها، ويتجلى ذلك في أمور متعددة منها: 1- "يتسم صوتا (التاء والباء) بالانفتاح المنافي للانغلاق والانقباض، ووقوع المصوت الطويل (الفتحة الطويلة والضمة الطويلة) في (تاب، يتوب) بينهما يزيد من رقعة

¹ ينظر: موسيقى الشعر، ص43.

² نفسه ، الصفحة نفسها .

³ سورة التوبة ، الآية 118.

⁴ تجليات الدلالة الالغائية في الخطاب القرآني ، ص67.

⁵ ينظر: المقاييس، ص375/1.

انفتاحيتهما واتساع مداهما، وفي ذلك إشارة إلى أن التوبة تبعث على الراحة والانشراح النفسي، ويوسع من نطاق الإيمان والإقبال على الطاعات النفسية بنفسية منفتحة طائعة.¹

2- "اجتماع صوتين متضادين أحدهما هامس خافت (التاء)، وآخر مجهور واضح قوي (الباء)، يعبر عن طبيعة التوبة الجامعة بين النية الصادقة الغائبة عن الأنظار لكون محلها القلب، وبين العمل الصالح المعلن الواضح في كل خطوة يخطوها التائب، ثم إن سمة الهمس تتوافق مع حقيقة التوبة التي هي الندم على ارتكاب الذنب، أما الجهر فيتوافق وقوة العزيمة على عدم العودة إليه."²

3- "يحاكي الهواء المحبوس وراء نقطة الانسداد في أثناء خروج (التاء، الشاء) الانفجارين، وتسريجهما الفجائي تخلص التائب من سجن المعاصي، ودرن الذنوب وهمومها، كما أن كثافة تيار الهواء الذي يزول على أثره، وينفصل العضوان الملتحمان، تتوافق ودلالة أن التوبة تمحو الذنوب وتزيلها."³

كذلك قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْءُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِن عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁴

¹ تحليلات الدلالة الإيجابية في الخطاب القرآني، ص 68.

² نفسه، ص 68.

³ نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ سورة التوبة، الآية 120.

"تكرّر صوت الصاد أربع مرات في الآية الكريمة، التي تفوق جُلّ نظيراتها في السورة في تكرار كم هائل من الأصوات المطبقة والمفخمة (ص، ض، ط، ظ) وتردادها لتظهر تعظيمها وتحليلها لشأن أهل المدينة ومن تأسى بهم، وإشادتها بموقفهم الإيماني وصفاء طويتهم، كما تتناسب مع عظم الأجر المعد لهم وفخامته."¹

"وتكثر في الآية الأصوات التي لها سمة الاستعلاء والمجتمعة في عبارة: خص قظ ضغط، إذ احتوت الآية على ثلاثة عشر صوتا مستعليا وورود هذا الكم في خطاب جامع بين الشاء على أهل المدينة ومن حولهم من أعراب البادية وتبرئتهم من التخلف، وبين تذكير وتأنيب خفي لمن تخلف منهم أمر في غاية الاتساق والتناغم، إذ توحى الأصوات المستعلية أن أهل المدينة يعلنون على الشدائد والصعاب، ولا يليق بهم إلا أن يكونوا من ذوي الهمم العالية والنفوس المستعلية على المكاره والصعاب كما كان عهد الإسلام بهم دائما، ونلمح في السورة أيضا ورود كمية كبيرة من الأصوات المهموسة، إذ احتضنت الآية ستا وثلاثين صوتا مهموسا، والصوت الهامس يتسم بالانسيابية والرقّة والسلاسة نظرا لصمت الوترين الصوتيين وتوقفهما عن الحراك حال النطق بالأصوات المهموسة، مما يؤهلها لتكون أقدر الأصوات على توليف إيقاع قادر على امتلاك ناصية التأثير في مواقف اللين والموادعة، وإذ علمنا أنّ السياق سياق عتاب خفي موجه إلى قوم رفاق القلوب ذوي حس إيماني مرهف، يؤدي التشديد عليهم إلى انفطار قلوبهم فرقا و ألما فناسبه تكرار الأصوات المهموسة الرقيقة مراعاة لنفسيّتهم وتحريكا لنخوتهم وعاطفتهم الإيمانية وتذكيرا لهم بمواقفهم النبيلة التي ينبغي أن يجيدوا عنها."²

فهذا نزر من فيض من المعاني القرآنية، التي جاءت عباراتها موحية بها ودالة على تفرد الصياغة القرآنية، وعلى مظهر الاعجاز الصوتي فيها، وعاكستا مجالا خصبا للبحث في الدلالة

¹ تجليات الدلالة الإيحائية، ص 72.

² نفسه، الصفحة نفسها.

الصوتية ومكوناتها من صوامت ومن صوائت، وسنحاول فيما يلي الوقوف على أثر الصوت الصائت فى توجيه الدلالة أو توضيحها .

2- دلالة الصَّوائت :

تلعب الصَّوائت دورا رئيسا، فى تحقيق التنوع الدَّلالى الإفرادى والسِّياقى. فبالحركات تفهم خصيصة الكلام والغاية منه، يقول المكي القيسي: "فإن الكلام إنَّما جىء به لتفهم المعانى الَّتى هى نفس المتكلم وبالحركات واختلافها تُفهم المعانى، فهى منوطة بالكلام مرتبطة به ونيطة به، إذ به نفرِّق بين المعانى الَّتى من أجلها جىء بالكلام".

ثم إن لكل واحدة منها هويتها الصوتية، الَّتى تضفيها على السياقات الَّتى ترد فيها، وقد يكون حضورها حضورا بارزا ظاهرا، وقد يكون خفيا مستترا يحتاج إلى فحص دقيق ومتأنى، وسنحاول فى ما يلي سبر أغوار شيء من دلالة الصوائت فى القرآن الكريم فى شقه المدنى.

أ- اختيار الصَّوائت :

معلوم أن العرب فى توزعهم القبلى ضمن خريطة الجزيرة العربية، اختارت كل قبيلة مجموعة من الأصوات تؤثرها عن غيرها، بحيث يغلب نطقها على لسانها، وقد بيَّنت الدراسات اللهجية ميل البيئات الحضرية (الحجاز) إلى الفتح، فى حين مالت بيئات البادية من العالية ونجد وتميم وأسد إلى الضم.¹ كما أن قبائل البادية المذكورة أنفا عرف عنها ميلها إلى الكسر.² وعلى هذا الأساس يظهر ميل البيئة المتحضرة (الحجاز) إلى الحركة الأخرى (الفتح)، فى حين مالت بيئات البادية الَّتى تتسم بالخشونة والشدة إلى الكسر.³

¹ ينظر: محمد داود، الصوائت والمعنى فى العربية، دراسة دلالية وعجم، دار غريب، القاهرة، 2001، ص33.

² نفسه، 32.

³ نفسه، الصفحة نفسها.

ومن هذا الباب- باب الأخر والأثقل- يمكن فتح باب لربط الصوت الصائت بالدلالة وتوجيهه لها؛ إذ ذكر الدارسون أن الصوائت الأقوى ترافق المعاني الأقوى، فالضمة مثلا أقوى الحركات، ونلاحظ تفوقها على أختيها الكسرة والفتحة في بعض الأبنية الاشتقاقية التي تمتلك الجذر اللغوي ذاته، من حيث الصّوامت وتسلسلها، وتختلف في صائت واح ، لذلك فإنها ترافق أقوى المعاني.

ويدلنا على ذلك أمثلة كثيرة منها (المرويات اللغوية) التي تدل في أكثر الأحيان على أن الضمة أقوى من غيرها،¹ نحو قول ابن جني: "الذّل في الدّابة ضد الصعوبة، والذّل للإنسان هو ضد العز، وكأهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدّابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا ممّا يلحق الدّابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدّابة."² وهكذا يجعل ابن جني من الضمة والكسرة فونيمين يوجه كل منهما المعنى ويخصه بالكسرة لضعفها تخصص الذل إذا كانت على الذال للدابة، وإذا كانت الضمة على الذال فتخصص كلمة الذل للإنسان وذلك لقوتها.³

ويقول عبقرى العربية في موضع آخر: " وخصوا غلا في القول بالغلو لأن لفظ فعول أقوى من لفظ فعال للواوين والضميتين، وضعف الألف والفتحتين، وذلك أن الغلو في القول أعلى وأعنى عندهم من غلاء السعر."⁴ وهكذا وجّهت الواو بالضمة لقوتها المعنى نحو الغلو في القول لأنه أمر معنوي بعكس الألف والفتحة الضعيفتين فيوجدان في الغلاء الموجه للسعر.⁵

¹ ينظر: أثر الصوائت في الدلالة، ص 156.

² الخصائص، ص 157/2-162.

³ ينظر: المالكي، مطير بن حسين، دور الصوائت العربية في وضوح المعنى وأمن اللبس، ص 26.

⁴ ينظر: المحتسب، ص 140/2.

⁵ ينظر: دور الصوائت العربية في وضوح المعنى، ص 26.

ومن ذلك قولهم: "جُمَامُ المَكْوَكِ دَقِيقٌ، وَجَمَامُ القَدَحِ مَاءٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المَاءَ لَا يَصِحُّ أَنْ يعلو على رأس القَدَحِ، كما يعلو الدَّقِيقُ ونحوه على رأس المَكْوَكِ، فجعلوا الضمَّةَ لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها، فيما يقل بل يعدم ارتفاعه."¹

فهذه التفاسير مما يستأنس به في تأويل بعض المواضع، التي يظهر فيها جليا توجيه صائت ما لدلالة ما، فمما ورد في القرآن المدني من ألفاظ تضيي فيها الضمة فيها بظلالها، فتعكس قوة المعنى لقوتها، ما جاء في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾²، والكره بضم الكاف: الكراهية ونفرة الطبع من الشيء، ومثله الكره بالفتح، وقيل: الكره بالضم المشقة ونفرة الطبع، وبالفتح هو الإكراه.³ فلفظ (الكره) بالضم تزيد في معناها الذي تشترك فيه مع (الكره) بالفتح بوجود المشقة والصعوبة.

كذلك في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁴.

¹ المحتسب، ص 19/2.

² سورة البقرة، الآية 216.

³ ينظر: الفارسي، الحجة، ص 320/2.

⁴ سورة البقرة، الآية 249.

فالغرفة بفتح الغين فى قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر وأبى جعفر، المرّة من الغرف ، وأخذ الماء باليد، وقرأه حمزة، وعاصم، والكسائى، ويعقوب، وخلف، بضم الغين ، ومعناه المقدار المغروف من الماء.¹

فكأن فى لفظ الغرفة بالضم تقييدا وتحديدا لحجم الماء المغروف وهو يعكس تحكما ودقة ، أكثر من لفظ الغرفة بالفتح ، إذ هو يعنى مطلق الأخذ دون تحديد .

كذلك فى قوله تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَرْضِعُوا لَهُنَّ أُخْرَى ﴾²

"فالوجد بالضم، مثلث الواو، وهو الوسع الطاقة، وقرأه الجمهور بضم الواو، وقرأه روح عن يعقوب بكسرهما".³ فعظم الوسع وشساعته تعين على تصويره صوت الضمة بقوتها، ومخرجها الشفوي الظاهر .

ومنه فى قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁴ "الجُنَّة: الوقاية والسترة، من جنّ إذا استتر، أى وقاية من شعور المسلمين بهم

¹ ينظر: الحجة، ص 498/2.

² سورة الطلاق ، الآية ، 06.

³ التحرير والتنوير، ص 327/28.

⁴ سورة المنافقون، الآية 02.

ليتمكنوا من صد كثير ممن يريد الدخول فى الإسلام عن الدخول فيه".¹ "فهم جعلوا أيمانهم كالجنة يتقى بها ما يلحق من أذى".²

فهم كانوا يبالبغون فى محاولة سترهم لما فى صدورهم، وحرصهم على عدم اكتشاف أمرهم، وفى ضيق الضمة انعكاس لهذا التكتم، وفى قوتها انعكاس لمدى حرصهم ومبالغتهم فى التحرز.

كما تضيف الضمة ضلال قوتها على لفظة (غرور) فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾³

"والغرور: ظهور الشيء المكروه فى صورة المحبوب".⁴ والقرآن الكريم اختار التعبير بلفظ الغرور الوارد على لسان المنافقين، عاكسا عمق تجرئهم وإنكارهم الحق حتى أنهم جعلوه باطلا وكذبا وتتوالى الضمة فى صيغة (الغرور) معززة قوة إنكارهم وتدليسهم.

كذلك فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا^ط وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ^ط إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾⁵ "قرأه الجمهور بفتح الميم وهو اسم لمكان القيام، أى الوجود، وقرأه حفص عن

¹ التحرير والتنوير، ص 49/28

² نفسه، ص 236/28.

³ سورة الأحزاب، الآية 12.

⁴ التحرير والتنوير، ص 248/21.

⁵ سورة الأحزاب، الآية 13.

عاصم بضم الميم، أي محل الإقامة".¹ فمعلوم أن محل الإقامة أعظم وأكبر من مكان القيام، فيمكن القول أن الضمة ساهمت وعززت قوة وعظم دلالة لفظة (مُقام) .

مثال آخر في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.² (الكبر) بكسر الكاف في قراءة الجمهور، ويجوز ضم الكاف، وقرأ به يعقوب وحده، ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، فهما لغتان عند جمهور أئمة اللغة، وقال ابن جني والزجاج: المكسور بمعنى الإثم والمضموم: معظم الشيء.³ ففي صيغة (الكبر) بالكسر دلالة على الإثم وفي ذلك تحقير وتشنيع بصنيعهم، فيحين أن (الكبر) بالضم توحى باعتزازهم الشديد بأنفسهم ومبالغتهم في العناد والمكابرة، فعكست الكسرة معنى التحقير وعكست الضمة معنى التعظيم .

وإن كان لبعض الدارسين تخريجات أخرى لدلالة الصوائت إذ قرّر بعضهم أن الفتح ينبئ عن الكثرة ويشار به إلى السّعة، لذلك تجد الأخرس والأعجم بطبعه إذا أخبر عن شيء كثير فتح شفّيته، وبعده ما بين يديه⁴؛ "وأن الضم ينبئ عن القلة والحقارة، ولذلك تجد المقلل للشّيء يشير إليه بضمّ فم أو يد، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر السّاعة، لأنه ضم بين إبهامه وأصبعه."⁵

¹ التحرير والتنوير، ص 284/21.

² سورة النور، الآية 11.

³ ينظر: التحرير والتنوير، ص 173/18.

⁴ ينظر: السهيلي، أبو القاسم، نتائج الفكر، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1992، ص 71.

⁵ الجوزية، ابن القيم، بدائع الفوائد، تح: سيد عمران، عامر صلاح، دار الحديث، القاهرة، 2002، ص 44/1.

وعلى هذا الأساس، يمكن أن تشير الفتحة في لفظة الغرور في قوله تعالى ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾¹ قالوا بلى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ¹ إلى السعة والكثرة، "فالغُرور بفتح الغين، مبالغة في المتَّصف بالتغريب، والمراد به الشيطان، أي بإلقاءه خواطر النفاق في نفوسهم".²

ومن ذلك في قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾³، الجهد منتهى الطاقة، ولذلك يطلق على المشقة.⁴

وجاء في قوله تعالى ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁵ عن ابن مسعود، أن الكفار: الزَّراع، جمع كافر، وهو الزَّارع لأنه يكفر الزَّرِيعَةَ بتراب الأرض، والكفر بالفتح الستر، أي ستر الزَّرِيعَةَ.⁶ فلفظة (الكفر) بالضم تحمل معنى مختلفا عما تحمله وهي مشكلة بالفتح، فقوة الضمة، تعكس فعل الزرع ورمي الزريعة، ثم يأتي الفتح للدلالة على ستر هذه الزريعة وإخفاءها .

¹ سورة الحديد، الآية 14.

² التحرير والتنوير، ص 387/27.

³ سورة النور، الآية 53.

⁴ التحرير والتنوير، ص 277/18.

⁵ سورة الحديد، الآية 20.

⁶ التحرير والتنوير، ص 405/27.

"أما الكسر فعادة ما يكون دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية، فهي حركة المؤنث في اللغة العربية، والتأنيث عادة محل الرقة أو ضعف الأنوثة، والياء علامة للتصغير في العربية والكسرة في عديد اللغات ترمز إلى الرقة وقصر الوقت".¹ "كما أنها توحى بصغر الحجم".²

ففي نحو قوله عز من قائل ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾³ "الكفل بكسر الكاف وسكون الفاء: النصيب، وأصله الأجر المضاعف، وهو معرب من الحبشية، كما قاله أبو موسى الأشعري، أي يؤتكم أجرين عظيمين".⁴ فلعل مجيء صيغة الكفل بالثنى للزيادة من حجم الأجر، حتى لا يغدو قليلا بفعل تأثير الكسرة.

ومنه قوله تعالى ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ؕ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁵،

"الذكر يطلق على نطق اللسان باسم أو كلام، ويطلق على التذكر بالعقل، وقد يخص هذا الثاني بالضم الذال".⁶ ف—(الذكر) بالضم أوسع وأشمل من (الذكر) بالكسر والتي تقتصر على اللسان وحده دون سائر الجوارح والملكات.

¹ ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، ص 82، 81.

² ابراهيم أنيس، وحي الأصوات في اللغة ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، مطبعة التحرير ، 1958 ، ص 435.

وأحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط 5 ، 1998 ، ص 39.

³ سورة الحديد، الآية 28.

⁴ التحرير والتنوير، ص 428/27.

⁵ سورة المجادلة ، الآية 19.

⁶ التحرير والتنوير، ص 55/28.

ف للصوات إذن من ناحية خواصها الصوتية تأثير على المعاني، سواء أكان ذلك بطرق مباشرة أم غير مباشرة. على أن تأثير الصوات يتجلى بصورة أكبر من خلال وظيفتها التركيبية، باعتبارها حركات إعرابية، من هنا وجب التوقف عند دلالة الحركة الإعرابية .

ب- دلالة الحركة الإعرابية :

استمدت الحركة الإعرابية وظيفتها فى التركيب اللغوي العربي القديم من حقيقة الإعراب الذى هو الفارق بين المعاني، فتغيّر أواخر الكلمات مرتبط بما يصيب معانيها من تغيير، يقول الزجاج : "إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولا بها ومضافة ومضافا إليها، ولم تكن فى صورها وأبنيثها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"¹.

وبهذا تكون وظيفة الحركة الإعرابية هى الفصل بين الأسماء من الناحية الوظيفية، كما بيّن ذلك ابن فارس بقوله: "الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال "ما أحسن زيدا" لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذمّ إلا بالإعراب"².

"فالمعنى يمكن أن يستدل عليه بأقل عنصر من العناصر الداخلة فى السياق اللغوي، وهى الحركة فالفعل ((قَتَلَ)) بثلاث فتحات، يفيد معنى أن شخصا قام بالقتل، وإذا حذف الصائت القصير من وسط الفعل وتغيّر نوع الصائت القصير من البناء على الفتح إلى ضمة إعراب فحينئذ سندرك أن هناك حدثا قد وقع من شخص وشارك فيه شخصا آخر (قالت) ، وإذا غيّرنا نوع الصائت القصير من مبنى (قاتل) بحيث كسرنا العين وضممنا اللام بدلا من فتحتي البناء فستتحول الصيغة إلى اسم الفاعل، وبهذا تكون الصيغة قد تحوّلت من صيغة فعل إلى صيغة اسم، والمعولّ فى ذلك هو كم الصائت وكذا نوعه، وكمّ الصائت يبدو تأثيره فى حشو الصيغة أما نوعه فغالبا ما يكون له تأثير فى نهاية الصيغة وبه تتحدد وظيفة الصيغة وكذا دلالتها"³.

¹ الزجاج أبو القاسم ، الإيضاح فى علل النحو، تح : مازم مبارك ، دار النفائس، دط ، دت ، ص 69.

² ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ق4ه)، الصحاحى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها ، علّق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسين بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418هـ/1997م ، ص35.

³ عبد الرحمن، ممدوح، القيمة الوظيفية للصوائت (دراسة لغوية) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1998 ، ص205.

فبالإعراب يتم التمييز بين المعاني، وجُعِلت الصوائت الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) علامات إعرابية أو دوال على اختلاف وظائف الكلمة الواحدة باختلاف أواخرها.

"ذلك أن العربية الفصحى اختصت بنظام دقيق للإعراب دون سائر أخواتها، فإن لحركات الرفع والنصب والجر اللاحقة بأواخر الكلمات في العربية شأنًا كبيرًا، وهي حركات تبيّن وظيفة الكلمة المعربة في العبارة، وعلاقتها بما عداها من أجزاء الكلام، ولعل أكثر الكلام في العربية معرب، يقبل الحركات المختلفة، وأقله لا يقبلها، بل تثبت نهايتها على حركة معينة أو على سكون في جميع أحواله أو في معظمه وهذا ما يسمى مبنيا."¹

"فالإعراب سمة أصلية من خصائص العربية بل من خصائص معظم اللغات السامية، احتفظت به العربية في مستواها الفصيح حتى اليوم وفقدته أخواتها الساميات، وبقيت لها منه بقايا ساذجة تدل عليه، وأن القرآن الكريم الذي قيّض الله له من يعمل على حفظه وضبط نصه وتخيّر متنه وإثبات رواياته، وتوثيق سنده حتى جاء بذلك آية من الضبط والإتقان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه."²

لذا عوّل عليه العلماء بقوة في تفسير كتاب الله عزو جل إذ الهدف منه الإفصاح عن المعنى وتبينه، وهو لا يقل في ذلك ضرورة عن التفسير.

ففي قوله تعالى ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ^٣ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٣، قرأ حمزة وحده (وليحكم أهل الإنجيل) بكسر اللام

¹ عبد الرحمن، مدوح، القيمة الوظيفية للصوائت (دراسة لغوية)، ص 213.

² نفسه، ص 227.

³ سورة المائدة، الآية 47.

وفتح الميم ، وقرأ الباقون (وليحكم) بجزم اللام والميم، وقرئت بكسر اللام وفتح الميم على معنى ، ولأن يحكم ، ومن جزم الميم فلأن اللام لام الأمر.¹

فقراءة فتح الميم مدلولها التعليل ، أي أن الإنجيل أنزل لكي يحكم أهله بما جاء فيه² ، ففيها تبيان للحكمة من نزول الإنجيل، وقراءة الجزم ، معناها أمر أهل الإنجيل بحكم بما جاء فيه. فالمعنيين مختلفين باختلاف القراءتين وإعرابهما .

ومثله في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾³ " يقرأ بالياء والرفع ، وبالتاء والنصب. فالحجة لمن قرأ بالرفع: أنه جعل الفعل لله تعالى فرفعه به، وهم في هذا السؤال عالمون أنه يستطيع ذلك، فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال. والحجة لمن قرأ بالنصب: أنه أراد: هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف السؤال، وأقام (ربك) مقامه كما قال ((واسأل القرية)) يريد أهل القرية. ومعناه: سل ربك أن يفعل بنا ذلك فإنه عليه قادر.⁴

ثم إن الدراسات الحديثة، تفسر بعض التقسيمات للأبواب النحوية وفق هيمنة الصوائت وما تضيفه من دلالات، فالمرفوعات أكثر الأبواب في العربية، وقد اختارت الضمة علامة لها لما تدل عليه من "القوة والقرب وأساس استخدامها أن الإنسان في العادة إذا أراد أن يعبر عن قوته أو يخيف أحداً أو يفزعه أصدر صوتاً يحدثه بضم الشفتين فإذا لحق هذا الصوت أو الحركة بكلمة دلت على قوتها وقربها والمرفوعات قليلة وثقيلة لذا خصت بها القوة. ويتكلف الإنسان

¹ ينظر: الأزهرى، معاني القراءات، ص 332/1.

² ينظر: ابن خالويه، الحجة، ص 131 .

³ سورة المائدة، الآية 112 .

⁴ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع ، ص 135.

في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وتستخدم الضمة مع الأسماء والأفعال (الفعل المضارع) لأنه لم يقدم بعد ولا أتى عليه زمان، وقد سمي مضارعا لأنه ضارع الأسماء بوقوعه موقعها.¹

والفتحة علامة الضعف والبعد ... وفلسفة استخدامها عند العرب تستند إلى البكاء أو طلب النجدة أو الصياح، وكلها حالات يكون الانسان فيها ضعيفا، و يخرج فيها أصواتا يحدثها بفتح فمه (حركة الفتح) وهي حركة سهلة خفيفة أكثر انتشارا من الضمة.

وقال الزجاج الفعل ليس له إلا مرفوع واحد، وينصب عشرة أشياء، وتستخدم الفتحة مع الفعل الماضي لأنه انقضى وزال وأتى عليه أزمنة لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه وزمان خبر فيه عنه ، فالفعل الماضي إذن حدث بعيد .

"والكسرة تشير إلى علامة وارتباط بين كلمتين وتشبه هذه الحركة الصوت الذي ينشأ نتيجة احتكاك شئيين ، والاحتكاك علاقة التصاق مباشر".²

فللصوائت إذن دور مهم في بناء الكلمة في العربية، وفي تبيان مدلوله، ومراعاته في حشو الكلمة أو في آخرها مما لا يجب إهماله أو التقصير في الإتيان به، لذا فالإقتصار على دور الحركة الصوتي مع إغفال الوظيفة الدلالية لها، أمر يرفضه الواقع اللغوي في ضوء المناهج اللغوية الحديثة والتي تقوم على وصف الحقائق اعتمادا على استقراء ظواهر اللغة نفسها، وبعيدا عن التحليل العقلي والتفسير المنطقي.

¹ عبد الرحمن ممدوح، القيمة الوظيفية للصوائت، ص228.

² نفسه ، ص229.

3- الدلالة الصَّرْفِيَّة :

يندرج ضمن إسهام الصَّوت في خدمة الدَّلالة ما يعرف بالدَّلالة الصَّرْفِيَّة، وهو باب لم يغفله الصَّرْفِيُّونَ، فقد تنبَّهوا إلى الظواهر الصَّوتية وعلاقتها بالدلالة. وركّزوا اهتمامهم على أصوات المدِّ الطويلة (الألف - الواو - الياء)، وأصوات المدِّ القصيرة، وهي الحركات الإعرابية (الفتحة، الضمّة، الكسرة)، وفصلوا بين العلة وشبه العلة، و(التشديد) وما له من أثر في تغيير مبنى الكلمة ومعناها وهذا كله يخضع إلى التفسير اللغوي الذي يشترط فيه أن يكون مقبولاً للظواهر اللغوية ضمن نطاق علم اللغة، والتصريف العربي وقوانينه الصَّارمة¹.

ومن أبرز الأبواب الصَّرْفِيَّة التي تتجلى فيها علاقة الصَّوت بالدَّلالة، باب زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى، ومعناه أنه كلما طرأت زيادة على عدد الحروف الأصليَّة المؤدِّيَّة لأصل المعنى ازداد المعنى ودلَّ على تفرّعات جديدة في مفهومه لم يدل عليها اللفظ في جزئه الأصلي .

ويوضح ابن جني ذلك عندما يجعل الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع قطع، وكسر كسر، زادوا في الصَّوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه.²

وتلقَّف الصَّرْفِيُّونَ هذه الفكرة وأخذوا يطبقونها على (معاني أبواب الزيادة) فيجدون آثارها واضحة عند بيانهم الفرق بين المجرد ومعناه والمزيد فيه ومعناه، كأبحاثهم المشهورة في المزيد على الثلاثي المجرد بحرف وحرفين وثلاثة أحرف، فقرروا أن المعنى في (اكتسب) أزيد من المعنى في (كسب)، وأن معنى (اعشوشب) أزيد من معنى (عشب)، وأن معنى (قطع) أقوى من (قطع).

¹ ينظر: داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح الكويتية، الكويت، ص 200.

² ينظر: المحتسب، ص 210/2.

ويلخص الرضى ذلك بقوله : " اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لابد لزيادته من معنى، لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا معنى كانت عبثاً، فإذا قيل مثلاً: إن (قال) بمعنى (قال) فذلك منهم تسامح في العبارة، وذلك على نحو ما يقال: إن (الباء) في (كفى بالله) و(من) في (وما من إله) زائدتان لما لم تفيدا فائدة زائدة في الكلام سوى تقرير المعنى الحاصل وتأكيده، فكان لابد في الهمزة في (أقالني) من التأكيد والمبالغة".¹

ومن ذلك زيادة المبنى لزيادة المعنى، وقد فصل ابن الأثير في ذلك فقرر: "أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني... وهذا لا يستعمل إلا في مقام المبالغة، فمن ذلك خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو: فعل وافوعول وكذلك اعشب المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا اعشوشب".²

فابن الأثير يرى أن زيادة المعنى تقع تبعاً لزيادة المبنى وهذه الزيادة مقيّدة بما يعدل به من صيغة إلى أخرى، والغرض البلاغي منها هو المبالغة التي يقتضيها المقام.³

بل يذهب ابن فارس إلى أبعد من ذلك حين يعتبر أن جميع الأوزان وضعت لمقابلة المعاني، فمثلاً: (فعل) يكون في الوجد نحو: وجع، وحبط، و(أفعل) للصفات بالألوان نحو: أحمر وأسود، و(فعل) للأدواء.⁴

¹ شرح الشافية ، ص 83/1.

² ابن الأثير، المثل السائر، ص 56/2.

³ ينظر: هنداوي عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2002، ص 40.

⁴ ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص 171.

ويجئ مصدر (فعل) للدلالة على السَّير كالرَّحيل، وقد يأتي للدلالة على الصَّوت مثل العويل والصَّهيل والرَّئير.¹ ووزن (فُعال) بضم الفاء وفتح العين ثم ألف مدّ بعدهما، فأكثر ما يأتي لما يستكره أو يستقدر أو يحتقر أو يستصغر فمن ذلك: الدُّوار الذي يصيب الإنسان إذا ركب البحر أو علا في الجو، ... والسُّعال، وكل ذلك مما يستكره والمخاط، والعطاس، وكل ذلك مما يستقدر والبغات والجفاء والغبار والهراء وكلها مما يحتقر، والغلام والقراد والغراب مما يستصغر.² "أما مؤنث هذا الوزن وهو (فُعالة) فإنه يدل دائما على البقية من الشيء الحقيق، نحو المثالة والبرادة، والنُّشارة، والنُّخالة، والقمامة وغيرها".³

ومثل هذه القضايا والمعاني جاء بها القرآن الكريم، عاكسا أثر الصيغة الصرفية في توجيه الدلالة. فمن دلالة التحقير لصيغة (فُعالة) ما جاء في قوله تعالى ﴿الْمَرَّتْ أَنَّ اللَّهَ يُزِجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ تَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾⁴

فالركام مشتق من الرِّكْم، والرِّكْم الجمع والضم، ووزن فُعال وفُعالة يدل على معنى المفعول، ومادة ركم المكونة من (راء والكاف والميم)، "أصل واحد يدل على تجمُّع الشيء، تقول ركمت الشيء، ألقيت بعض على بعض، وسحاب مرتكم ورُكام".⁵

¹ ينظر: الدلالة الصوتية، ص209.

² ينظر: كلام العرب، ص39.

³ نفسه، ص39.

⁴ سورة النور، الآية 43.

⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص430/2.

ومثله صيغة (المكاء) فى دلالتها على الأصوات، على نحو ما جاء فى قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾¹، فالمكاء مصدر على فعال، لأن الأصوات تجيئ عليه كثيرا، كقولهم: التباح والصراخ، والعواء والدعاء.²

ومن الزيادة فى تصاريف الكلمة مما جاء فى القرآن المدنى للدلالة على المبالغة ما جاءت به صيغة الافتعال فى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾³. رسم المصحف: (اكتسبت) على افتعل والمعنى تصرفت واجتهدت فى تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي. وقيل: نسب الفعل على (افتعل) إلى السيئة تنفيرا منها وتحويلا وتشنيعا بارتكابها، ولكون (اكتسب) أقوى معنى من كسب للدلالة على عظم حال السيئة.⁴

ومن صيغة (تفعل) يُستشف معنى التفعل فى قوله تعالى ﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾⁵ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾⁶. "ف—(تخطفه) مضاعف خطف للمبالغة، والخطف: أخذ الشيء بسرعة سواء كان فى الأرض أم كان فى الجو ومنه تخطف الكرة".⁶

¹ سورة الأنفال ، الآية 35.

² الفارسي ، الحجة ، ص 147/4.

³ سورة البقرة ، الآية 286.

⁴ ينظر : ثريا عبد الله عثمان إدريس، الصيغ الفعلية فى القرآن الكريم ، أصواتا وابنية ودلالة ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية ، 1410هـ/1989م ، ص 1112 .

⁵ سورة الحج ، الآية 31.

⁶ التحرير والتنوير ، ص 255/17 .

ويكثر مجيء صيغة (استفعل) في القرآن الكريم للدلالة على المبالغة، نحو قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.¹ "لفظ (استوقد) هو أبلغ في هذا الموضع من (أوقد) بما دلّت عليه الهمزة والسين والتاء من طلب ومشقة".²

ونحوه صيغة (استجاب) من قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾،³ "فاستجاب لكم أي وعدكم بالإغاثة، وفعل استجاب يدل على قبول الطلب، والسين والتاء فيه للمبالغة، أي تحقيق المطلوب".⁴

ومثله (استمتع) في قوله تعالى ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.⁵ "والاستمتاع: هو التمتع، وهو نوال أحد المتاع الذي يتلذذ بها الإنسان وملائمه ... والسين والتاء فيه للمبالغة في قوة التمتع".⁶

¹ سورة البقرة، الآية 17.

² من أسرار النظم القرآني، ص 55.

³ سورة الأنفال، الآية 09.

⁴ التحرير والتنوير، ص 274/09.

⁵ سورة التوبة، الآية 69.

⁶ التحرير والتنوير، ص 258/10.

كذلك في قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ
تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾¹، فصيغة (استغلظ) معناها غلظ غلظا شديدا
في نوعه، فالسين والتاء للمبالغة.²

كذلك صيغة (استحوذ) في قوله عز وجل ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ
اللَّهُ أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾³

" الاستحواذ الاستيلاء والغلب، وهو استفعال من حاذ حوذا، إذا أحاط شيئا وصرّفه
كيف يريد، يقال: حاذ العير إذا جمعها وساقها غالبا لها، فاشتقوا منه استفعال للذي يستولي
بتدبير ومعالجة، ولذلك لا يقال استحوذ إلا في استيلاء العاقل، لأنه يتطلب وسائل الاستيلاء،
ومثله استولى، والسين والتاء للمبالغة في الغلب".⁴

ومنه كذلك قوله عز وجل ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمُ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾⁵.

¹ سورة الفتح، الآية 27.

² ينظر: التحرير والتنوير، ص 209/2.

³ سورة المجادلة، الآية 19.

⁴ التحرير والتنوير، ص 54/28.

⁵ سورة التوبة، الآية 07.

"فلاستقامة حقيقتها عدم الاعوجاج، والسين والتاء للمبالغة".¹ ومنه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾²، "أي أحبوه حباً متمكناً، فالسين والتاء
للتأكيد".³

وأخيراً (يستبدل) فى قوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ﴾⁴، "فالسين والتاء للتأكيد".⁵

كذلك من الصيغ التي تخدم معنى المبالغة صيغة (فعلان) فى قوله تعالى ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ
بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾⁶ (الرضوان) بكسر الراء وضمها،
الرضا الكامل الشديداً، لأن هذه الصيغة تُشعر بالمبالغة مثل الغفران والسكران والعصيان".⁶

ومثله صيغة (فعل) فى قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ
غَيْرِ ءَأْسِنٍ﴾⁷ "فكلمة (أسن)، وصف من أسن الماء من باب ضرب ونصر وفرح، إذا تغير
لونه، وقرأ ابن كثير (أسن) بدون ألف بعد الهمزة على وزن فعل للمبالغة".⁸

¹ التحرير والتنوير، ص 123/10.

² سورة التوبة، الآية 23.

³ التحرير والتنوير، ص 151/10.

⁴ سورة محمد، من الآية 38.

⁵ التحرير والتنوير، ص 200/10.

⁶ التحرير والتنوير، ص 149/10.

⁷ سورة محمد، الآية 15.

⁸ التحرير والتنوير، ص 97/26.

كما يكثر في كتاب الله عز وجل أن تأتي الصيغ الصرّفية المزيّدة، دالة على التكلف من ذلك صيغة (افعل) ، على نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ^ط إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^١﴾^١، فالاعتذار افتعال مشتق من العذر، ومادة الافتعال فيه دالة على تكلف الفعل من الاكتساب والاختلاف والعذر، الحجة التي ترى صاحبها من تبعة عمل ما.^٢ "ويجوز أن يكون اختيار صيغة المعذرين من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر والذين كذبوا فيه."^٣

ومثله ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^ط وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^٤﴾^٤ "رسم المصحف (يرتدد) افتعال من الردّ دال على معنى التعمّد والتكسّب لأنه متكلف، إذ من باشر دين الحق يبعد أن يرجع عنه."^٥

ومما جاء منه بصيغة تفعل، الفعل (تعمّدت)، من قوله تعالى ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ^ع فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ^ع وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ^ع وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ^ع وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

^١ سورة التحريم، الآية 07.

^٢ التحرير والتنوير، ص367/28.

^٣ الفارسي، الحجة، ص292/10.

^٤ سورة البقرة، الآية 217.

^٥ البحر المحيط، ص159/2.

رَحِيمًا ﴿١﴾ "رسم المصحف: (تعمّدت) على (تفعّل)، دال على التكلف، قيل: وقد تعمّده، وتعمّد له: قصد. "٢

ومنه الفعل (تبرّج) من قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ٣، "رسم المصحف: (تبرّج) على تفعّل، وفيه دلالة على التكلف، من التبرج: التبخر والتنج والتكسر. "٤

كذلك الفعل (ليتفقها) من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ٥. "رسم المصحف: (ليتفقها) على (تفعّل) من تفقه: تعاطى الفقه، ووجه الزمخشري الصيغة على معنى التكلف، فقال: "ليتكلفوا الفقاها فيه، ويتجشّموا المشاق فى أخذها وتحصيلها. "٦

¹ سورة الأحزاب، الآية ٥٥.

² الصيغ الفعلية فى القرآن الكريم، أصواتا وأبنية ودلالة، ص 986.

³ سورة الأحزاب، الآية 33.

⁴ البحر المحيط، ص 223/07.

⁵ سورة التوبة، الآية 122.

⁶ الكشف، ص 108/3.

ومن أجل المبالغة جاءت صيغة (يفاعل) في قوله تعالى ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا ذَٰبِرَةٌ ۖ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۖ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾¹

" ف——(يسارعون) تدل على المشاركة استعملت بدلا من (يسرع) للدلالة على مبالغة مرضى القلوب من المسلمين في الإقبال على اليهود والنصارى وموالاتهم، وأنهم يتسابقون إلى ذلك، ولأن الفعل (يسارعون) ضمن معنى فعل آخر وهو (يدخلون) ليكون المعنى، يسارعون بالدخول في الكفار والارتقاء في أحضانهم والاتصال بهم أي يدخلون فيهم ويصبحون منهم".²

على أن صيغة المفاعلة تدل في أشهر معانيها على المشاركة، من ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتُوهُمْ نَصِيحِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾³، "قرأ أهل الكوفة (عقدت)، بغير ألف، وقرأ الباقون (عاقدت) وهو الاختيار، لأن المفاعلة لا تكون إلا بين اثنين والمعاقدة: المخالفة".⁴

ومن ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُورًا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يُعُودُونَ لِمَا هُؤُورًا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾⁵ "قرأ الجمهور (يتناجون) بصيغة

¹ سورة المائدة ، الآية 52.

² من أسرار النظم القرآني (آيات وعبر)، ص95.

³ سورة النساء، الآية 33.

⁴ ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 133.

⁵ سورة المجادلة، الآية 08.

التفاعل، من ناجى المزيد، وقرأه حمزة ورويس ويعقوب (ويبتجون) بصيغة الافتعال من نجا الثلاثي المحرّد أي سارّ غيره، والافتعال يرد بمعنى المفاعلة مثل اختصموا واقتتلوا".¹

كذلك من دلالة الصيغ الصّرفية، دلالة المطاوعة التي يمنحها صيغة (تفعل) في نحو قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،² "رسم المصحف: (يتسللون) على (تفعل) الدال على المعاودة وحصول الشيء مرة بعد مرة."³

ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.⁴

رسم المصحف: (تزيّلوا) على (تفعل) دال على المطاوعة، يقال: زيّلته فتزيّل، أي فرّقته فتفرق. وقيل هو هنا بمعنى التفرّق والتمييز من غير مراعاة مطاوعة لفعل فاعل، لأن أفعال المطاوعة كثيرا ما تطلق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى.⁵

¹ التحرير والتنوير، ص 31/28.

² سورة النور، ص 63.

³ الصيغ الفعلية، ص 990.

⁴ سورة الفتح، الآية 25.

⁵ ينظر: التحرير والتنوير، ص 192/26.

فهذه نماذج منتقاة من آيات متفرقات من السور المدنية، جاءت فيها الصيغ الصرفية مساهمة في إبراز الدلالة وإيضاحها، ومعينة على ضبط دلالات الصيغ الصرفية في اللغة العربية.

ثانيا : دلالة الظواهر التشكيلية :

1- دلالة التّشديد :

تعد هذه الجزئية تنمة لما تحمله الصيغة من إيضاح للدلالة وتبianaها، إلا أنه تم إدراجه ضمن دلالة الظواهر التركيبية، لماهية التشديد وذلك كونه تضييفا للحرف، وإتيانا به مرتين حال سكونه، وحال حركته.

وفي القرآن الكريم كثر مجيء وزن (فَعَّل) وهو في أشهر دلالاته دال على معنى الكثرة، حتى دفع ذلك بعض اللغويين إلى أن يتصور أن هذا الوزن لا يراد إلا لهذا المعنى، فقال: "(فَعَّلَت) لا يكون إلا للتكثير، كقولك : أغلقت الباب وغلقت الأبواب، فإن قلت غلقت لم يجز إلا على أن تكون قد أكثرت إغلاقه".¹

ومن ذلك ما جاءت به القراءات لقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.² "قرأ نافع (لووا) خفيفة، وقرأ الباقون (لووا) مشددة، فأما التخفيف فيصلح للقليل والكثير، وأما التثقيل فيختص بالكثرة".³ "وهذا الوصف نزل في عبد الله بن أبي، لما قيل له: تعالى يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحرك رأسه استهزاء".⁴

¹ الأنصاري، أبو زيد، النوادر، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1894، ص.

² سورة المنافقون، الآية 05.

³ الفارسي، الحجة، ص 293.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 128/18.

"فلفظة (لووا) صورة معبرة عن تصرف وحركة يقوم بها المنافق المراوغ، (فلووا) بالتشديد دالة على الكثرة، إذ تقتضي كثرة اللّي منهم، أي لوى جمع كثير منهم رؤوسهم.¹"
وهذا السلوك، إنما هو ناجم عن خبث ومكيدة، وسوء نية من صاحب، وكلمة (لووا) كلمة متحركة تحمل حركة اللّي والنفس اللّيمة المنبعثة منها.

ومثله في قوله تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾²، التأذين رفع الصّوت بالإعلام، وأصله مضاعف أذن إذا سمع ثم صار بمعنى بلغه الخبر، فجاء منه أذن بمعنى أخبر.

"وأذن بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بتكرير الفعل، أي أكثر الإخبار بالشّيء، والكثرة تحصل بالتكرار ويرفع الصّوت القائم مقام التكرار. ولكونه بمعنى الإخبار يعدّى إلى المفعول الثاني بالباء".³ "وسياق الآية أمر سيدنا إبراهيم بإبلاغ الناس بفريضة الحج، وعن ابن عباس رضي الله عنها قال: لما أمر إبراهيم عليه السلام بالأذان تواضعت له الجبال، وخفضت وارتفعت له القرى".⁴

فإذا ما نظرنا إلى معنى التكرير، المرجو منه حصول التبليغ، والذي يمنحه الصّوت المضعّف، ونظرنا إلى سياق الآية، ظهر بصورة جليّة العلاقة الواضحة بين التضعيف الذي يطبع صيغة (أذن) وبين معنى التكرير والتبليغ.

¹ التحرير والتنوير، ص244/28.

² سورة الحج، الآية 27.

³ التحرير والتنوير، ص242/17.

⁴ الرازي، التفسير الكبير، ص 28/23.

وفي وصف أهل جهنم قال عز وجل ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۚ فَالَّذِينَ

كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۙ ¹

فصيغة (قطعت) جاءت للدلالة على الكثرة، فالتقطيع المبالغة في القطع، وهو فصل بعض أجزاء شيء عن بقيته، والمراد: قطع شقة الثوب، وذلك أن الذي يريد اتخاذ قميص أو نحوه يقطع من شقة الثوب ما يكفي كما يريده، فصيغة الشدة في القطع للإشارة إلى السرعة في إعداد ذلك لهم فيجعل لهم ثياب من نار، والثياب من النار ثياب محرقة للجلود وذلك من شؤون الآخرة. ²

على أن صيغة التشديد هذه (فعل) قد تخرج من معنى الكثرة إلى معاني أخرى قريبة من هذا المعنى، كدلالة التشديد لصيغة (فرضناها) من قوله تعالى ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۙ ³ إذ "قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وفرَضناها) بتشديد الراء للمبالغة، مثل نزل المشدد. ⁴

"ورجح ابن خالويه قراءة التشديد على معنى: بيناها وفصلناها وأحكمناها فرائض مختلفة". ⁵ "وقال الفراء: من شدد فمعناه: فرضناه عليك وعلى من يجيء بعدك، فالتشديد للتكثير والدوام، ومن خفف يجعله من الفرض فرضنا، لأن الله تعالى ألزم العباد به لزوما لا يفارقهم حتى الممات". ⁶

¹ سورة الحج، الآية 19.

² التحرير والتنوير، ص 230/17.

³ سورة النور، الآية 01.

⁴ التحرير والتنوير، ص 143/18.

⁵ ينظر: ابن خالويه، إعراب القراءات، ص 98.

⁶ نفسه، الصفحة نفسها.

"فمعنى المبالغة من حيث إنها حدود وأحكام فلا بد من المبالغة في إيجابها ليحصل الانقياد لقبولها، وأما التكثير فلوجهين (أحدهما) أن الله تعالى بيّن فيها أحكاما مختلفة، و(الثاني) أنه سبحانه وتعالى أوجبها على كل المكلفين آخر العمر."¹

وذهب القرطبي إلى أن معنى التشديد: قطعناها في الإنزال نجما نجما، والفرض القطع، ومنه فرضة القوس. وفرائض الميراث وفرض النفقة، وعنه أيضا "فرضناها"، وقيل: هو على التكثير، لكثرة ما فيها من الفرائض.²

وإن كانت هذه المعاني تشترك في دلالة عامة، فسياق الآية جاء في سورة النور، وهي متضمنة الأحكام مهمة في مجال الميراث والنفقة وفهم الحقوق وتبيين الواجبات، ومن هنا كان ذكر الفروض تبيانا لها وتأكيذا على وجوب الالتزام بها مع تفصيلها وبيان أحكامها، وبهذا كله يتم التبيان والتوضيح، ومن ثم تظهر قيمة التشديد في تكريس هذه المعاني وتوضيحها.

كذلك من دلالة المبالغة التي يحملها التشديد ما جاء به قوله تعالى ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.³

"قرأ الجمهور (يُفصل بينكم) ببناء (يُفصل) للمجهول مخففا، وقرأه عاصم ويعقوب (يُفصل) وقرأه حمزة والكسائي وخلف (يُفصل) مشددا الصاد مكسورة مبني للفاعل مبالغة في الفصل، والفاعل ضمير يعود إلى الله المعلوم من المقام. وقرأه ابن عامر (يُفصل) بضم التحتية

¹ ينظر: الرازي، فخر الدين (ت604هـ)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401هـ/1981م، ص130/23.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص158/12.

³ سورة الممتحنة، الآية 03

وتشديد الصاد مفتوحة مبنياً للنائب من فصلّ المشدّد. فمن شدّد فلأن ذلك أبين في الفعل الكثير المكرّر المتردّد".¹

ومنه كذلك قوله تعالى ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾²، "—(قلّبوا) بالتشديد مضاعف قلب المخفف، والمضاعف للدلالة على قوة الفعل، فيجوز أن يكون من قلب الشيء إذا تأمل باطنه وظاهره ليطلع على دقائق صفاته، فتكون المبالغة راجعة إلى الكمّ أي كثرة التقلب، أي تردّدوا آراءهم وأعملوا المكائد والحيل للإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

"ويجوز أن يكون (قلّبوا) مبالغة في قلب الأمر إذا أخفى ما كان ظاهراً منه، وأبدي ما كان خفياً، كقولهم : قلب له ظهر المجن".³

"ويجوز أن يكون (قلّبوا) من قلب بمعنى فتن وبحث، استعير التقلب للبحث والتفتيش لمشاهدة التفتيش للتقلب في الإحاطة بحال الشيء كقوله تعالى ((فأصبح يقلب كفيه)) فيكون المعنى، أنّهم بحثوا وتجنّسوا للاطلاع على شأن المسلمين وإخبار العدو به.⁴

وفي صيغة (قلّبوا) إيجاء بمدى مكر المنافقين وتربّصهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، واتّخاذهم جميع الوسائل والطرق للنيل والكيد له عليه الصلاة والسلام.

ومن هذا القبيل ماجاء في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

¹ القرطبي، جامع لأحكام القرآن، ص55/18.

² سورة التوبة، الآية 48

³ ينظر: التحرير والتنوير، ص219/10

⁴ نفسه، ص219/10.

وَمَسَجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾،¹ "لفظة (هدمت) من هدمت البناء أى نقضته فانهدم".² وقراءة التشديد من المبالغة، أى المبالغة فى الهدم، أى لهدمت هدمنا ناشئا عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثرا".³ وهذا ديدن الكارهين لأن يعبد الله فى الأرض، إلا أن رحمة رب العالمين أوسع من أن ينال بيوت الله تهدم أو تخريب .

وفى سياق التشديد كذلك جاء قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾،⁴ فـ "المعوق" اسم فاعل من عوق الدال على شدة حصول العوق، يقال: عاقه عن كذا، إذا منعه وثبطه عن الشئ، فالتضعيف فيه للشدة والتكثير، مثل قطع الحبل، إذا قطعه قطعاً كبيرة والمعنى يعلم الله الذين يحرصون على تشييط الناس عن القتال، والخطاب بقوله (منكم) للمناققين الذين حوطبوا بقوله ((لن ينفعكم الفرار))⁵.

ومن الملاحظات الدقيقة للشيخ الطاهر بن عاشور للكلمات التى صبغها التشديد بدلالة معينة، تعليقه على قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

¹ سورة الحج، الآية 40.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص70/12.

³ التحرير والتنوير، ص277/17.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 18.

⁵ التحرير والتنوير، ص294/21.

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^ج وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^{﴿١﴾}،¹ "فالتفسُّح، التوسُّع وهو تفعل من تفسَّح له بفتح السين مخففة إذا أوجد له فسحة في مكان، وفسح المكان من باب كرم إذا صار فسيحا، ومادة التفعُّل هنا للتكلف، أي يكلف أن يجعل فسحة في المكان وذلك بمضايقة الجلَّاس".²

"فالمولى عزو جل لما نهي عباده المؤمنين عمَّا يكون سببا للتباغض والتنافر، أمرهم الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة، وقوله (تفسَّحوا في المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض، من قولهم: افسح عني، أي تنح، ولا تتضاموا، يقال بلدة فسيحة، ومفازة فسيحة، ولك فيه فسحة، أي سعة".³

"فسياق الآية تأديب للمسلمين وتوجيههم لحسن سلوك بما يحقق الأُنس وينشر المحبة بل إن التفسُّح في الآية الكريمة أوسع من المكان، ذلك أن من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسُّح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه، ولذلك قال عليه السلام " لا يزال الله في عون العبد ما زال العبد في عون أخيه المسلم".⁴

فمجيئ الكلمة في العربية على وزن من الأوزان ، إنما يؤتى به لتحديد دلالة معينة ، تفهم من سياق الكلام ومما ضبطه العلماء وأهل المعاجم للأوزان وما تأتي به من معاني، وبهذا تعد الأوزان والصيغ الصرفية رافدا من روافد إظهار الدلالة وتجليها .

¹ سورة المجادلة، الآية 11.

² التحرير والتنوير ، 37/28.

³ الرازي، التفسير الكبير ، ص269/29

⁴ نفسه، ص270/29.

2- دلالة الإدغام:

يُفسَّر الإدغام كظاهرة صوتية، تقوم على زيادة مدة النطق في صامت ما، مع طلب الخفة والسهولة، إذ فيه إخفاء صوت ما وإفناءه في ما يماثله أو ما يقاربه، وهذا المفهوم الصوتي قد يلقي بظلاله في بعض المواضع فيظهر بصورة جليّة واضحة، إذ مما يظهر منه في القرآن المدني، ما جاء في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾¹.

فهذه الآية خطاب للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله، بطريقة العتاب على التباطؤ، بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد، ولا اختلاف بين العلماء في أن الآية نزلت عتاباً على من تخلف عن غزوة تبوك، إذ تخلف عنها قبائل ورجال من المؤمنين، والمنافقون.²

وتنطوي هذه الآية على مفارقة عجيبة تدع في رسم مشهد مؤثر، فوسط النداءات الطويلة المتلاحقة التي تحت المؤمنين على النفير، ترسم صورة شاخصة يبدو فيها هؤلاء وقد ركنوا إلى الأرض وأخلدوا إليها، وقعدوا عن كل همّة، ولم تفلح محاولات الاستنهاض التي بذلت لأجلهم. هذه الصورة يرسمها جرس "أناقلتم" وإيقاعها، إذ يتصور الخيال ذلك الجسم المتثقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط بين أيديهم في ثقل.³

و"أناقلتم": أي تباطأتم وتقاغست، والثقل: تكلف الثقل، أي إظهار أنه ثقل لا يستطيع النهوض. والثقل حالة في الجسم تقتضي شدّة تطلبه للترول إلى أسفل، وعسر انتقاله،

¹ سورة التوبة، الآية 38

² ينظر: التحرير والتنوير، ص 196، 195/10.

³ ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، دط، دت، ص 78.

وهو مستعمل هنا في البطء مجازا مرسلا. وفيه تعريض بأن إبطأهم ليس عن عجز، ولكنّه عن تعلق بالإقامة في بلادهم وأموالهم.¹

ويرى كثير من الباحثين "أن في إدغام التاء من "تناقلتم" مع التاء ليكون منهما معا ثاء مشددة أطول في نطقها مدة من الصوت المفرد وأكثر دلالة على إفراغ الطاقة والركون إلى المكث والتخلف وذلك بإيحاء الصوت".² بل ترى فخريّة غريب قادر "أن كل صوت من أصوات اتناقلتم إلى الأرض يستشف منه دلالة التباطؤ والسكون والإخلاء إلى الأرض أي دلالة التقاعس والتكاسل. فالثناء صوت مهموس رخو يتوقف الوتران الصوتيان عن الحركة عند النطق به، لينخرج ببطء وتراخ دون جهد زائد، وهو بسماته هذه وسكونه يحاكي تباطؤ المتناقل وتوقفه عن الحركة، ثم إن تعلق مقدمة اللسان بالألسان الأمامية وشدة التصاقه بها في أثناء النطق بالثناء، يحاكي تعلق المتناقل وشدة تمسكه بالقعود، ثم إن حبه للقعود يتضاعف ويتمادى بما يشير إليه الألف (الفتحة الطوية) والتضعيف (تشديد التاء)"³، ثم إن الصوت المضعف (المشدد) الذي ينطق بمدة أقصر وبذل مجهود أقل مما لو نطق صوتان متمثالان، يتناغم ورغبة المتناقل في صرف مجهود قليل (أدنى جهد). فالمد يشير أيضا إلى إطالة حالة التباطؤ وتماديها ودوام تلكؤ المتقاعس حتى يصل إلى ذروته، وهذا ما يعبر عنه صوت القاف القصي الانفجاري المهموس، الذي يحمل دلالة السكون من خلال توقف الوترين الصوتيين عن الحراك في أثناء النطق به، ومن خلال كونه صوتا وقفيا .

¹ ينظر: بني دومة ، خالد قاسم ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث إربد ، الأردن ، 2006، ص237 نقلا عن التحرير والتنوير ، 96/10.

² تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2007، ص265.

³ فخريّة غريب قاد ، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة أمودجا ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2011 ، 26.

"ثم إن ما تتضمنه الهيئة النطقية للقاف من ضغط وحبس للهواء وانفجاره ومجيء الفتحة لقصيرة المتسمة بالخفة والحركة اليسيرة بعده، يصور تصويرا حركيا مشهد المتناقل الذي يضغط على نفسه وبقوة كي ينهض، غير أن التصاقه وتمسكه بالراحة والسكون بما يشير إليه صوت اللام الساكن الواقع بعده يجد من حركته، فسرعان ما يقع ويرتد إلى موضعه أو إلى أبعد من موضعه ومكانه السابق، وهذا ما يشير إليه صوت التاء الذي يعد أبعد مخرجا من التاء وتنبثق من وجود التاء بوارد التوقف والسكون، لكونه صوتا وقفيا هامسا، يتوقف الوتران الصوتيان عن الحركة في أثناء خروجه، ومجيئ الضمة القصيرة التي تتسم بالثقل، يظهر ازدياد ثقاقله، وتختتم الكلمة بصوت الميم الساكن الذي تطبق الشفتان حال النطق به، ليعبر عن التوقف الكلي للمتناقل عن الحركة وإطباق حالة السكون، ثم إن حيادية اللسان، وانبساطه وعدم تحركه في داخل الفم في أثناء النطق به يشير إلى الانبساط والسكون والراحة التي ينشدها المتناقل."¹

"من هنا فالقرآن يستثمر هذه الخاصية في اللغة العربية، في رسم صورة المتناقل عن الجهاد، وشدة الروابط الأرضية التي تشده للقعود وعدم الخروج، كما أن الكلمة ترسم هيئة المتناقل والحركة المزدوجة له في القعود عن الجهاد، حتى ينتهي إلى التشبث بالحياة بقسوة وعنق كقوة المقطع الأخير (تم) في كلمة (اثاقلتم). فإيقاع الكلمة يرسم المعنى المراد بكل تفصيلاته هيئة، وحركة، وصوتا، وهذا منتهى التعبير الإيقاعي المعجز."²

ومن دلالة الإدغام ما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^٢ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ^٣ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ^٤﴾،³ والمحادّة: المشاقفة والمعاداة، وقد أوتر هذا الفعل عنا لوقوع الكلام عقب ذكر حدود الله، فإن المحادّة

¹ نفسه ، ص 27.

² البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني ، ص 09.

³ سورة المحادّة، الآية 05.

مشتقة من الحدّ لأن كل واحد من المتعادين، كأنه في حدّ مخالف لحد الآخر مثل ما قيل أن العداوة مشتقة من عدوة الوادي، لأن كلاً من المتعادين يشبه من هو من الآخر في عدوة أخرى.¹

" والمحادّة : المخالفة، فكأنه الممانعة"². "والحاء والدال أصلان: الأوّل المنع، والثاني طرف الشيء، فالحدّ : الحاجز بين الشيئين، وفلان محدود، إذا كان ممنوعاً."³

وقد وردت هذه الصيغة بفك الإدغام في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن مُّحَادِدِ اللَّهِ

وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾⁴.

"لقد تكرر في النص الكريم، صوت الدال ثلاث مرّات، وهو صوت انفجاري (شديد) يتّسم بالقوة، ويولد وروده وتكراره في سياق الآية، جرساً وإيقاعاً قوياً شديداً موثماً مع موقف إظهار السخط والعذاب الإلهي لمن يبادر الله سبحانه وتعالى بالمحادّة والحرب."⁵

"ويمكن القول إن الصورة الصّوتية الأولى لفعل المحادّة (مدغماً) تناسب الصورة الطبيعية الأولى للمحادّة التي تتخذ من المساترة وسيلة لها، وذلك من حيث أن الإدغام - كما أشرت - ينطوي في حقيقته على إخفاء صوت عن طريق دمج - أو إدغامه - في صوت آخر من جنسه، وهذا يتّسق مع مبدأ المساترة الذي تتبناه المحادّة الأولى."⁶

¹ التحرير والتنوير، ص23/28.

² ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 04/02.

³ نفسه، ص03/02.

⁴ سورة التوبة، الآية 63 .

⁵ فخرية غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، ص60.

⁶ خالد بن دومة، دلالات الظاهرة الصّوتية في القرآن الكريم، ص176.

"كما أن الصورة الصوتية الثانية لفاعل المحادّة (مفكوكا) تناسب الصورة الطبيعية الثانية للمحادّة التي تتخذ من المجاهرة وسيلة لها، وذلك من حيث إن فك الإدغام يتمثل في إظهار صوت بعد أن كان مدغما في صوت آخر من جنسه، وهذا ما يتسق مع مبدأ المجاهرة الذي تعتمده المحادّة الثانية".¹

وفي سياق الإدغام ودلالته كذلك، جاء تكرار الباء في كلمة (تحبون)، (يحببكم)، في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾²، والملاحظ أن تكرار الباء في الموضع الأول قد جاء مع الإدغام عن طريق التشديد مما أضفى على الكلمة نوعا من الإجلال والوقار يزيد محبة العباد لربهم فهي ليست كمحبة الأزواج والأولاد، أما في محبة الله تعالى لعباده التي جاءت على سبيل الجائزة والمكافئة لمحبتهم إياه، فقد جاء التكرار بفك الإدغام في الصوت المشدّد مناسبا، لمضاعفته سبحانه تلك المحبة عليهم، كما أن لهذا الفك للإدغام معنى آخر نستطيع أن نستشفه من الآية وهو أن في لفظ (يحببكم) بفك الإدغام من الرقة ما ليس في اللفظ المدغم، فالناطق بالكلمة بهذه الطريقة يستشعر - والله المثل الأعلى - في اللفظ تدليلا وتنغيمًا للمخاطبين، كما يوحي تكرار الباء الشفهية ذات المخرج القريب بزيادة تقريبه سبحانه إياهم ومضاعفة المحبة لهم إزاء محبته إياه.³

ومنه في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ

¹ نفسه ، الصفحة نفسها .

² سورة آل عمران، الآية 31.

³ ينظر: الإعجاز الصوتي، ص 107، 108.

اللَّهِ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١﴾. "بالتماثل والإدغام تقرأ: (خيرا لكم، رحمة للذين) لتوحي بأن خيرية سماع النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة لا تدخل عليكم سوى بالخير، يستر عيوبكم ويخفيها ويتغاضى عنها، ولا يفضحكم رحمة بكم، ثم إن عدم وجود الغنة فيها يوحي بحتمية هذه الحقيقة، وسرعة لحاق الخير المنبعثة من ذات النبي صلى الله عليه وسلم بالناس وبالمؤمنين، وأنها حقيقة محجوبة (مستورة عن إدراكهم وبصائرهم)".²

ومنه فى قوله تعالى ﴿لَوْ تَجَدُّونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ تَجْمَحُونَ﴾.³ تأثر تاء الافتعال بالبدال فقلب دالا، ثم أدغم فيه، ليصبح (مدخلا) وهو نطق اليربوع أو المسلك الضيق المستتر الذي يحتاج الدخول إليه جهدا ومشقة. وورود هذه اللفظة بهياتها معبرة معضدة لبنيتها الدلالية ومصورة لها لاسيما فى سياقها، وذلك من عدة أوجه:

- يحتاج نطق لفظة (مدخل) إلى جهد كبير نتيجة توالي المشدات، وكذا يحتاج الدخول إلى المسلك الضيق إلى جهد ومشقة.
- يوحي إدغام التاء فى الدال برغبة الداخل فى الاستتار والتخفى بأقصى سرعة ممكنة، وهذا ما يحققه التماثل (الإدغام) الذى هو فى جوهره إدخال صوت فى صوت آخر ودججه وإخفاؤه فى، كما يُغيب الإدغام التمهّل والتريث الموجودين فى (متدخلا) وذلك أن (مدخلا) يستغرق نطقها زمنا أقصر من زمن (متدخلا).⁴

¹ سورة التوبة، الآية 61.

² تجليات الدلالة الإيحائية، ص 77.

³ سورة التوبة، الآية 57.

⁴ نفسه، ص 98.

كذلك مما ورد في الذكر الحكيم، صيغة (يشاق) بالإدغام و(يشاقق) بالفك وذلك في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾¹، وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ^ط جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾². وفي قوله عز وجل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ج وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³

ويذهب البقاعي في بيان موجب الإدغام وفكه، مذهبا أظهر فيه استطاعته على تلمس الدلالة الصوتية الدقيقة للإدغام وفك الادغام، وربط ذلك بسياق الحال، وخلاصة رأيه في الآيات الثلاث :

1- ترك الإدغام على حاله في آية (الحشر)، لأن اليهود ما أظهروا معادة، وإنما كان ما فعلوا مكرًا ومساترة، ولم يعد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، تفخيما له بإفهام أن مشاققته مشاققة لله، وإشارة إلى أنهم بالغوا في إخفاء مشاققتهم، فلم يظهر عليها غير الله، فلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يمكر بهم، وإنما جاهرهم حين أعلمه الله بمكرهم، بخلاف ما هو في الأنفال.⁴

¹ سورة الحشر ، الآية 04.

² سورة النساء ، الآية 115.

³ سورة الأنفال ، الآية 13.

⁴ ينظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م، ص 515/07.

2- إن المقام فى (الأنفال) اقتضى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم مكروا به، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾¹

"وهو - صلى الله عليه وسلم - أخفى أمر هجرته وأعمل الحيلة فى الخلاص من مكربهم، على حسب ما أمره الله به فحصلت المفاعلة".² "وأظهر الإدغام فى المضارع لأن القصة للعرب، وأمرهم فى عدواتهم كان بعد الهجرة شديدا ومجاهرة، واختاروا أن يكونوا بمخالفة الأوامر والنواهي فى شق غير الشق الذى فيه حزب الهدى فى مكر منهم وخداع، وشاقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإشهار السيف جهرا، فناسب ذلك فك الإدغام".³

3- "أظهر القاف فى آية النساء - أى فك الإدغام- إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، ولأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون، وقد جاهر سارق الدرعين الذى كان سبب لتزول الآية فى آخر قصته".⁴

كذلك ورد لفظ "يرتد" بالإدغام مرة واحدة، فى قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

¹ سورة الأنفال، الآية 30.

² البقاعى، نظم الدرر، ص 515/07

³ نفسه، ص 194/3

⁴ نفسه، ص 318/2.

يَشَاءُ^ج وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾،^١ وورد لفظ "يرتد" بالفك مرة واحدة أيضا، وذلك فى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٢

"فالارتداد فى الدين يتخذ طريقين : الأولى طريق السرية والخفاء، ويناسبها الإدغام لأنه فى حقيقته إخفاء للصوت، والثانية طريق المجاهرة والإظهار، ويناسبها الفك لأنه فى حقيقته إظهار للصوت."^٣

كذلك من المتقابلات التى ذكرها خالد بن دومة للإدغام وفكه، ما جاء فى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^٤، وفى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ ...﴾^٥

"فالتقابل حاصل بين (المصدقين)، و(المتصدقين)، ويمكن القول أن لصيغة (المصدقين) فى آية الحديد دلالتين، الأولى: الإكثار من الصدقة، والثانية إخفاء الصدقة والسرية فيها وربما تحمل دلالة ثالثة تتمثل فى لصوق هذه الصفة بهم حتى صاروا يعرفون بها"^٦. "كما أن صيغة

^١ سورة المائدة، الآية 54.

^٢ سورة البقرة، من الآية 217.

^٣ دلالات الظاهرة الصوتية، ص 178.

^٤ سورة الحديد، الآية 18.

^٥ سورة الأحزاب، الآية 35.

^٦ دلالات الظاهرة الصوتية، 187.

(المتصدّقين) فى آيتى "الأحزاب" و"يوسف" لها دلالتان: الأولى الإطلاق، أى أن الله عز وجل يجزى المتصدّقين مطلقا على اختلاف درجات تصدّقهم، وعلى تعدد حالاتها، والثانية التكلّف، أى حمل النفس على التصدق.¹

ويقول البقاعى فى موجب الإبدال والإدغام فى آية الحديد، ما نصّه " ولعلّه أدغم إشارة إلى إخفاء الإكثار من الصدقة حتّى تصير ظاهرة. "² "وعن موجب ترك الإبدال فى سورة الأحزاب يقول "والمصدّقين : أى المنفقين أموالهم فى رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم، بما أشار إليه إظهار التاء فرضا وتطوعا سرّاً وعلانية ، وبما أشار إليه الإظهار أيضا تصديقا لخشوعهم".³

وللفارسي تعليل آخر للتخفيف والتشديد فى صيغة (المتصدّقين) من سورة الحديد، يقول " وحجة من قال: (المصدّقين) فخفف، أنه أعم من (المصدّقين)، ألا ترى أن (المصدّقين) مقصور على الصّد ، و(المصدّقين) تعم التصديق والصدقة، لأن الصدقة من الإيمان فهو أذهب فى باب المدح.⁴

كذلك من المعاني المستوحاة من ورود التراكيب والصيغ وفق ظاهرة الإدغام، ما علّلت به فخرية قادر الإدغام فى قوله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾⁵ "أصل (المطهر) هو (المتطهر)، ونلاحظ أن اللفظة متمكنة فى موقعها وتدل وفق مبدأ المساترة

¹ نفسه، ص 188.

² ينظر: نظم الدرر، ص 450/7.

³ نفسه، ص 105/6.

⁴ الفارسي، الحجة، ص 275.

⁵ سورة التوبة، الآية 108.

والخفاء (إحدى آليات الإدغام) على حرص المؤمنين (الصحابة) على تطهير بواطنهم وتخليصها من الشرك، فمن طهارة القلب تنبثق طهارة البدن، لذا ابتعدوا عن الرياء وحب الإعلان والظهور، ثم أن التشديد يوحى بمضاعفة جهدهم لأجل الحفاظ على سلامة القلب (قلوبهم) من الرياء ومن درن الشرك والنفاق.¹

وهكذا إذن نجد معاني المساترة والخفاء يوحى بها الإدغام، وللمجاهرة والإعلان فك الإدغام، كما أن طول زمن نطق الصامت حال إدغامه، توحى بطول مدة الحالة النفسية أو المعنى الذي تُعبر عنه الكلمة.

على أن هذه التأويلات تبقى اجتهادات للباحثين ولمن سبقهم من علماء الذكر الحكيم، وهي إن دلت على شيء فإنها تدل على الإعجاز الصوتي في كتاب الله عز وجل .

ثالثاً: دلالة الظواهر ما فوق التشكيلية:

1- دلالة المقطع :

يتميز النسيج المقطعي للغة العربية، أنه يسير وفق توزيع يحقق موسيقية اللغة العربية، وهو يتخذ أشكال عدة تتوزع ما بين الوزن الشعري، وعناصر إيقاعية مصاحبة للكلام، وما بين التوازن، الظاهر بشكل بارز في النص القرآن، وعلى أساس نظام المقاطع، تحدث العلماء عما أسموه الإيقاع الشعري والإيقاع المتوازن للقرآن .

فالإيقاع - كما تم تناوله أنفا - ظاهرة صوتية أعم في الوزن في الكلام المنظوم (وغير المنظوم) وهو وقف على المادة الصوتية لا يتعدها وفي ذلك ما يفسر غياب مصطلح الإيقاع من علم العروض ونيابة مصطلح الوزن عنه في الدلالة على موسيقى الشعر فيه.²

¹ تجليات الدلالة الإيحائية، ص 99.

² ينظر: الطرابلسي محمد الهادي، في مفهوم الإيقاع، ص 12، 13، نقلاً عن: القضايا التطريزية، ص 127/2.

فمفهوم الإيقاع وإن كان قد التبس - فعلا- بمفهوم الوزن حتى غلب على أذهان الكثيرين أن هذا هو ذاك بعينه، وأن مصطلحي الإيقاع والوزن مترادفان. فإن ذلك بالصلة الحميمة بينهما وهي صلة الأصل بالفرع والكل بالجزء. ومما يفسر ذلك أيضا أن للوزن حضورا دائما في الشعر القديم وشاملا لأطراف النص، أما الإيقاع فحضوره عرضي غير مقيد ولا مشروط. فكانت النتيجة أن استأثر الوزن باهتمام علماء العروض ونقاد الشعر فقل اهتمامهم بغير الوزن من ظواهر الكلام الإيقاعية بل صرفت أنظارهم أيضا من ملاحظة الإيقاع الذي يكون في بعض النثر.¹

والإيقاع كما يشمل الوزن فإنه يشمل عناصر أخرى نحو حسن توزيع المقاطع في الكلام، وأحسن ما يظهر فيه الإيقاع بهذه الصورة، كلام الله عز وجل، لاسيما السور المكية منه، ذات الآيات القصار المتساوية في التكوين، "وأقرأ معي هذه الآيات الكريمة ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾² لتجد أن تساوي التكوين في الآيات قد أبرز عنصر الإيقاع إبرازا مدهشا وهو أمر أساسي في بناء القرآن المكي في الغالب، ولا يعني هذا أن الوحي المدني خلو من الإيقاع، إذ لا يتصور كلام بدون إيقاع، ولكن الإيقاع يتحقق في السور المدنية بشكل ضمني يدركه من يتأمل تقسيم الجمل، وتمام المعاني، وكمال الوقوف، في الآيات الطوال، ولولا ذلك ما صلح القرآن لأداء الأصوات الجميلة، ولما استطاع كبار القراء أن يتغنوا بآياته طبقا للألحان الموسيقية التي يتقنون أداءها"³.

¹ نفسه، ص 16-17، نقلا عن: القضايا النظرية، ص 127/2.

² سورة الرحمن الآيات 1-6.

³ ينظر: مالميرج برتيل، علم الأصوات، ص 99.

ثم إن النسيج المقطعي قد يتدخل في رسم دلالة ما، وقد يعكس جواً نفسياً معيناً، فالباعث على إيقاع ما يكون مرتبطاً بنوعية المقاطع وكيفية توزيعها، بحيث يكون الإيقاع بطيئاً أو سريعاً بحسب التجربة والمغزى والجو.¹

وعلى هذا الأساس أصبحت الدراسات الصوتية الحديثة تولي عناية بالمقاطع وأشكالها وترتيبها خاصة في القرآن الكريم، إذ أصبح مُقرراً، أن طول المقاطع وقصرها مرتبطان بالانفعالات والمضامين المختلفة، كما تكشف خارطة التشكيل المقطعي الذي تحويه الآيات إلى جانب الدلالات الخفية، ومدى انسجامها مع الإيحاءات التي تبعثها (النص) أي القرآن الكريم. بل إن الحالة النفسية هي التي تتحكم في نطق الكلمات ذات المقاطع، بحيث يوجد هناك تناسب طردي بين السكينة وزيادة المقاطع، فكلما كانت النفس هادئة كثر استخدام الكلمات ذات المقاطع الكثيرة، وكلما كانت النفس مضطربة قل استخدامها، وهكذا حسب درجة الانفعال.²

"وعن الشعر فقد درس ابراهيم أنيس أغراض الشعر، وحاول الربط بين الغرض الشعري والوزن العروضي المبني على المقاطع، وخرج من ذلك مطمئناً بأن الشاعر في حالة يأسه وجزعه يفضل وزناً طويلاً كثير المقاطع ليعبر به عما يجيش في نفسه من حزن وجزع، أما إذا نظم شعره وقت المصيبة فإنه يتأثر بالانفعال النفسي الذي يتطلب بحراً قصيراً يلائم زيادة نبضات قلبه، في حين أن شعر الحماسة والفخر الذي يتطلب بحراً قصيراً يلائم زيادة نبضات قلبه، والذي يتطلب ثوران النفس لكرامتها وانفعالها، يغلب على ناظمه استعمال البحور القصيرة أو المتوسطة، إلا أن طابع التأني والرزانة كان يغلب على حماسة الجاهليين، لذلك جاءت قصائدهم طويلة ذات أوزان كثيرة المقاطع.³ "أما بالنسبة للمدح فمن المعلوم أنه غرض بعيد عن الانفعال

¹ شادي محمد ابراهيم ، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1409هـ/1998م ، ص55.

² رجب، ابراهيم مصطفى ابراهيم ، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح، دراسة تاريخية وصفية تحليلية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة، ص50 .

³ نفسه، ص46.

النفسي والاضطراب، لذلك جاءت قصائده طويلة وبحوره كثيرة المقاطع، وهذا ما ينطبق على الوصف أيضا.¹

ثم إن مجيئ هذه المقاطع الصوتية في الكلمات وتواليها على نسق معين، ذو أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية المنبعثة من إيقاع المقاطع ونغمها ويزداد التعبير قدرة على التأثير عندما تتناسب نغمات المقاطع وإيقاعاتها مع الأفكار التي تعبر عنها وتصورها، فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمنا أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة وتلائم مواقف الحزم والجزم والقوة أكثر من المقاطع المفتوحة ولذلك كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لونا من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة، وكذلك فإن المقاطع المفتوحة تناسب لونا آخر من التعبير لا يتأتى مع المقاطع المقفلة.²

فهذه بعض تنظيرات الدارسين، حول قدرة المقطع على توجيه الدلالة، وتطبيق ذلك في نماذج من القرآن الكريم في شقه المدني هو كمايلي :

❖ المقطع (ص م) :

"من خصائص هذا المقطع، وضوحه وبساطة تكوينه، بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة والمثيرة للانتباه، لبنائه على صورة واحدة صامت + صائت.³

ففي قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبَّكُمْ^ج إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ

﴿⁴ تنوزع مقاطع الآية كالتالي : 413311231131331321324112

¹ موسيقى الشعر، ص181.

² ينظر : البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، ص 18، وينظر: التحليل الصوتي للنص، ص66.

³ عبد الجليل، عبد القادر، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة)، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص30.

⁴ سورة الفتح، الآية 01.

حيث يبرز في الآية الكريمة المقطع القصير (ص م) محتلا المرتبة الأولى ، عاكسا خفة حركة الزلزلة، وحالة الانفعال النفسي، " فالزلزلة شدة حركة الشيء، فكأن السّاعة هي تزلزل الأشياء على طريقة المجاز الحكمي.¹ " فقد أمر الله النَّاسَ بالتَّقوى، ثم علَّل وجوبها عليهم بذكر السّاعة ووصفها بأهول صفة، والمعنى أن التقوى تقتضي دفع مثل هذا الضّرر العظيم عن النفس، ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب، فيلزم أن تكون التقوى واجبة.² "

وبمثل هذه الحركة القصيرة، وبصياغة الكلمات صياغة يكثر فيها المقطع القصير جاء التعبير القرآني عن الدهشة ورد الفعل السريع والمفاجئ، الذي يبديه الناس من أهوال يوم القيامة، ممثلا بأشد الفئات حرصا على ما في يدها، ألا وهي الأمهات حوامل ومرضعات، يقول عز وجل

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٣﴾

"فمعنى (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) ، أي تذهلها الزلزلة، والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ... وقيل المرضع ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه، لما يلحقها من الدهشة.⁴"

وفي دراسة شاملة للمقطع في سورة البقرة، توصل صاحبها إلى ربط بين النسيج المقطعي والدلالة، ومفسراً شيوع المقطع القصير (ص م) بقوله: "إن طول السورة (سورة البقرة) وطول آياتها، بل وجود التشريع والأحكام التي غلبت عليها جعلها تتطلب مقطعا قصيرا (ص م) رشيقا

¹ الرازي ، فخر الدين محمد ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر ، لبنان ، ط1401، 1/1981م، ص23/03.

² نفسه ، ص23/4.

³ سورة الحج، الآية 02 .

⁴ التفسير الكبير، ط دار الفكر، ص05/23.

خفيف ليزيل بذلك الملل والسأم عن القارئ والمستمع للسورة ويخفف من حدة الطول بقصر المقطع، وبالتالي لا يشعر القارئ أو المستمع بهذا الطول.¹

"إن خفة ورشاقة هذا المقطع وسرعة حركته، وتمتعه بجرية الانتقال من مكان لآخر في الكلام العربي واللفظ القرآني بشكل خاص، جعله المحرك الأساسي لضبط الإيقاع الصوتي من خلال هذه الحرية بتكراره على مدار آيات السورة وكلماتها جميعها على الرغم من كون الآيات تنتقل من نقطة إلى أخرى بحركة سريعة خفيفة، وبالتالي فإنه كان ينتقل معها بنفس السرعة والخفة التي يتمتع بها هذا المقطع، لذا فإن السمات والخصائص الصوتية هذه أهلتها ليكون المقطع الأساسي والرابط الصوتي القادر على ضبط الإيقاع الموسيقي من بداية السورة إلى نهايتها".²

فسورة البقرة المدنية التزول وقد اختصت بالأحكام والتشريعات المجتمعية والأسرية إذ قد بنيت على المقطع القصير (ص م)، من بداية السورة حتى نهايتها حيث لا تخلو آية من هذا المقطع، فقد بلغت نسبة ورود هذا المقطع 41.67٪ وأن 70٪ من آيات السورة بنيت على المقطع القصير (ص م)، ولعل الحكمة وراء استخدام المقطع القصير هو:

ت- "أن طول السورة تطلب مقطعا قصيرا لإزالة الملل والسامة عن نفس المتلقي والسامع. أما بالنسبة للقارئ فكان لبناء السورة على المقطع القصير دور في إراحة النفس من النطق بسبب طول السورة، فلو واصل المقرئ قراءته وكانت المقاطع طويلة فإن هذا الطول لا يمكن معه مواصلة النفس بالقراءة ثم إن رشاقة وقصر المقطع، أكسبت السورة إيقاعا موسيقيا رائعا كان له الدور الأكبر في وحدة السورة صوتيا."³

¹ المقطع في سورة البقرة ، ص 86.

² نفسه، ص 86 .

³ المقطع في سورة البقرة ، ص 98.

❖ المقطع (ص م-):¹

يكثُر تواجدُه حيث تكثُر المدود، مما يسمح برحابة المكان واتساع المساحة كنعو الدعاء فى قوله تعالى: ومقاطعها كالتالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾²

1 3 1 1 2 1 1 1 1 2 1 3 2 1 1 1 1 1 1 2 1 5 1 2 2 1 1 1 2 1 3
. 4 2 3 1 3 2 1

حيث ورد المقطع (ص م-) عشر مرات من مجموع تسع وثلاثين مقطعا تتشكل منه الآية، وهى نسبة كبيرة مقارنة بالمدى المعتاد لتواتر هذا المقطع فى الكلام العربى عموما وفى القرآن الكريم على وجه الخصوص، فوظيفته قد انحصرت فى وجوده فى الكلمات الزيدة، أو فى الصيغ الاشتقاقية أو فى كلمة حدث فيها إعلان، فدوره يكمن فى زيادة معنى على المعنى الأصلي للكلمة .

ويسيطر هذا النوع من المقاطع على النسيج المقطعي فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾³

2 1 3 2 2 1 2 3 1 2 1 2 1 2 1 3 3 2 1 3 2 2 3 2 3 3 1 3 1 2 2 1
. 4 1 2 3 3 3 1 2 3 3 2 1 2 3 3 3 1

¹ البناء التشكيلى لسورة آل عمران وأثره فى الدلالة، ص 208، 207.

² سورة آل عمران ، الآية 194 .

³ سورة آل عمران ، الآية 147.

ويصل تواتر المقطع من نوع (ص م-) إلى سبع عشر (17) مرّة، وهو لطوله ورحابته يعكس بطءاً فى الحديث، وتمهّلاً عند دُعاءٍ فيه الكثير من الخشية والأمل .

فما كان من المقاطع فيه مدُّ فدلالة على قبيله فى المعنى وهو الطول فى الغرض الذى جيء بالآية والفاصلة له، وهو المتوافر فى المقطع الثانى والرابع والسادس، إحداها أرفع درجة من الآخر، حسب طول الصّائت الممتول .

❖ المقطع (ص م ص):

ويؤتى به للدلالة على الانقطاع والتقطع ، قال تعالى ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾¹، فهذه الآية دعوة صريحة للانقطاع، وهى من باب الزواج، والمعنى يعظكم الله بهذه المواضع الّتي بما تعرفون عظم هذا الذنب، وأن فيه الحدّ والتّكال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، لكى لا تعودوا إلى مثل هذا العمل أبدا ما داموا أحياء مكلفين². ويحتل المقطع (ص م ص) المرتبة الثانية بتعداد يصل إلى 08 مرات ، وهو من ناحية بناءه يحمل وقفة بعد حركة وتقطع بعد امتداد، فإذا ما ظهر وجوده بشكل بارز، أعان على أداء معنى الانقطاع والتوقف الّذى تضمنته الآية القرآنية .

❖ المقطع : (ص م - ص) :

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ص وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾³

¹ سورة النور، الآية 17.

² التفسير الكبير، ط دار الفكر، ص 182/23.

³ سورة الحجرات، الآية 01 .

413211213124131121112411321312212121432

فهذا المقطع على قلة استعماله، ظهر بصورة بارزة فى هذه الآية الكريمة، وهو يعين على الدلالة على التوقف والانقطاع عن فعل ما، والآية الكريمة، نداء للمؤمنين من أجل التوقف عن فعل كان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم.

وعموماً فإن هذا النوع من المقاطع إضافة إلى النوع الخامس والأخير (ص م ص ص)، وجودهما يرتكز فى الفواصل القرآنية وبعض مواضع الوقف ولعل تفسير ذلك، أنهما: يمنحان المستمع أو القارئ فسحة من الوقت للراحة والتأني والتدبر فى نهاية الآية وذلك يهيئه لاستئناف القراءة أو الاستماع من جديد بنشاط وحيوية. "فالوقف على المقطع الطويل المغلق (ص م ص)، والمقطع المزدوج الإغلاق (ص م ص ص) يساهم فى خلق جو من الهدوء النفسى كى يبدأ من جديد رحلته مع الآية التالية"¹.

2- دلالة النَّبَر:

يقسم الدارسون النبر من حيث تأثيره فى المعنى إلى شكلين، نبر حر ونبر ثابت، ويعنون بالنبر الحر ما أمكن تغيير معنى الكلمة أو الشكل عن طريق تغيير موضعه. وفى هذه الحالة إذن يؤدي موضع النبر دوراً لسانياً ويكون ظاهرة مميزة ناقلة للمعنى. واللغة الإنجليزية هي مثال جيد للغة ذات النبر الحر، فإذا نطقنا كلمة import، نبر زفيرى expiratory على المقطع الأول، فهي تكون اسماً (وتعني استيراد).

إن النبر فى الكلمة يلعب دوراً تمييزياً فى بعض اللغات، فيفرق بين الصيغ أو المعاني فيها، بحيث لا يفهم المراد إلا بوجوده، ومن هذا الصنف اللغات الهندوأوروبية القديمة، ففيها تميز

¹ المقطع فى سورة البقرة، ص 99.

النبرة بين الصيغ النحوية، أو بين الكلمات وذلك بحسب وقوعها منها أو بحسب جنسها، ولذلك عالج نحاة هنود ويونانيون ولاتينيون، مسألة نبرة الكلمة الموسيقية وتحدد مكانها.¹

ومن اللغات التي تظهر فيها الوظيفة الدلالية للنبر بصورة أساسية اللغة الصينية التي تستعمل الكلمة الواحدة في معاني مختلفة بطريق تغيير مكان النبر و درجاته،² "فناطق الكلمة لا يكون صحيحا إلا إذا روعي فيه موضع النبر، فالفرنسي حين ينطق بالإنجليزية يضغط على المقاطع الأخيرة من الكلمات متأثرا بعاداته اللغوية فتتفر الأذن الإنجليزية من نطقه الذي تشوبه لهجة أجنبية تؤدي إلى اضطراب في الفهم."³

وفيما يتعلق باللغة العربية يرى فريق من الباحثين أن اللغة العربية لا تنتمي إلى اللغات ذات النبر الحر، بل تصنف اللغة العربية في إطار اللغات ذات النبر الثابت. وذلك لعدم قيام النبر في هذا الصنف من اللغات بالوظيفة التمييزية. يقول مختار عمر "ومعظم أمثلة النبر في اللغة العربية تخضع لقاعدة تثبت مكانه في المقطع المعين من الكلمة".⁴ ومن هنا يرى معظم الباحثين أن لاعلاقة بين النبر ومعاني الكلمات العربية.

على أن النبر في العربية، قد يسهم بطريقة ما في تحديد الدلالة، وذلك ضمن ما أسموه بالوظيفة الدلالية للنبر واصطلحوا عليه، بنبر الجمل أو النبر السياقي، وعنوا به أن يعتمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد في نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص؛⁵ "إنه مرتبط بالأداء والمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع، فإذا قلنا مثلا: نجح محمد في الامتحان، فإن الغرض من الجملة يختلف باختلاف الكلمة التي ينبرها

¹ ينظر: هلال عبد الغفار حامد، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، ط1996، 3، ص217.

² كمال بشر، علم اللغة (الأصوات)، ص163.

³ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص171.

⁴ مختار عمر، أحمد، دراسة الصوت اللغوي، ص357.

⁵ ينظر: حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، ص170.

المتكلم، فإذا كان التركيز على الفعل (نبح)، فالمراد التأكيد على الحدث، حدث النجاح، وليس غيره وإذا كان التركيز على اسم (محمد)، فالمراد التأكيد على أن محمد نبح و ليس خالدا أو غيره.¹

"وفي اللهجات يظهر هذا النوع من الاختلاف بوضوح، ففي جملة (محمد إجه) إذا كان النبر على المقطع الأخير من الكلمة الثانية، كانت تعني الاستفهام عن مجيء محمد، وإن كان النبر على مقاطع الكلمة الأولى، فيعني إثبات مجيء محمد.²

فنبر الجملة أو المركب - في اصطلاح آخر - يسهم في إبراز كلمة معينة فتشكل البؤرة، وهي التي تتضمن المقطع البارز إيقاعيا الذي يقترن به نبر العلو الموسيقي فتأكد أهميتها عند المتلقي، وهذا البروز لا تتحكم فيه قواعد النبر بمفردها بل تتحكم فيه البنية التنغيمية بعامة، ونبر الجملة ويمكن تسميته أيضا نبر العلو الموسيقي بخاصة ... ويسمى أحيانا بالنبر التأكيدي.

ومن الأمثلة القرآنية التي ذكرها بعض الباحثين، والتي يمكن بها لنبر الجملة أو تحديدا لنبر العلو الموسيقي أن يحدد البؤرة أي الخبر الجديد والهام في الجملة ويحدد مصدر اختلاف تأويل بعض الآيات، ما جاءت به القراءات الصحيحة و الشاذة لقوله تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾³:

أ - ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ (وقد تمّ تمديد فتحة المقطع (نـ) فصارت ألفا لأن

تمثل نواة المقطع الحامل لنبر العلو الموسيقي ، فصارت بؤرة بحسب هذه القراءة الشاذة) .

¹ عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص51.

² سامي عبد الحميد، تربية الصوت و فن الإلقاء، مطبعة الأديب البغدادية 1974، ص56.

³ سورة هود ، الآية 42 .

في هذه الحالات الملبسة من التمييز بين المفرد والمثنى والجمع وذلك بتحويل موقع النبر في المفرد إلى موقع جديد في المثنى والجمع".¹

"إنَّ النبر ينفث الحياة في هيكل الأصوات العظمي أو على حد تعبير مجازي لقدامى النحاة، النبر (روح) الكلمة، فهو الذي يعطي للكلمة طابعها وشخصيتها، سواء أكان نبر علو أم نبر شدة، ولكن النبر مع كل هذا لا يكفي لتحديد الكلمة."²

إذ على الرغم من ذلك يبقى النبر في العربية من النوع غير التمييزي، أي لا تأثير له في المعنى، "فمن الواضح أن اللغة العربية الفصحى، لا تعتمد على النبر في تصنيفها الصرّفي، فلا علاقة بين النبر ومعاني الكلمات"³، "وأنه وإن كان يسهّل على السامع تمييزه، فإنه يصعب في الوقت نفسه على الدارس تحديده وتقعيده، وهو أمر عانى منه الأصواتيون المحدثون من العرب وغيرهم"⁴ حتى قال أحدهم وهو يناقش قضية النبر والتنغيم في اللغات: "ومن الأسلم ألا يحاول المرء وضع قانون صارم، يُحدد طريقة النطق."⁵

3- دلالة التّنعيم :

يرى أندري وظيفة أن للتنغيم وظائف يقوم بها ، منها :

1- "وظيفة أدائية بما يتم نطق الجملة في اللغة حسب نظم الأداء فيها وحسب ما يقتضيه العرف عند أهل اللغة .

¹ ينظر: القضايا التطريزية ، ص74/2 .

² ينظر: فندريس ، اللغة ، ص87 .

³ دراسات في اللسانيات العربية ، ص50 .

⁴ غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص241 .

⁵ ماريوباي، أسس علم اللغة، ص95 .

2- وظيفة دلالية بها يتم معرفة المعاني المختلفة، وعلى رغم من أن هاتين وظيفتان مختلفتان إلا أنه لا يمكن أن تفصل الوظيفة الأدائية عن الدلالية، فهما متلازمتان ومتكاملتان. لذا فإن إيجاد قواعد عامة توضح التنغيم، وأهمية ما يسمى بدرجة الصوت (pitch) وتتبعها إنما هو على سبيل المقاربة. فالتنغيم- في رأيه - مجموعة معقدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية، وتتابع مطرد للسكنات والحركات، التي بها يحدث الكلام وتتميز دلالاته".¹

"ذلك أن من مظاهر التنغيم أنه يزيل اللبس عن معنى الجملة وبه يدرك الفرق بين المعاني، وهذا يتأتى بإتقان مجموعة طرق الأداء في النطق والتي تتمثل في النبر، والوقف، والسكت والإيقاع، ووصل الكلام، واختلاس بعض الأصوات والاستغناء عن بعضها ومد بعضها لتكون واضحة. هذه الأمور هي علامات بارزة وهي ما يكون التنغيم. فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتاب، أو الاستحاثات، أو لفت النظر، أو الامتعاض إلى غير ذلك".²

"لذا فنغمات الكلام دائما في تغير من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية إلى أخرى. وللنغمات مدى من حيث الارتفاع والانخفاض تحسه الأذن المدربة".³

ثم إن النغمات المختلفة تأتي مصحوبة بسمات صوتية أخرى، كالنبر القوي لبعض المقاطع وتطويل الحركات، مع بعض الحركات أو الإشارات الجسمية أيضا، كرفع اليد أو الحاجب، أو هز الكتف، أو الابتسام أو تقطيب الوجه، أو رفع الصوت أو خفضه... الخ، وكلها مع أنماط التنغيم المختلفة تقود إلى الاختلاف أو التباين في المعنى السياقي contextual meaning.⁴

¹ دلالة التنغيم في اللغة العربية، ص 06.

² نفسه، ص 09.

³ الغامدي منصور، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1421هـ/2001م، ص 533.

⁴ ينظر الغامدي، منصور، الصوتيات العربية، ص 540.

يقول ابن سينا "ومن أحوال النغم : النبرات، وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية، يبدأ بها تارة، وتخلل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تكثر في الكلام، وربما تقلل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصور ولتفخيم الكلام وربما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافه ، مثل أن النبر قد يجعل الخبر استفهاما، والاستفهام تعجبا وغير ذلك."¹

"فالكلمة الواحدة أو الجملة قد تُقام بنغمات متعدّدة، فيتغيّر معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والتقرير لمعان مثل الفرح والحزن والشك والتأنيب، والإعراض والتحقيق، حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة"².

وقد لاحظ أسلافنا أن الأسلوب الواحد يخرج إلى معان متعددة ودلالات مختلفة، ولا شك أن التنعيم هو العامل الوحيد المتحكم في هذا التنوع الدلالي، مع ما يرافقه من ملامح تطريزية أخرى أو ملامح اللسانيات الخارجية، أي ما سماه القدماء القرائن الحالية .

"كما أن التنعيم في الجملة العربية يوازي، من حيث الدلالة، عبارات بأكملها من قبيل استمهال المتكلم للسامع، وإعلامه باستمرار الكلام، وذلك في باب التذكر، أو من قبيل إعلام السامع وإيقافه على مدى التفجع والتحسر على المندوب وذلك في باب الندبة، والإطالة لإفادة الاستنكار والتعجب في باب الإنكار."³ يقول ابن جني في مدّ التذكر "وأما مدّها أي الألف في التذكر، فنحو قولك: أخواك ضربا، إذا كنت متذكرا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك

¹ ابن سينا، الخطابة، تح: محمد سليم سالم، منشورات دار المعارف، القاهرة، مصر، ص198.

² مدكور عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، 1987 ص 104.

³ القضايا التطريزية، ص267.

أي ضربا زيدا ونحوه، وكذلك تمثل الواو إذا تذكرت في نحو: ضربوا إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك أي ضربوا زيدا، أو ضربوا يوم الجمعة، أو ضربوا قياما فتتذكر الحال، وكذلك الحال في نحو: اضربي، أي اضربي زيدا ونحوه، وإنما مطلت ومددت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر، من قبل أنك لو وقفت عليه غير ممطولة ولا ممكنة المدة، فقلت: ضربا وضربوا واضربي وما كانت هذه حاله وأنت مع ذلك متذكرا لم توجد في لفظك دليلا على أنك متذكر شيئا، ولأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك، لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تال للأول منوط به معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته.¹

فعند التذكر يرتفع الصوت ويزيد وذلك يعني من المتكلم أنه في حالة استذكار، وأن رسالته الكلامية لم تنته، ومن ثم لم تكتمل الدلالة بعد، مما يجعل المتكلم في حالة انتظار لبقية الكلام.²

ثم إن التنعيم هو الصورة المعكوسة للروح المتعبة بتلك التغيرات والتفردات الصوتية المتتالية ولا يمكن الحديث عن التنعيم دون الحديث عن نفسية المتكلم، لأن علاقتهما هي علاقة مرآة عاكسة وشيء معكوس، وعندما يتحد الصوت بالشعور، نكون كما يقول fonagy في غنى عن تلك الإشارات اليدوية والجسمية " إن العلاقة القائمة بين تردد الذبذبات والحركة الفضائية تتيح لنا اختزال الحركات اليدوية أو الجسمية، إلى أبعاد متواضعة وإخفاءها عن النظر نهائيا، إن الإيماء الحنجري ينسجم هاهنا أكثر من الإشارات اليدوية في إرسال الخطاب السري.³

¹ ينظر: الخصائص، ص 128/3-133.

² ينظر: القضايا النظرية، ص 268.

³ ينظر: زاهيد عبد الحميد، علم الأصوات وعلم الموسيقى، ص 39، 40.

والقصد من كل هذا التعبير عن الأحاسيس والانفعالات التي تختلج داخل نفس المتكلم من قبيل: الخوف، والشجاعة، والحزن، والفرح، والتعجب، والتعظيم، والحسرة، والرضى، والغضب، واليأس، والأمل، والشك واليقين... وهو ما يطلق عليه ما لبرج وبرزفهان الأهداف الأسلوبية.¹

فالتأثير الصوتي من أهم المداخل إلى النفس البشرية،² إذ يقول الذين كتبوا في علم النفس الموسيقي: " أن هناك ميلا غريزيا لدى الإنسان إلى الكلام ذي الجرس الموسيقى الجميل.³ "ومن ثم فإن" الكلام الإنساني يحمل كثيرا من عناصر الانسجام الصوتي حتى في غير النصوص الشعرية التي تتبع نظاما من التابع المقطعي والإيقاعي تتميز به عن الكلام المنثور".⁴

فإذا ما تعلق الأمر بكلام العزيز الحكيم، وجدنا النغم الموسيقي في القرآن يختلف من سورة إلى أخرى وقد يختلف في السورة الواحدة تبعا للانتقال من موضوع إلى موضوع،⁵ "وهو يُشكل نمطا من أنماط التصوير في الذكر الحكيم، ذلك أن التصوير الفني في القرآن، تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيّل، كما أنه تصوير بالنغمة، تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور تملأها العين والأذن، والحس و الخيال، والفكر والوجدان".⁶

¹ Crystal.d.ADictionary of linguistics.p182.

² السعران، محمود، اللغة والمجتمع، دار المعارف، الاسكندرية، ط3،1963، ص114.

³ أنيس، ابراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو، القاهرة، ط4، 1972، ص 11

⁴ غانم، قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات الجمع العلمي، بغداد، 2002، ص256

⁵ ينظر: بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص311.

⁶التصوير الفني في القرآن، ص33.

فمثلا إذا نظرنا إلى سورة الرحمن من ناحية موسيقاها الداخلية فإننا أمام عبارات تتفجر النعمات من داخلها وهي لا تحتوي اوزانا ثابتة فحينما، نقرأ قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَحْسَبَانِ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾¹ فنجد السورة قد ابتدأت بنغمة هادئة، نغمة الرحمة الالهية التي تسيطر على أجواء السورة كلها، فتكون هذه النغمة هي المحور الرئيس الذي تسير عليه السورة.

وإن هذه الآيات ليست على وزن واحد ولا مشطرة تشظيرا متساويا، ومع ذلك فهي تجري على صوت واحد يلفت النظر، إنها الموسيقى الداخلية التي تتمتع بها هذه الكلمات.²

فإذا ما أردنا معرفة أشكال التعبير في كتاب الله عز وجل، نظرنا إلى المضامين والمناسبات الواردة فيها الآيات، مع الاستئناس باجتهادات الباحثين في مجال استنباط النعمات وكيفية معرفتها ، ومن ذلك النموذج الذي قدّمه تمام حسان:

أ- الايجابي الهابط، ويستعمل في تأكيد الإثبات كقولك في جواب من أنكر أنه هو من قام بفعل معين: أنت فعلت هذا لا غيرك، ويستعمل أيضا في تأكيد الاستفهام بكيف واين ومتى وبقية الأدوات فيما عدا هل والهمزة .

ب- الايجابي الصاعد، ويستعمل في تأكيد الاستفهام بهل والهمزة .

ت- النسبي الهابط يوظف في الاثبات غير المؤكد، ومن ذلك التحية والكلام التام وتفصيل المعدودات والنداء وما عبر به عن فكرة مكملة لكلام سابق مباشرة كما في لقد قابلت أخاك ... على دراجته، والاستفهام بغير هل والهمزة .

ث- النسبي الصاعد، ويستعمل في الاستفهام بهل والهمزة، أو بلا أداة.

¹ سورة الرحمن الآيات (1-6).

² الموسيقى القرآنية والجرس الدلالي ، ص 10 .

ج- النسبي الهابط، ويوظف في تعبيرات التسليم بالأمر نحو لاحول ولا قوة إلا بالله، وعبارات الأسف والتحسر وكل ذلك مع خفض الصوت .

ح- السلي الصاعد، ويوظف في التمني والعتاب المنتهي بنعمة ثابتة أعلى مما قبلها.¹ ذلك أن التنعيم يقوم بوظائف نحوية، يتم من خلالها التمييز بين أسلوب تركيبي وآخر. فلكل جملة قالب تركيبي خاص بها، تنفرد به ولا تتقاسم فيه جملة أو جملاً أخرى، "وهذا النمط يجب اتباعه ومراعاته في النطق بكل جملة من هذه الجمل وإلا عُدد المتكلم لاحناً، وكان شأنه شأن رفع المفعول ونصب الفاعل".² وبهذا تنوع القوالب التنغيمية بتعدد الجمل وتنوع الأساليب ما بين الخبر، والاستفهام، والتأكيد، والأمر، والنهي، والإثبات، والنفي، والقسم، والنداء ... فالمنحنيات التنغيمية الموظفة في الخبر تختلف عن المنحنيات التنغيمية المستعملة في الاستخبار، وتلك الواردة في الأمر لا تطابق نظيرتها في النهي وهكذا

وبهذا فالتنعيم حكم في دلالات التراكيب والجمل، إذ يغير الجملة من تركيب إلى آخر ومن باب إلى باب ...³ وما أسلوبه الأمر ومعناه الخبر له نطاق تنغيمي يختلف اختلافاً تاماً عما أسلوبه ودلالته الأمر، وما لفظه الخبر ومعناه الأمر - أي عكس السابق - له نطاق أدائي تنغيمي يختلف اختلافاً بيناً عما لفظه ومعناه الخبر. فكل نوع من هذين النوعين له قالب تنغيمي خاص فمما لفظه الأمر ومعناه الخبر ويؤدي بنعمة قريبة من نعمة الجمل الأمرية المحضنة التي توحى بنوع من الثقل على النفس ولكنه منخفض الدرجة، وأقرب ما يكون إلى اللوم أو العتاب، وهذا مغزى إبرازها والتعبير عنها بهذا القالب اللفظي أو التركيب، وأما ما لفظه الخبر ومعناه

¹مناهج البحث في اللغة ، ص202-203 .

² الفيومي ، أحمد عبد التواب ، أبحاث في علم أصوات العربية ، مطبعة السعادة ، ط1، 1991، ص187.

³ ينظر: الجورانة ، يوسف عبد الله ، التنعيم ودلالته في اللغة العربية ، مجلة الموقف الأدبي ، مجلة أدبية شهرية تصدر عن

اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 369، كانون الثاني، 2002، ص38.

الأمر فيؤدى بنعمة قريبة من نعمة الجمل التي أريد بها مجرد الأخبار فنعمتها صاعدة وفوق نعمة المستوية قليلا.¹

فتحديد النعمات مرتبط بالمعاني والأغراض ارتباطا وثيقا من هنا كانت الأغراض التي هدف إليها القرآن الكريم تقتضي نطاقات تنغيمية خاصة بها لتحمل دلالتها أبلغ ما يكون، فإذا كان التنغيم الداعي الخاشع مقبولا مثلا في آيات الاستغفار والتوبة فلا بد له من أن يختلف عن تنغيم الآيات التي فيها تهديد ووعيد، أي يجب أن يوافق التنغيم المعنى ويظهر، ليجعل المتلو في ذهن السامع وقلبه، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد.²

ومما يمكن استنباطه من الأشكال التنغيمية في القرآن الكريم، ممن تحدد الدلالة، أو توجهه حسب الأغراض والمعاني ما يلي :

أ - النَّعْمَةُ الصَّاعِدَةُ :

وهي تظهر في الجمل الاستفهامية بالهمزة، وفي الجمل المعلقة التي لم يتم معناها بعد إذ يشعر السامع وكأن المتكلم مازال لديه ما يقوله، كما أن عبارات العتاب تنتهي بنعمة ثابتة أعلى مما قبلها، أي يبدأ الكلام بنعمة هابطة أو مستوية، ثم ينتهي بنغم متصاعد، من ذلك الإثبات مع العتاب، يقول الزركشي³، فقله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾⁴ قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع

¹ الفيومي، أبحاث في علم أصوات العربية، ص195.

² القضايا التطريزية، ص 257.

³ البرهان في علوم القرآن، ص348/2.

⁴ سورة الحديد، الآية 16.

سين، وما أطف ما عاتب الله به خير خلقه بقوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾¹.

ومن الاستفهام دال على الخبر، والمستعمل فيه الهمزة أداة للاستفهام ما جاء به قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾².

يقول الفارسي " لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر، ومثل ذلك قوله : ما أبالي أشهدت أم غبت، وما أدري أأقبلت أم أدبرت، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام، لأنك ترى أنك إذا استفهمت فقلت: اخرج زيد أم قام ؟ فقد استوى الأمر أن عندك استفهام وعدم علم أحدهما بعينه، كما أنك إذا أخبرت فقلت: سواء علي أقعدت أم ذهبت فقد سويت الأمرين عليك، فلما عممتها التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام، لمشاركته له فى الإجمام، فكل استفهام تسوية، وإن لم يكن كل تسوية استفهاماً"³.

وتبدو النعمة الصاعدة بوضوح فى قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁴.

"حيث ينبض المشهد بالحياة والحركة والحوار، على طريقة القرآن بنعمة صاعدة على المقاطع الأولى من الآية (أكفرتم) ثم تليها هبوط فى النعم، وعلى هذه الشاكلة، يطوي القرآن الكريم الأزمنة المتتابعة بين الرسل ويجمعهم كلهم فى مشهد، والله الجليل الكبير يخاطبهم جملة، هل أقروا هذا الميثاق وأخذوا عليه عهد الله الثقيل ﴿قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي

¹ سورة التوبة ، الآية 43.

² سور البقرة، الآية 06.

³ الحجة فى علل القراءات ، ص 270/2.

⁴ الآية (106) من سورة آل عمران .

﴿وهم يجيبون﴾ ﴿قَالُوا أَقَرَّرْنَا﴾ فيشهد الجليل على هذا الميثاق ويشهدهم عليه ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، هذا المشهد الهائل الجليل، يرسمه التعبير، فيرجف له القلب، وهو يتمثل المشهد بحضرة البارئ الجليل، والرسول مجتمعين.¹

والملاحظ أن النعمة الصاعدة تتطلب الكثير من المشاهد المفعمة بالحركة والحوار، وهي تلائم مواقف السرد والحكي، إذ الكلام يستدعي بعضه بعضا وكأنك بالسامع يقول (ثم ماذا؟) و(ماذا بعد؟)، ولأن السور المدنية يكثر فيها التشريع وما تعلق بأحكام الجهاد، والحوار العقلي المفعم بالبراهين والحجج العقلية، فهي لهذا لا تتطلب الكثير من النغم التصاعدي ذو الدرجة الإسماع العالية.

ومما جاء النغم التصاعدي في قوله تعالى ﴿تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾،² إذ حذف حرف الاستفهام، وأقيم التنعيم مكانه، والأصل، "أيحلفون."³

ومثله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،⁴ فبالرغم من حذف حرف الاستفهام، إلا أن التنعيم ينقل دلالة الاستفهام، إذ الأصل "أتبتغي" وذلك وفق نعمة صاعدة.

¹ في ظلال القرآن، ص 420/3.

² سورة التوبة، الآية 62.

³ القضايا النظرية في القراءات القرآنية، ص 266.

⁴ سورة التحريم، الآية 01.

ب- النعمة الهابطة :

ترد بها الجمل التقريرية، والجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة، والجملة الطلبية التي تحتوي على فعل أمر أو نحوه،¹ كذلك صيغ الطلب التي تحيل على الخبر.

فمن التقرير، الإغضاب العجيب قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.²

وقوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾،³ على الوجه التعجب والتوبيخ، أي ويحكم كيف تكفرون، فالاستفهام بـ "كيف"، وغرضه التوبيخ، مما يحيل الكلام إلى نعمة منخفضة.

ومما جاء على أسلوب الاستفهام ودلالته التعجب، ونغمته بالتالي هابطة، قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾،⁴ يقول أبو حيان، وفي قوله: (فكيف كان عقاب؟) استفهام معناه التعجب بما حل، وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار.⁵

¹ كمال بشر، فن الكلام، ص 165.

² سورة الممتحنة، الآية 09 .

³ سورة البقرة، الآية 28 .

⁴ سورة الرعد، الآية 32 .

⁵ البحر المحيط، ص 384/5 .

كذلك من التقرير والتوبيخ، يقول النحاس في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾¹،
ومن ابتداء وهو اسم تام في الاستفهام والمجازاة (يرغب) فعل مستقبل في موضع الخبر وهو تقرير وتوبيخ وقع فيه معنى النفي أي ما يرغب ﴿ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾²

ونستطيع أن نلمس رفع الصوت مع ما يرافقه من ملامح تطريزية أخرى عند ترتيب هذه الآيات التي يختلط فيها الدعاء توجه ورجاء، واعتماد واستمداد من الثقة بوفاء الله بالميعاد بالندم والاستغفار ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾³
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا ۗ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ... ﴿١١٥﴾³

فالصوت يرتفع على امتداد هذا الدعاء الطويل ليعود للانخفاض بانتهائه أي من:
"فاستجاب لهم ربهم..."، يقول قطب مفسرا الآيات المذكورة: "تنطلق ألسنتهم بذلك الدعاء

¹ سورة البقرة، الآية 130 .

² النحاس ، أبو جعفر ، معاني القرآن الكريم ، تح : محمد علي الصابوني ن مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط1 ، 1408هـ/1988 ، ص1/214 .

³ سورة آل عمران، الآيات (191-195).

الطويل، الخاشع الواجف الراجف المنيب، ذي النغم العذ ، والايقاع المناسب، والحرارة البادية في المقاطع والأنغام ... فهذا المد يمنح الدعاء رنة رخية، وعذوبة صوتية، تناسب جو الدعاء والتوجه والابتهاال".¹

يقول **صبي الصالح** "ولقد استشعرنا هذا الجو الغنائي كله ونحن نتصور نبيا يتهل وحده في خلوة مع الله، وكدنا نصغي إلى ألحانه الخفية تصّاعد في السماء، فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين وصفهم الله أنهم من أولى الألباب ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾²، كيف بنا لو تصورنا هؤلاء يشتركون ذكرانا، وإناثا، شبانا وشيبا، بأصوات رخوة متناسقة تصعد معا، وتببط معا وهي تجأر إلى الله وتنشد هذا النشيد الضخم والجليل.³ وكل هذا إنما تم وفق نعمة هابطة ورزينة.

ومما ورد بأسلوب استفهامي ولكن على دلالة التوبيخ، قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾⁴ قال ابن خالويه : قرأ ابن كثير وحده (أن يؤتى) على الاستفهام في اللفظ ومعناه التوبيخ.⁵

¹ القضايا التطريزية ، ص292.

² من الآية (191) من سورة آل عمران.

³ الصالح صبحي ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط10، 1977، ص338.

⁴ سورة آل عمران ، الآية 73.

⁵ ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها ، ص114/1.

ومن النعمة التي تبدأ هابطة ثم تبدأ بالتصاعد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ

الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ^ص ﴿١﴾، حيث أن القسم الأول يحقق بنمط تنغمي خبري، بينما القسم

الثاني (قتال فيه) ينغم على الاستفهام، وهذا ما أشار إليه أبو حيان الأندلسي قائلا: وقرئ شاذًا : (قتال فيه) بالرفع، وقرأ عكرمة : (قتل فيه قل قتل فيه)، بغير ألف فيهما، ووجه الرفع في قراءة: قتال فيه، أنه على تقدير الهمزة فهو مبتدأ، وسوغ جواز الابتداء به كونه نكرة، لنية همزة الاستفهام، وهذه الجملة المستفهم عنها هي في موضع البدل من الشهر الحرام، لأن سأل، قد أخذ مفعوليه، فلا يكون في موضع المفعول، وإن كانت هي محط السؤال، وزعم بعضهم أنه مرفوع على إضمار اسم فاعل تقديره : أجائز قتال فيه ؟ قيل: ونظير هذا، لأن السائلين لم يسألوا عن كينونة القتال في الشهر الحرام، إنما سألوا : أيجوز القتال في الشهر الحرام ؟ فهم سألوا عن مشروعيته لا عن كينونته. ²

فتحديد النغمات يعين على ضبط الدلالات، كما أن تتبع منحنيات الكلام، أثناء السلسلة الكلامية، وما يتبعه من تنوع في الأساليب والأغراض، يعين على تحديد شكل النغمة، ومن ثم معرفة الغرض والمقصود من القول. وهكذا دراسة في القرآن الكريم، تعد بابا مهما لفهم معاني الذكر الحكيم وأغراضه.

على أن تتبع تلاوات القراء للقرآن الكريم وفق طبيعة النغمات يعين على تحديده بدقة وبشكل مضبوط، المعامل والمختبرات الصوتية، إذ تقدم تحليلا أكثر دقة وضبطا، مما يكون أنفع وأصوب لمثل هكذا دراسات.

¹ سورة البقرة، الآية 217.

² ينظر : البحر المحيط، ص154/2.

الخاتمة

لقد تمخّضت عن هذا البحث نتائج هي كالتالي :

- يشكّل القرآن الكريم أهم مصادر الدرس الصوّتي للغة العربية.
- يبدأ البحث الصوتي للقرآن الكريم، منذ لحظة نزوله على النبي الكريم، إلى ما لا نهاية، إذ ساهمت أمة الإنسان العربي، في الحفاظ على المستوى الصوتي، المتناقل عن طريق السماع ((والسمع أبو الملكات)) غضا طرياً كساعة أنزل.
- مبدأ السّعة، الذي تنشده العربية في جميع مستوياتها يعد القرآن الكريم، أعظم حاضن له، إذ يشكل تعدد القراءات، واستيعاب القرآن للهجات العرب، سببين رئيسيين في قدرة القرآن الكريم على استيعاب الظاهرة الصوتية، ونقيضها، كالإدغام والفك والإمالة والفتح ، والهمز وتخفيفه ... وغيرها.
- تحكم الظواهر الصوتية في القرآن الكريم مجموعة من القوانين، تحقق مبدأ السهولة واليسير، أبرزها الاقتصاد في الجهد العضلي، والرغبة في التيسير، والتخلص من المقاطع القصيرة المتماثلة .
- تسعى الظواهر الصوتية في كتاب الله عز وجل إلى خلق التجانس بين الأصوات (صوامتا وصوائتا)، وجعل عمل اللسان من وجه واحد، وتحقيق مبدأ الهروب من الأثقل إلى الأقل ثقلاً.
- الوجه الثاني لورقة التيسير والابتعاد عن الثقل هو المخالفة، وهي ظاهرة صوتية ذات أصول لهجية، تظهر في كلام القبائل البدوية طلباً للخفة واستثقالاً منهم للتضعيف.
- تتجلى موسيقية اللغة العربية من خلال القرآن الكريم، إذ به نمط من الإيقاعية يستوعب، إيقاع الشعر وإيقاع النثر معاً، وما اصطلح عليه الدكتور، تمام حسان من الإيقاع المتوازن، يعد أفضل توصيف لماهية الإيقاع في الذكر الحكيم.

- يشهد القرآن الكريم في شقه المدني نوعاً من الرتابة في الإيقاع نتيجة طول آياته، وطبيعة مواضيعه التشريعية في معظمها.
- المقطع الأرضية الحاملة للنبر والتنغيم، ويقوم في أساسها على إيقاع تنفسي تراعى فيه الدفقة التنفسية ونظام اللغة، وهو وسيلة مهمة لمعرفة الأنسجة اللغوية المقبولة من غير المقبولة في العربية.
- حدّد اللسانيون ضوابط تحكم النسيج المقطعي للعربية، ويعد القرآن الكريم من أفضل النصوص التي تعكس البنية المقطعية للعربية في أفضل أشكالها وأحسنها.
- النبر في تعريفه الوظيفي يصعب تتبعه في العربية، إلا أنه من الناحية الفونيتيكية يظهر في أشكال عدة تناولتها الدراسات العربية القديمة والحديثة، فالضغط على صوت ما وزيادة الطول في صوت ما، إنما هي في حقيقتها أشكال نبرية عرفتها العربية، وجاءت بها القراءات القرآنية.
- النبر ظاهرة أدائية صرفة لا يمكن ضبطه إلا بمعاينة الجانب الأدائي والشفاهي للغة، وكتاب الله عز وجل يقدم خدمة كبيرة لدرس هذا الجانب المهم باللغة العربية، إذ تضمن التلاوة المتواترة قراءة نموذجية لأي دراسة تتوخى الوقوف على الأشكال النبرية وكيفية تموضعها في اللغة العربية.
- التنغيم ملمح تمييز مهم في اللغة العربية، وهو في القرآن ظاهرة أدائية مهمة، حرص أهل علوم القرآن والتجويد، على ضرورة مراعاتها في تلاوة أي ذكر الحكيم - فهم وإن لم يعرفوا المصطلح - إلا أنهم حرصوا على تبيان ضرورة أن تقرأ مواضع التهديد بما يلائم التخويف، ومواطن النعيم بما يلائم البشارة، وقس على ذلك، مما يعد التنغيم أساساً لتواجهه.

- تستأنس الدراسة التنغيمية في القرآن الكريم بالأساليب البلاغية، وهي تظهر في الشق المدني من القرآن الكريم بصورة ضعيفة مقارنة بالشق المكي .
- ما زالت كيفية التعامل مع النبر في القرآن الكريم، تسير بخطى حذرة، إلا أن الدراسات والبحوث أثبتت وجود أشكال وأنماط نبرية يمكن الاستعانة بها حين تحليل النبر في القرآن الكريم خاصة وفي كلام العرب عامة.
- تقدم القراءات القرآنية مادة مهمة وزخمة، يظهر من خلالها تنوع أداء اللغة العربية، مما يخدم البحث والدرس الصوتي .
- ربط الصوت بالدلالة باب مهم ويعد ملمحا مهما يبين عبقرية اللغة العربية، وهو في القرآن الكريم، يعد شكلا من أشكال الإعجاز، مما يؤكد على ضرورة أن يحظى هذا الفرع من الدلالة بمزيد العناية.
- القرآن الكريم زاد لغوي لا حدود لوجوه الإعجاز فيه ، وستظل الأبحاث والدراسات تلقي الأضواء على مظاهر وأشكال من إعجازه اللغوي ، والجانب الصوتي واحد من الجواني ، التي يقدم القرآن الكريم خدمات جليلة في درسه ، ويجعله النموذج الأمثل لضبط قواعد العربية وقوانينها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .
- 1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، ط4، 1978.
- 2- _____، _____، موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو، القاهرة، ط4، 1972.
- 3- _____، _____، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو، ط4، 1980.
- 4- _____، _____، في اللهجات العربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط3.
- 5- إستيته، سمير شريف، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية (منهج لساني معاصر) ، عالم الكتب الحديث، إربد، 2005.
- 6- أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له، وعلق عليه: كمال بشر، مكتبة الشباب، دط، دت .
- 7- الأحفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 8- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت 370ه/980م)، معاني القراءات، تحقيق ودراسة: عبد مصطفى درويش، عوض بن محمد الفوزي، دار المعارف، ط1، 1412ه/1991م.
- 9- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن ت686ه، شرح الشافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، 1402ه/1982م.
- 10- الإشبيلي، ابن عصفور (597-669ه)، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط1، 1996.

- 11- _____، _____، المقرب، دراسة وتحقيق: أحمد عبد الستار الجبوري، ط1، 1972.
- 12- الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1358هـ/1939م .
- 13- الأشقر، محمد أحمد، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 200.
- 14- الأصبهاني، أبو بكر أحمد، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، 1424هـ/2009م.
- 15- الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومعه الانتصاف مع الإنصاف، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، 1428هـ/2007م.
- 16- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1413هـ/1992م.
- 17- الأنصاري، أبو زيد، التّوادر، المطبعة الكاثولوكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1894.
- 18- الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات اللغة ونحوها و صرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، د ت.
- 19- أبو ديب كمال، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981.
- 20- أبو موسى، محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة.

- 21- ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
- 22- ابن بادش، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت540هـ)، الإقناع في القراءات السبع، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ.
- 23- ابن الجزري، محمد بن محمد دمشقي (ت833هـ)، النشر في القراءات العشر، قدّم له: علي محمد الضباع، خرّج آياته: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م/1427هـ.
- 24- _____، _____، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق، برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة جديدة مصححة، 2006.
- 25- _____، _____، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، خدمه وعني به: عبد الحلیم بن محمد قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 1424هـ/2003م.
- 26- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، شارك في التحقيق: أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط2، 2007.
- 27- _____، _____، المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م.
- 28- _____، _____، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- 29- _____، _____، اللّمع في العربية، تحقيق: سميح أبو معز، دار مجدلاوي، عمان، 1988م.

- 30- _____، _____، المحتسب في تبيين وجوه شواذ
القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي بُحدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح
شليبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999.
- 31- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق وشرح:
عبد العال سالم مكرم، دار الشروق د.ط. د.ت.
- 32- _____، _____، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق:
محمد ابراهيم سليم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دط، دت.
- 33- _____، _____، إعراب القراءات السبع وعللها، حققه وقدم له: عبد الرحمن بن
سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1413هـ/1992م.
- 34- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، دار
صادر، بيروت، د.ت.
- 35- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات
الكويت، دار العلم، بيروت، لبنان، دط، دت .
- 36- ابن زنجلة أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5،
1418هـ/1997م.
- 37- ابن السكيت (186هـ-244هـ)، إصلاح المنطق شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد
السلام محمد هارون، دار المعارض.
- 38- ابن سينا، الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، منشورات دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 39- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار
الفكر، 1399هـ/1979م .

- 40- —، —، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م .
- 41- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، حققه وضبط غريبه، وشرح أبياته والمهم من مفرداته، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، دط، دت .
- 42- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 43- ابن يعيش النحوي بن علي (ت:643هـ)، شرح المفصل، الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت .
- 44- بدوي، عمار توفيق أحمد، الفاصلة القرآنية شكلا وبلاغة، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، أكاديمية القاسمير، ط1، 1428هـ/2007.
- 45- بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، 2005.
- 46- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1400هـ/1980م، ط2، 1414هـ/1994م.
- 47- بكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1996.
- 48- بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، د.ط، د.ت.
- 49- بشر كمال، علم اللغة العام الأصوات، دار المعارف، دط، دت.
- 50- —، —، فن الكلام، دار غريب القاهرة، دط، دت.
- 51- بوزواوي محمد، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، الجزائر، 2003.
- 52- البايي أحمد، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصوتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012.

- 53- البخاري، إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت .
- 54- البيلي أحمد، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988، 1408هـ.
- 55- البطليوسي، أبو محمد عبد الله ،الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح :محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- 56- البهنساوي، حسام، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425 هـ/2004م .
- 57- —، — ، الدراسة الصوتية عند العرب و الدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2005، 1.
- 58- بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، د.ت.
- 59- بني دومة، خالد قاسم ، عالم الكتب الحديث ،دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم إربد، الأردن، 2006.
- 60- بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 61- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م.
- 62- جبل، محمد محمد حسن، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 1427هـ/2006م.
- 63- جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، د.ت.
- 64- جان كاتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية وذّيله بمعجم صوتي فرنسي: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية، 1966.

- 65- الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه وقدم له وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعيد، مكتبة صفا، ط1، 1420هـ/1999.
- 66- الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، القسم 1: النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1978.
- 67- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938.
- 68- _____، _____، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1418هـ/1998م .
- 69- الجوزية، ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: سيد عمران، عامر صلاح، دار الحديث، القاهرة، 2002.
- 70- حسان محمد فدوى، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.
- 71- حسان تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م.
- 72- _____، _____، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1421هـ/1986م.
- 73- _____، _____، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.
- 74- _____، _____، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.
- 75- _____، _____، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 2000.
- 76- _____، _____، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
- 77- الحسناوي محمد، الفاصلة في القرآن الكري، دار عمار، ط2، عمان ، 2000.
- 78- حسن عبد الحميد، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها، دار الكتب، 1971، دط.

- 79- حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط2، 1990.
- 80- الحمد، غانم القدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، ط2، 1428هـ/2007.
- 81- _____، المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 2002.
- 82- _____، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15هـ، العراق، ط2، 1982م.
- 83- الحموي، تقي الدين، خزانة الأدب، تحقيق: عصام شعيتو، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987.
- 84- الخفاجي محمد بن سعيد بن سنان (ت 466 هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/1982م.
- 85- الخالدي صالح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان، الأردن، 1437هـ/2016.
- 86- داود عبد، أبحاث في اللغة، بيروت، 1973.
- 87- _____، دراسات في علم اللغة النفسي، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1984.
- 88- داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية ، مؤسسة الصباح الكويتية، الكويت .
- 89- داود محمد، الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية وعجم، دار غريب، القاهرة، 2001.
- 90- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (371هـ-444هـ)، التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد، تحقيق ودراسة: أحمد عبد التواب الفيومي، مكتبة وهبة، ط1، 1993.

- 91- —، —، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميد، تقديم: ابراهيم بن سعيد الدوسري، محمد بن سريع السريع، دار التدمرية، ط1، 1431هـ/2010م .
- 92- —، —، المحكم في نقط المصحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1418، 2هـ/1997م .
- 93- —، —، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم حمد القدوري، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط1، 1414هـ/1994.
- 94- الديمياطي، البناء(ت: 1117 هـ/1705م)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت ،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط1، 1407 هـ/1987م.
- 95- الذهبي، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان 748/637هـ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه وقيد نصوصه، وعلق عليه: بشار عواد معروف ،شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1998م/1408.
- 96- ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي وعلم الشعر، ترجمة: محمد بدوي ، مراجعة : لويس عوض وسهير القلماوي ، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص 185.
- 97- الرافي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
- 98- —، —، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ،دط،دت.
- 99- الرعيني، أبي عبد الله محمد بن شريح (ت476هـ)، الكافي في القراءات السبع، تحقيق : أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

- 100- الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب"، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر. دط ، دت .
- 101- —، —، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر، لبنان ، ط1401، 1/هـ/1981م.
- 102- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386هـ) ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر ، ط3.
- 103- زاهيد عبد الحميد، علم الأصوات وعلم الموسيقى (دراسة صوتية مقارنة)، تقديم: مبارك حنون ، دار يافا، عمان، 2010.
- 104- الزجاج، أبو إسحاق ابراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ/1988م.
- 105- الزجاج أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازم مبارك، دار النفائس، دط ، دت.
- 106- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق : فواز احمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.
- 107- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، خرّج حديثه وقدم له وعق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- 108- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (467-538هـ)، المفصل في علم العربية، وذيّله كتاب المفصل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003.
- 109- —، —، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419/1998هـ.

- 110- سالم، محسن محمد، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دار محسن، ط6، 1442هـ/2003م.
- 111- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، د.ت.
- 112- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972، ط32، 1423هـ/2003.
- 113- —، —، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، د.ت.
- 114- سامي عبد الحميد، تربية الصوت وفن الإلقاء، مطبعة الأديب البغدادية 1974.
- 115- سفر، علي عبد العزيز، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى الرابع هجري (دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط1، 1421هـ/2001م.
- 116- سلطان منير، الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000.
- 117- سلام، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أواخر القرن 4هـ، قدّم له: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، ط1، مصر.
- 118- سمير إبراهيم وحيد العزاوي، التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، دار الضياء، عمان الأردن، 2000.
- 119- السيوطي جلال الدين، (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الحجازي، القاهرة، دط، د.ت.
- 120- —، —، الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدّم له: فايز الترجيني، دار الكتاب العربي، ط1، د.ت.

- 121- —، —، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .
- 122- —، —، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2001م.
- 123- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد ، بستان العارفين ويليّه تنبيه الغافلين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- 124- السيد، عبد الحميد، دراسات في اللسانيات التطبيقية (المشاكل، التنعيم)، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- 125- السهيلي، أبي القاسم، نتائج الفكر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1992 .
- 126- السعران، محمود، اللغة والمجتمع، دار المعارف، الاسكندرية، ط2، 1963.
- 127- —، —، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دط ، دت.
- 128- السامرائي عامر رشيد، آراء في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1965.
- 129- الشايب فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004.
- 130- شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، مؤسسة الرسالة، 1980م.
- 131- —، —، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ/1987م.
- 132- —، —، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987.

- 133- —، —، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، دط،
دت.
- 134- —، —، المنهج الصوتي للبنية العربية "رؤية جديدة في الصرف العربي"، مؤسسة
الرسالة، ط1400، 1هـ/1980م، بيروت، لبنان.
- 135- شادي محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، مصر، ط
1409، 1هـ/1988م.
- 136- شرشر، محمد حسن، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، ط1،
1408هـ/1988م.
- 137- الشنقيطي، أحمد بن الأمين (ت 1331هـ)، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع
الجوامع، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط1، 1419هـ/1999م.
- 138- صالح كورديا أحمد حسن، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم
الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2012.
- 139- الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، 2004.
- 140- الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت،
لبنان، ط1، 1420هـ/2000.
- 141- طليمات غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000.
- 142- عفيفي أحمد، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996.
- 143- عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب "مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، عالم
الكتب، القاهرة، ط6، 1988.
- 144- —، —، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- 145- —، —، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1998.

- 146- عمر فروخ، عبقرية اللغة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
1401هـ/1981م.
- 147- عبد الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط1،
1999.
- 148- عبابنة يحي، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1،
2001.
- 149- عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992.
- 150- علي يونس، نظرة جديدة في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- 151- علوية نعيم، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعة، بيروت، ط2،
1986.
- 152- عياش منذر، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990.
- 153- عيد رجاء، القول الشعر (منظورات معاصرة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط.
د.ت.
- 154- عبد العليم، ابراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، دار المعارف، مصر.
- 155- عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة،
ط2، 1412هـ/1990م.
- 156- —، —، —، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،
1408هـ/1988م.
- 157- —، —، —، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2،
2000.
- 158- عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، دار أزمنا، عمان، الأردن،
ط1، 1998.

- 159- —، — ، الدلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي، دار الصفاء، عمان الأردن، ط1، 1997م/ 1414هـ.
- 160- —، — ، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1418/1998.
- 161- —، — ، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة)، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1998.
- 162- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة، عمان الأردن، ط1، 2005.
- 163- العبد محمد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 1426هـ/2006م.
- 164- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1996.
- 165- العيني بدر الدين محمود بن أحمد، (ت855هـ)، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه : عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 ، 2007 .
- 166- العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت606هـ)، التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه ،محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1998.
- 167- العبيدي، شعبان عوض محمد، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ط1، 1999 .
- 168- العناني محمد إسحاق، مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، 2006.
- 169- العقاد محمود عباس، أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب، دار المعارف، القاهرة، ط6.
- 170- العلايلي عبد الله، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، القاهرة، دت ، دط .

- 171- الغزالي، أبو حامد (ت505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رضا رشيد الفياني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1986.
- 172- الغامدي منصور، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1421هـ/2001م.
- 173- الفاراهيدي الخليل بن أحمد (ت175هـ)، العين، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
- 174- الفراء، زياد بن عبد الله (ت 207هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1955، ط2، 1980.
- 175- الفارسي، أبو علي الحسن (ت377هـ)، الحجة للقراء السبع، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام، تحقيق: بدر الدين فهوجي، بشير حويجاتي، راجعه عبد العزيز، رباح أحمد، يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث ط1، 1987.
- 176- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، شرح: يوسف الغازي، ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة، جونته، لبنان، د. ت، دط.
- 177- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان، الموسيقا الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة: محمود أحمد حنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، دت.
- 178- الفاخري صالح سليم عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2007.
- 179- الفيومي، أحمد عبد التواب، أبحاث في علم أصوات العربية، مطبعة السعادة، ط1، 1991.
- 180- قدور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط1، 1996، ط2، 1999م.
- 181- القرالة زيد خليل، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي"، عالم الكتب الحديث، الإربد، الأردن، 2004.

- 182- قمحاوي، محمد الصادق، البرهان في تجويد القرآن، ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
- 183- القادري، فخرية غريب، تجليات الدلالة الإيجائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة، سورة التوبة أمودجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2001.
- 184- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، دط، 1361هـ/1942م.
- 185- القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ت461هـ، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 186- القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- 187- القيسي أبو محمد المكي بن أبي طالب، (ت437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 1428 هـ/2007م.
- 188- —، —، الرعاية لتجويد القراءة ولتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط3، 1417هـ/1996م.
- 189- قطب محمد، دراسات قرآنية، دار الشرق، لبنان، ط4، 1983.
- 190- القالي أبي علي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 191- الكواز، محمد كريم، كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، دار الساقى، بيروت، لبنان.
- 192- الكشكي، عطية أبو زيد محبوب، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم (دراسة قرآنية حديثة)، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1432هـ/2011م.

- 193- كراتشا كابوشان، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، ترجمة: جعفر دك الباب، دمشق، 1980.
- 194- المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت: 285هـ) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1926م.
- 195- المبارك، محمد، خصائص العربية، نهضة مصر، 1960.
- 196- _____، _____، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر المعاصر، ط4، 1973.
- 197- _____، _____، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأسهل في التحديد والتوليد، دار الفكر، دط، دت.
- 198- المرسي، كمال الدين عبد الغني، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1420هـ/1999.
- 199- المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط2، 1986.
- 200- المطليبي، غالب فاضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984.
- 201- المالكي، أبو محمد (ت705هـ)، شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، 1424.
- 202- مالمبرج، برتيل، علم الأصوات، تعريب، عبد الصبور شاهين، القاهرة، 1987.
- 203- مدكور، عاطف، علم اللغة بين القديم والحديث، منشورات جامعة حلب، 1991.
- 204- _____، _____، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، 1987.

- 205-مارتيني، أندري، وظيفة الألسن و ديناميتها، ترجمة: نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط1، 1996.
- 206-ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1403هـ/1983م.
- 207-ممدوح عبد الرحمن، القيمة الوظيفية للصوائت (دراسة لغوية)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998.
- 208-نهر هادي، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429هـ/2008.
- 209-النحاس، أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، 1408هـ/1988.
- 210-النعمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- 211-هريدي، أحمد عبد المجيد، ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1409هـ/1989م.
- 212-هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
- 213-____،____، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، ط3، 1996.
- 214-هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة، 2001.
- 215-هنري فليش، العربية الفصحى، بيروت، ط2، دت.
- 216-هنداوي عبد الحميد، الإعجاز الصوّتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1428هـ/2004م،
- 217-____،____، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2002،

- المراجع باللغة الأجنبية :

Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique général, édition, -218
.Bejaia, 2002

Jones Daniel, An outline of English phonetics, Cambridge, -219
.1967

.Coulthard, M, m, Introduction to discourse Analysis, Ibid -220

- الرسائل الجامعية :

1- أحمد مهدي عناد، التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أمودجا)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2001.

2- بوروية المهدي، ظواهر التشكيل الصوتي عند العرب حتى أواخر القرن 3هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ/2002م

3- ثريا عبد الله عثمان إدريس، الصيغ الفعلية في القرآن الكريم، أصواتا وابنية ودلالة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1410هـ/1989م.

4- حجري فاطمة، البناء التشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1431/1432هـ-2010/2011م.

5- حنون مبارك، في بنية الوقف وبنية اللغة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط.

6- رجب، إبراهيم مصطفى إبراهيم، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح، دراسة تاريخية وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.

- 7- السيد، محمد يوسف هاشم، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- 8- الغامدي، عزة بن سعد، التعليل في الدراسات الصوتية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1425هـ/2004.
- 9- لالوسي عثمان، الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

- الدوريات:

- 1- أبو السعود ، عبد الله بدر، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد07، أوت 2000.
- 2- ابراهيم أنيس، وحي الأصوات في اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، مطبعة التحرير، 1958.
- 3- إستيتيه سمير، روافد البلاغة، بحث في أصول التفكير البلاغي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد6، رجب 1422هـ/2010م.
- 4- أونج ، والترج، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة، العدد182، فبراير1994.
- 5- البياتي، سناء حميد، التنعيم في القرآن الكريم، دراسة صوتية، مركز إحياء التراث العلمي والأدبي، العراق.
- 6- بصل، محمد اسماعيل، صفوان سلوم، أثر الصّوائت في الدلالة اللغوية (الإفرادية والتركيبية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد1، 2010.
- 7- الجورانة، يوسف عبد الله، التنعيم ودلالته في اللغة العربية، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 369، كانون الثاني، 2002.

- 8- حمود، وداد مكاوي، البناء الصوتي غير المقطعي (قلى)، و(..) في النص الإبداعي، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 6، 2009.
- 9- حسين، صلاح الدين سعيد، التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 31، العدد 2، 2009.
- 10- رحمان، زهر الدين، دلالة التنغيم في اللغة العربية، من موقع revue.ummo.dz .
- 11- زيدور صالح، الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم (الإيقاع)، www.asjp.cerist.dz
- 12- سلامي، عبد القادر، الفصاحة بين اللفظ والمعنى، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، صفر، 1425هـ/ أبريل 2005، مج 79.
- 13- سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط1، (1403هـ/ 1983م).
- 14- صالح، إباد سالم، الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني، جامعة تكريت.
- 15- الضالع، محمد صالح، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 67، مجلد 17، 1999.
- 16- عبد السلام راغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، منشورات موقع رابطة العلماء السوريين : islamsyria.com.
- 17- عبد الكاظم، محمد، المساحة الدلالية في الصوت العربي، مجلة آداب البصرة، العدد 41، 2006.
- 18- عتيق، عمر عبد الهادي، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنار، جامعة آل البيت، المجلد 16، العدد 3.

- 19- غوادرة، فيصل حسين طحيمر، التكرار في الفاصلة القرآنية الجزء الأخير من القرآن
أتمودجا (دراسة أسلوبية)، جامعة القدس المفتوحة.
- 20- فياض رائدة عاظم، الاتساق الصوتي في نهج البلاغة (التنغيم أتمودجاً)، مجلة العميد ،
العدد6، شعبان ، 1434هـ/2013.
- 21- فتحي يونس محمد ذنون، إشكالية زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى، دراسة تطبيقية
على السين وسوف في القرآن الكريم ، جامعة الموصل ، العراق.
- 22- المصري، عبد الفتاح، الصوتيات عند ابن جني، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 15،
1984م.
- 23- ميهوبي، الشريف، المقطع الصوتي وبنية الكلمة، جامعة منتوري، الجزائر، العدد 14،
ديسمبر 2000 .
- 24- المالكي، جاسم غالي رومي، الإدغام ظاهرة صوتية، مجلة آداب البصرة، العدد 41،
2006.
- 25- معن مشتاق عباس، أساسيات الفكر الصوّتي عند البلاغيين (قراءة في وظيفة التداخل
المعرفي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون،
1427هـ/2006م.
- 26- الموسيقى القرآنية والجرس الدلالي (بحث موجز في النعمة القرآنية) ، موقع
aldhiah.com/magazin/maab/7pdf
- 27- النقيب، محمد حسين، الفاصلة في السياق القرآني، موقع: [alarbiah
.conference.org](http://alarbiah.conference.org)
- 28- اليافي نعيم، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، العدد25-26، دمشق،
أكتوبر /يناير 1986.
- 29- اليافي نعيم، قواعد تشكّل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، العدد25-26،
دمشق، أكتوبر /يناير 1986.

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة.....
01	المدخل: المعطيات الصوتية للقرآن الكريم
02	المعطيات الصوتية للقرآن الكريم.....
23	الفصل الأول: الظواهر التشكيلية في السور المدنية
24	<u>أولا</u> الظواهر التماثلية.....
24	1-المماثلة بين الصوامت.....
24	أ-الادغام.....
31	-المماثلة الكلية المقبلية في حالة اتصال.....
36	-المماثلة الكلية المدبرة في حالة انفصال.....
39	-المماثلة الكلية المدبرة في حالة اتصال.....
43	-المماثلة الجزئية المقبلية في حالة اتصال.....
48	2-المماثلة بين الصوائت.....
48	أ- الإتياع.....
53	ب- الإيمالة.....

72	<u>ثانياً:</u> الظواهر التخالفية
72	1- المخالفة بالحذف
79	2- المخالفة بالإبدال
83	3- الهمزة ز وتخفيفه ه
85	أ- إبدال الهمزة
89	ب- تخفيف الهمزة
92	الفصل الثاني: الظواهر ما فوق تشكيلية في السور المدنية
93	<u>أولاً:</u> الإعجاز الموسيقي في القرآن الكريم
99	1- الدراسة المقطعية في السور المدنية
99	أ- الإيقاع
114	ب- المقطع
124	ج- التحليل المقطعي
146	2- النبر
171	3- التنغيم في السور المدنية
171	أ- أهمية التنغيم في القرآن الكريم

185	ب- الأشكال النغمية في القرآن المدني
189	4- نظام الفواصل
200	الفصل الثالث: أثر البناءين التشكيلي وما فوق التشكيلي في الدلالة
201	<u>أولاً</u> : أثر البناء الصوتي في الدلالة
208	1- دلالة الصوامت
208	أ- التناسب بين اختيار الصامت والدلالة
234	ب- تكرار الصامات داخل الصيغة وأثره في الدلالة
241	2- دلالة الصوائت
241	أ- اختيار الصائت
250	ب- دلالة الحركة الإعرابية
254	3- الدلالة الصرفية
266	ثانياً: دلالة الظواهر التشكيلية
266	1- دلالة التشديد
273	2- دلالة الإدغام
284	ثالثاً: دلالة الظواهر ما فوق التشكيلية

284	1- دلالة المقطع.....
292	2- دلالة النبر.....
296	3- دلالة التنغيم.....
303	أ- النغمة الصاعدة.....
306	ب- النغمة الهابطة.....
309	الخاتمة.....
313	فهرست المصادر و المراجع.....
337	فهرست الموضوعات.....

انتهى

الملخص :

تعد الدراسات اللغوية للقرآن الكريم بابا مهما لمعرفة خصائص العربية ومميزاتها وعناصر القوة فيها ، إذ أن النص القرآني هو أعلى شواهد العربية وأغناها وأمتنها؛ من هذا المنطلق جاء هذا البحث محاولة لتتبع الظواهر الفونيتيكية والفونولوجية في السور المدنية من القرآن الكريم، مع معرفة مدى إسهام هذه الظواهر في توجيه الدلالة وضبطها، فكان عنوان هذه الأطروحة : " البناء الصوتي لقسم المدني من القرآن الكريم وأثره في الدلالة".

الكلمات المفتاحية :

القرآن الكريم -الظواهر الفونيتيكية -الظواهر الفونولوجية - الدلالة - البناء الصوتي .

Résumé:

Les études linguistiques *du coran*, sont considérées comme des moyen importants pour comprendre les spécificités de la langue arabe et se qui la distingue ainsi que ses éléments de force. Vue que *le texte coranique* et le plus important témoin de l'importance de la langue arabe, sa richesse et sa consistances de ce fait, cette recherche a pour objectif premier le suivi des phénomènes phonétiques et phonologiques *dans les verset coraniques « medinites »* , pour savoir leur rôle dans la dimension sémantique, doi l'intitulé de ce projet « *la structure phonétiques des versets coranique , et son impacte sur la sémantique*» .

Les mots clés :

Le Coran - Phénomènes phonétiques -Phénomènes phrénologiques -sémantique la structure sonore.

Abstract:

The linguistic studies of the *holy Qur`an* , are the most important area to learn Arabic language characteristics and its elements of power, as the text of the Qur'an is the highest and richest Arab evidence, from this standpoint, came this research who attempt to trace the phonetics and phonological phenomena of *the medina surahs of the Qur`an* , to know how these phenomenon contribute in the direction and precision of the semantics, so the title of this thesis was . "*the sound structures of the medina surahs of the holy Qur`an and its impact on semantics*".

Key words:

the holy Qur`an - Phenetic Phenomena- phonological Phenomena- semantics- the sound structure.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
Tlemcen Algérie
تمساق الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات العربية

تخصص: الصوتيات العربية بين التراث والمعاصرة

البناء الصوتي للقسم المدني من القرآن الكريم وأثره في الدلالة

إشراف:

أ.د. أحمد قريش

إعداد الطالبة:

فاطمة ججاري

السنة الجامعية : 1438-1439هـ / 2017-2018م

المُلخَص

عرفت علوم اللغة تطورا ملحوظا عبر قرون من الزمن، وقد تدرّجت في مراحل النمو والتشعب إلى أن وصلت إلى ما اصطلح عليه المحدثون باللسانيات . هذ العلم الحديث النشأة في الدراسات اللغوية الغربية، الأصيل والمتحذر في التراث اللساني العربي، حمل معطيات وتقسيمات جديدة للدراسة اللغوية منحت فرصة لكي يحتل كل مستوى لغوي من مستويات دراسة اللغة باهتمام وعناية مستقلين عن غيره من المستويات اللغوية، فكانت اللغة بمفهوم اللسانيات الحديثة عبارة عن دراسة كل من المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي التركيبي، والمستوى البلاغي، والمستوى الدلالي، ولكل مستوى من هذه المستويات مفاهيمه ومعطياته ومصطلحاته، وطرائق لدرسه والبحث فيه، وكان حقا أن يحظى كل مستوى بدراسات خاصة، تعنى به وتحليل معطياته .

والدرس الصوتي واحد من مستويات الدرس اللغوي والذي ينبغي أن يعطى أولية في البحث والدرس، على اعتبار أن الأصوات هي الحاملة لنسيج اللغة والمؤلفة لتركيبها والمفهمة عن معانيها، فما اللغة إلا أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، على حد قول كبير اللسانين أبي الفتح عثمان ابن جني.

ولأن دراسة اللغة بغض النظر عن أي مستوى يتم تناوله إنما يقام على أساس نص أو مدونة يعنى بها اللغوي، ويتبع قضاياها وخصائصها الباحث عنها، سواء أكانت قضايا صوتية أو نحوية أو دلالية، فإن هذا النص مفتوح على كل ما تجود به الألسن، إذ يتوزع بين كلام فصيح شعرا ونثرا وقصيदा، وبين كلام محكي منطوق، كاللهجات والتراث الشفهي.

على أن هذه النصوص قد تقدم نتائج مهمة، تخص جهة جغرافية حين يتعلق الأمر باللهجات والموروث الشعبي، وقد يتعلق بجانب دلالي وجداني حين يتعلق الأمر بالقصيدة، إذ

يراعى فيه المقام والسياق وحال الشاعر وغيرها، ما يجعل النتائج آنية ظرفية تصدق على وضع ولا تصدق على غيره، ما يجعلها غير قابلة لتعميم والتعميد.

من هنا كان لزاما البحث عن مدونة لها صفة الخلود والشمول والتفرد بحيث تكون نموذجا لا يمكن مجاراته، جاءت به اللغة فحفظها واستوعب جميع خصائصها في مختلف الظروف والأحوال وفي مختلف المقامات والسياقات .

والعربية في هذا الوضع هي "أكثر اللغات شأنا وأوفرها حظا، إذ بها جاء النص المقدس المحفوظ من التحريف والتغيير، الخالد بلفظه ومعناه ونصه، الباقي ما بقيت السموات والأرض، إنه القرآن الكريم، لذلك كان من باب أولى أن تعنى الدراسات اللغوية بالمستويات اللغوية في القرآن الكريم آية وسورة، وجزءا وكتاب ككل متكامل.

وعلى هذه الأسباب جاء هذا البحث متناولا الجانب الأصواتي للغة العربية في أرقى نصوصها وهو القرآن الكريم، ولعظم هذه المدونة وضخامتها كان الوقوف على النصوص التي أنزلت بالمدينة المنورة في ما يعرف بالسور المدنية، في مقابل السور التي نزلت بمكة المكرمة - فيما يعرف بالسور المكية -، فكان عنوان هذه الأطروحة " البناء الصوتي لقسم المدني من القرآن الكريم وأثره في الدلالة".

وقد جاء هذا العمل في مدخل: عنوانته بالمعطيات الصوتية لقرآن الكريم .

وفصل أول : تناولت فيه الظواهر التشكيلية في السور المدنية .

وفصل ثاني : تناولت فيه الظواهر ما فوق التشكيلية .

وفصل ثالث : ربط المعطى الصوتي المستخرج بالدلالة .

فالمدخل كان تقديمًا لمجموعة من المعارف والوقائع التي تثبت أولية الجانب الصوتي في القرآن الكريم ومدى الحرص الإلهي على وصول هذا الكتاب المقدس إلى نفوس المسلمين غضًا طريًا

كساعة أنزل . فكان التلقين الصَّوتي أولى مبادئ التعامل مع كتاب الله عز وجل، إذ لَقَّنه جريريل عليه السلام على النبي صلى اله عليه وسلم سماعا ومشافهة، وتلقى الصحابة هذا الكتاب مشافهة، وتوارث المسلمون هذا المنهج في تلقي كتاب اله عز وجل، فأصبح القرآن الكريم يلقي مشافهة من أفواه المشايخ، ووسَّع المولى عز وجل على عباده في تلاوة كتابه، فخبَّرنا النبي الكريم أنه أنزل على سبعة أحرف، تضمن لهجات العربية وخصائصهم النطقية، كنوع من التوسعة على المسلمين في تلاوة كتاب الله عز وجل وإيضاحا لمدى استيعاب كتاب الله عز وجل للغات العرب .

ثم تفتحت عقول العرب لدراسة الذكر الحكيم، فحظيت أصواته وطرائق تشكيلها فيما بينها بعناية العلماء، فضبطوا نسيج الكلمة العربية وما يعترها من ظواهر بسبب تأليف الأصوات، كل ذلك وفق ضوابط وقواعد صوتية بحتة أدرجوها ضمن أبواب الإبدال والإعلال والإدغام والإمالة... وغيرها.

وظهرت عناية الفلاسفة بموسيقا اللغة العربية ونغماتها، وبرزت إشارات إلى إيقاع الذكر الحكيم في أبواب قرآنية كالفاصلة ونحوها . ثم إن أهل التصوف وعلماءه ظهرت عندهم جوانب مشرقة حول ربط الصَّوت بالدلالة، وكيف أن الصَّوت قد يوحي بالمعنى نوعا ما أو يوجهه .

فهذه الأبواب والقضايا هي ما سيتم تفصيله واستخراج شواهد تمثله وتوضحه ضمن فصول هذه الرسالة. إذ عنيت بالظواهر التشكيلية كالإدغام والابدال والإمالة والمخالفة في الفصل الأول من هذا البحث .

ففي الفصل الأول تتبعت أبرز الظواهر التشكيلية الواردة في السور المدنية من الذكر الحكيم، إذ أن أول ما يثير الانتباه في الدرس الصوتي، هو طرائق تأليف الأصوات فيما بينها، والقوانين التي تحكم هذا التأليف ، والمعايير والعلل الصوتية التي ترجح تغييرا ما، وقد ضبط العلماء الجانب النظري والقواعدي التي تحكم الصياغة العربية، وأدرجوها ضمن باين كبيرين، طريق تجنح فيه الأصوات نحو التماثل، وطريق ثان تجنح فيه الأصوات نحو التخالف، فأما طريق التماثل ، فهو

أن يفنى الصوت في مجاوره، بحيث تحافظ الصيغ على صوت واحد، أو يجنح إلى التقريب، بحيث يلجأ إلى صوت يكون قريبا من الصوت الأقوى من حيث مخرجه وصفاته وموقعيته، على أنه ليس كل تغير مسموح به، وإنما متى ظهرت الحاجة إليه رغبة في جعل عمل اللسان على مستوى واحد، بحيث يتحقق الاقتصاد في الجهد العضلي وبالتالي تيسر عملية النطق .

وآيات الذكر الحكيم خير الشاهد على تحقق هذه القاعدة الصوتية الكبرى في تأليف كلماته، ثم فيما تمنحه القراءات القرآنية من سعة ، تظهر الجانب الأدائي للغة، وما تحمله من مراعاة لقواعد الصياغة العربية من جهة، ولطريقة العربي في نطق لغته من جهة أخرى، فتظهر في الآية الكريمة ، الظاهرة ونقيضها كالإدغام وفكه والامالة والفتح، وغيرهما، كما أن الظاهرة التشكيلية سواء التماثلية منها أم التخالفية، تسير وفق القواعد والضوابط التي حددها علماء اللغة، وفصلٌ فيها علماء التجويد وأهل القراءات .

ثم تناولت في الفصل الثاني، مستوى أرقى من الدراسة الصوتية، تظهر فيه العناية مستوى تأليف الكلمات داخل الجمل، بحيث يتم النظر إلى الكلام ككتلة واحدة، يتم تفكيكها إلى أجزاء اصطلاح عليها بالمقاطع.

على أنه قبل الحديث عن الصياغة المقطعية للآية القرآنية، كان لزاما الوقوف على الخاصية الإيقاعية لذكر الحكيم، هذه الخاصية التي تظهر في شكل مخالف لما عرفته العربية في كلامها، إذ هو ليس كإيقاع الشعر، وإن جاء منه ما يوافق القصيد، وهو ليس بإيقاع مسجوع نمطي كالذي يعرف به النثر في أكثر صورته موسيقية، وإنما هو إيقاع متساوق يجمع الخاصيتين ويضيف إليها توازنا يظهر على أكثر من مستوى، توازن في توزيع المقاطع، وفي إيقاع النبر عليها، وتوازن في طول الآيات، وتوازن في الفواصل، ما جعل الباحثين يصنفون الإيقاع القرآني ضمن ما أسموه بالإيقاع المتوازن .

ويظهر فيه هذه الدراسة نماذج تطبيقية يبرز من خلالها ماهية الإيقاع المتوازن، كما أن بقية القضايا التطريزية المقدمة في هذه الرسالة، إنما تسير وفق تتبع الموسيقى في الذكر الحكيم وكيفية تجليها وأبرز صورها .

فالمقاطع في اللغة العربية، كغيرها من اللغات، تحكمها مجموعة من الضوابط والقواعد، تظهر من خلالها موسيقية العربية، وتجعلها مميزة لها عن غيرها من اللغات، بحيث أن نظرة في النسيج المقطعي لعبارة ما قد توضح لك عربية هذا الكلام من عدمها، والعناية بالمستوى المقطعي للآية القرآنية في هذا البحث يأتي كمحاولة لإبراز إمكانات وأشكال البنية المقطعية في أرقى النصوص العربية ، ثم إذ دراسة المقطع تعد الأرضية التي ستظهر من خلالها بقية الظواهر ما فوق التشكيلية، من نبر وتنغيم، وتشاكل في الفاصلة .

على أن الظواهر ما فوق التشكيلية أو الظواهر التطريزية، قليل التنظير لها من قبل علماء العربية الأوائل إذا ما قورن ذلك بالظواهر التشكيلية، سوى ما جاء من صنيع الفلاسفة، إلا أن المبادئ الكبرى التي تحكم هذه الظواهر التطريزية، يكاد يتفق الدارسون قدماءهم ومحدثهم على ماهيتها وعلى كنها، فالنبر في العربية ، ما هو إلا ضغط على مقطع من المقاطع، هذا الضغط، قد يتخذ أشكال متعددة، تتوزع بين تطويل المقطع المنبور، أو تضعيف الصوت في المقطع المنبور، أو إحداث همزة في المقطع المنبور، وذلك لخاصية الضغط المنتهية سلفا في صوت الهمزة .

وهو أي النبر يظهر في أي الذكر الحكيم، بين كل حين وحين وفق مسافات تكاد تكون متساوية متوازنة، وهي تتساق مع الدفقات التنفسية، والمعاني التي يحملها الكلام، والملاحظ أن القواعد التي ذكرها اللسانيون المحدثون عن النبر ، تبقى قواعد توضيحية أكثر منها تقنية وحاصرة ، ذلك أن تنوع المقاطع في الكلام وطريقة توزيعها لا يكاد حصرها، وكل ترتيب مقطعي يحمل معه توزيعا نبريا، قد تقترب القاعدة من تحديده، وقد يكون للجانب الأدائي رأي آخر، لذا تصبح ظاهرة النبر ظاهرة أدائية بحتة، تشعر الأذن حين سماع الكلام بالمقاطع المنبورة، وتساعد القواعد

التنظيرية على تحديدها، وتبقى المعامل أكثر الطرائق والوسائل قدرة على ضبط مواضع النبر في الكلام .

والنص القرآني إن توفرت هذه المعطيات لاستخراج مواضع النبر في آياته، يكون حظ الدارسين من دقة عملهم أوفر، ذلك أن تلاوة القرآن الكريم مضبوطة محددة، وقراءته المتواترة، تسمح بتقديم نتائج دقيقة واضحة.

ثم تناولت التنعيم بالدراسة ، وهو يعد من أكثر الظواهر التطريزية عناية واهتماما ، وذلك لتضافر مجموعة من العوامل في إظهاره وإبرازه، إذ يرتبط بمدى علو الصوت، وبتوقيع الألحان، ويؤتى بالنعيمات مراعاة لمقام والحال وطلبا لدلالة محددة معينة .

ولأن السلسلة الكلامية تحمل في طياتها مدى نغمي يتراوح بين الصعود والهبوط والايجاب والسلب ، فقد قرّر الدارسون أن الحكم على تنعيم جملة ما إنما يقع بالنظر إلى آخر نعمة جاءت في الكلام، من هذا المنطلق قمت بتتبع النعمة الأخيرة من الآيات القرآنية المنتقاة، وقد قدمت الأساليب للبلاغية لي دفعة مهمة في الحكم على تنعيم آية ما، إذ يؤتى بالأساليب البلاغية وفق نعيمات مناسبة ومتلائمة مع المواقف والأغراض .

ولأن الفاصلة القرآنية جزء مهم من المنحى النغمي في الذكر الحكيم، فقد كان لزاما الوقوف عند فواصل السور المدنية، باعتبارها شكلا من الأشكال التي تبرز الإيقاع القرآني. على أن مبنى الفواصل في السور المدنية إنما هو تتبع رؤوس الآيات والإتيان بها دلالة على تمام المعنى وانتهاء الآية.

وبعد هذه الجولة في البنية الصوتية للسور المدنية كان لزاما ربط هذا الجانب بالدلالة، والمعنى ، ذلك أن الغاية من أي تركيب لغوي إنما هو تحقيق دلالة معينة وحدة .

على أن علاقة الصَّوت بالدلالة هي قضية تعرف خلافا بين الدارسين، بين مؤيد لوجود علاقة واضحة بيّنة بين الأصوات والمعاني، وبين منكر لأن تكون للأصوات ارتباط بالمعاني، وقد عاجلت هذه القضية في المبحث الأول من الفصل الثالث، عرضت فيه للآراء المخالفين والمؤيدين، وانتهت فيه إلى أن العلاقة بين الصوت والدلالة وإن كان يصعب تحديدها وتقنينها، إلا أنه لا ينبغي إنكار تأثير أصوات الكلمات في نفوس المتلقين، ومنحها نوع من الإيحاء على دلالة معينة. فالأصوات اللينة الهادئة الجرس تبعث الارتياح، والقويّة تناسب مواقف الزجر والتعنيف، والممدودة تناسب مواطن النصح والإرشاد إلى غير ذلك، ولكل هذا شأن في بلاغة القول وروعته ومطابقتها لمقتضى الحال وتجد ذلك واضحا في الأسلوب المحكم المعجز للقرآن الكريم وبلاغته.

وقد تراكب مجموعة من الأصوات لتدل على معنى، هو من نسيج خصائصها الصوتية، كما يحدث في الاشتقاق الأكبر الذي ذكره ابن جني، وقد يتكرّر الصوت، صامتا كان أو صائتا في صيغة ما وفي السلسلة الكلامية مما يمنح المتلقي شعورا بمعنى ما، على أن تأثير الأصوات لا يكون عبثا وإنما يقع ضمن نطاقات وأشكال معينة، إذ قد تظهر هيمنة وبروز لصوت معين في المفردة، ما يقوي معنى ما.

فالدلالات لا ترجع إلى قيمة الصَّوت في حدّ ذاته بقدر ما تكون وليدة السِّياق وخليقته، فالسياق هو الذي حمّل الصَّوت هذا المعنى، وهو الذي استخدم الحرف أو الكلمة كصوت يلبسها دلالة سياقية حينية مؤقتة، وليست دلالة دائمة تستصحب في غيره من السِّياقات، فكل سياق له دلالة التي يجعلها على أصواته، وكل قارئ أو سامع له ذوقه الخاص في استكناه دلالة تلك الأصوات وتأثره بها، وإن كان هذا لا ينفي وجود حسّ أو ذوق عام يكاد يشترك في فهم دلالات كثير من تلك الأصوات في السِّياقات والمواقف المختلفة.

ثم إن الإتيان بالكلمات وفق صيغة محددة ومعينة مما ضبطه علم الصرف، يجعل ضبط الدلالة أمرا ظاهرا، إذ لكل صيغة صرفية دلالة معينة، ومن أبرز الأبواب الصرفية التي تتجلّى فيها

علاقة الصَّوت بالدَّلالة، باب زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى، ومعناه أنه كلما طرأت زيادة على عدد الحروف الأصليَّة المؤدِّيَّة لأصل المعنى ازداد المعنى ودلَّ على تفرِّعات جديدة في مفهومه لم يدل عليها اللفظ في جزئه الأصلي .

ومن باب الدلالة الصرفيَّة ما تحمله صيغة التشديد، وقد كثر في القرآن الكريم مجيء وزن (فَعَّل) وهو في أشهر دلالاته دال على معنى الكثرة، حتى دفع ذلك بعض اللغويين إلى أن يتصوَّر أن هذا الوزن لا يراد إلا لهذا المعنى، فقال: "(فَعَّلت) لا يكون إلا للتكثير، كقولك : أغلقت الباب وغلَّقت الأبواب، فإن قلت غلَّقت لم يجز إلا على أن تكون قد أكثرت إغلاقه.

وانطلاقاً من هذه القواعد والمبادئ النظرية جرى تتبع الصيغ الصَّرفية في الآيات المدنية ، مبينة مدى دورها في إبراز الدلالة وإظهارها .

ثم تطرقت إلى الدلالة التي تظهرها بعد الظواهر التشكيلية وأبرزها الادغام، إذ يُفسَّر الادغام كظاهرة صوتية، تقوم على زيادة مدة النطق في صامت ما، مع طلب الخفة والسهولة، إذ فيه إخفاء صوت ما وإفناؤه في ما يماثله أو ما يقاربه، وهذا المفهوم الصوتي قد يلقي بظلاله في بعض المواضع فيظهر بصورة جليَّة واضحة.

وفي المبحث الأخير تطرَّقت إلى دلالة الظواهر التطريزية من مقطع ونبر وتنغيم، ويعد تتبع هذه الظواهر وتبيان إسهاماتها في الدلالة من الاجتهادات التي يقدمها الباحثون ، والتي تخضع إلى مدى قدرة الدارس على إيجاد ربط منطقي ودقيق بين مظاهر التطريز والدلالة .

إذ قرَّر الدارسون أنَّ النسيج المقطعي قد يتدخل في رسم دلالة ما، وقد يعكس جواً نفسياً معيناً، فالباعث على إيقاع ما يكون مرتبطاً بنوعية المقاطع وكيفية توزيعها، بحيث يكون الإيقاع بطيئاً أو سريعاً بحسب التجربة والمغزى والجو.

وعلى هذا الأساس أصبحت الدراسات الصوتية الحديثة تولي عناية بالمقاطع وأشكالها وترتيبها خاصة في القرآن الكريم، إذ أصبح مُقرراً، أن طول المقاطع وقصرها مرتبطان بالانفعالات والمضامين المختلفة، كما تكشف خارطة التشكيل المقطعي الذي تحويه الآيات إلى جانب الدلالات الخفية، ومدى انسجامها مع الإيحاءات التي تبعثها (النص) أي القرآن الكريم. بل إن الحالة النفسية هي التي تتحكم في نطق الكلمات ذات المقاطع، بحيث يوجد هناك تناسب طردي بين السكينة وزيادة المقاطع، فكلما كانت النفس هادئة كثر استخدام الكلمات ذات المقاطع الكثيرة، وكلما كانت النفس مضطربة قل استخدامها، وهكذا حسب درجة الانفعال.

ثم إن مجيء هذه المقاطع الصوتية في الكلمات وتواليها على نسق معين، ذو أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية المنبعثة من إيقاع المقاطع ونغمها ويزداد التعبير قدرة على التأثير عندما تتناسب نغمات المقاطع وإيقاعاتها مع الأفكار التي تعبر عنها وتصورها، فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة وتلائم مواقف الحزم والجزم والقوة أكثر من المقاطع المفتوحة ولذلك كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لونا من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة، وكذلك فإن المقاطع المفتوحة تناسب لونا آخر من التعبير لا يتأتى مع المقاطع المقفلة.

فهذه بعض تنظيرات الدارسين، حول قدرة المقطع على توجيه الدلالة، وتطبيق ذلك كان في نماذج من القرآن الكريم في شقه المدني .

وفي سياق الدلالة دائما تناولت علاقة النبر بالدلالة، ويقسم الدارسون النبر من حيث تأثيره في المعنى إلى شكلين، نبر حر ونبر ثابت، ويعنون بالنبر الحر ما أمكن تغيير معنى الكلمة أو الشكل عن طريق تغيير موضعه. وفي هذه الحالة إذن يؤدي موضع النبر دورا لسانيا ويكون ظاهرة مميزة ناقلة للمعنى. والعربية لا تنتمي إلى هذا النوع من النبر بل النبر فيها من النوع الثابت الذي لا يؤدي غلى تغيير في المعنى. إلا أن النبر في العربية قد يسهم بطريقة ما في تحديد الدلالة، وذلك ضمن

ما أسموه بالوظيفة الدلالية للنبر واصطلحوا عليه، بنبر الجمل أو النبر السياقي، وعنوا به أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد في نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص؛ "إنه مرتبط بالأداء والمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع، فإذا قلنا مثلاً: نجح محمد في الامتحان، فإن الغرض من الجملة يختلف باختلاف الكلمة التي ينبرها المتكلم، فإذا كان التركيز على الفعل (نجح)، فالمراد التأكيد على الحدث، حدث النجاح، وليس غيره وإذا كان التركيز على اسم (محمد)، فالمراد التأكيد على أن محمد نجح و ليس خالداً أو غيره. وفي القرآن الكريم، يعين الأداء الشفهي المسموع على تجسيد موضع النبر، ولا سيما أنه أداء مضبوط بقراءات متواترة، وعادة ما يكون نبر مقطع معاً زيادةً وتأكيذاً وإبرازاً لدلالته ومعناه، وفق السياق الوارد فيه .

بقي مظهر التنعيم ، وهو عنصر صوتي تتجلى فيه الدلالة بوضوح ذلك أن من مظاهر التنعيم أنه يزيل اللبس عن معنى الجملة وبه يدرك الفرق بين المعاني، وهذا يتأتى بإتقان مجموعة طرق الأداء في النطق والتي تتمثل في النبر، والوقف، والسكت والإيقاع، ووصل الكلام، واختلاس بعض الأصوات والاستغناء عن بعضها ومد بعضها لتكون واضحة. هذه الأمور هي علامات بارزة وهي ما يكون التنعيم. فالتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتاب، أو الاستحاث، أو لفت النظر، أو الامتعاظ إلى غير ذلك. ودراسته في هذه الرسالة كانت ضمن نطاق الأساليب البلاغية إذ هي مُعين مهم على تحديد طبيعة النغمات وعلى تحديد المراد من صيغة ما.

وبهذه العناصر اكتمل هذا البحث العلمي مفضيا إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- يشكّل القرآن الكريم أهم مصادر الدرس الصوّتي للغة العربية.
- تحكّم الظواهر الصوتية في القرآن الكريم مجموعة من القوانين، تحقق مبدأ السهولة واليسير، أبرزها الاقتصاد في الجهد العضلي، والرغبة في التيسير، والتخلص من المقاطع القصيرة المتماثلة.

- تتجلى موسيقية اللغة العربية من خلال القرآن الكريم، إذ به نمط من الإيقاعية يستوعب، إيقاع الشعر وإيقاع النثر معا، وما اصطلح عليه الدكتور، تمام حسان من الإيقاع المتوازن، يعد أفضل توصيف لماهية الإيقاع في الذكر الحكيم.
- حدّد اللسانيون ضوابط تحكم النسيج المقطعي للعربية، ويعد القرآن الكريم من أفضل النصوص التي تعكس البنية المقطعية للعربية في أفضل أشكالها وأحسنها.
- النبر ظاهرة أدائية صرفة لا يمكن ضبطه إلا بمعاينة الجانب الأدائي والشفاهي للغة، وكتاب الله عز وجل يقدم خدمة كبيرة لدرس هذا الجانب المهم باللغة العربية، إذ تضمن التلاوة المتواترة قراءة نموذجية لأي دراسة تتوخى الوقوف على الأشكال النبرية وكيفية تموضعها في اللغة العربية .
- التنغيم ملمح تمييز مهم في اللغة العربية، وهو في القرآن ظاهرة أدائية مهمة، حرص أهل علوم القرآن والتجويد، على ضرورة مراعاتها في تلاوة أي ذكر الحكيم - فهم وإن لم يعرفوا المصطلح - إلا أنهم حرصوا على تبيان ضرورة أن تقرأ مواضع التهديد بما يلائم التخويف، ومواطن النعيم بما يلائم البشارة ، وقس على ذلك ، مما يعد التنغيم أساسا لتواجهه .
- ربط الصوت بالدلالة باب مهم ويعد ملمحا مهما يبين عبقرية اللغة العربية، وهو في القرآن الكريم، يعد شكلا من أشكال الإعجاز، مما يؤكد على ضرورة أن يحظى هذا الفرع من الدلالة بمزيد العناية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

INTRODUCTION

In the name of Allah ,the beneficent, the merciful. blessings and peace be upon the prophet , and on his family , his companions and his descendant followers .

Praise be to Allah , lord of the words .

Al –Rafi once Said “the Arabic language is featured by an extraordinary force that catches man’s fancy , as if it were a magic act. In fact , this is due to its being a circular orbit of the great men on earth , the glorious Quran and the sunnah of the prophet Muhammad – peace be upon him- this what gives the Arabic language strength and eternity .

Hence the ability to acquire and learn the glorious Quran and the sunnah doesn’t come from nothingness .It really is a reflection of its strength and core values that shape its composition .

Thanks to the language power through which the difficult equation of the holly Quran , whose components are letter , word , phrase, expression, and sentence is achieved .

Although it is the speech of the Arabs , their language and their dialects, they came to a standstill , looking thorough at its strange system and sound from. It convert their dazzle to study and research that is embodied and interpreted in books of linguistics , rectories and miracles

Retracing the steps of scholars , whose main concern is the Arabic language

We attempt to explore syllabification through texts of Quran focusing on the continuous stream of sound in the holy book.

Because speech sound is a complete construction and because the language used in Quranic texts varies according to the variety of subject and purposes' this study tries to give some information about the civil part of the glorious Quran since it is considered as a basic code for the development of phonetic and phonological aspects of the Arabic through which Arabic appears in a high level of quality level of quality in its expressionistic style , its distinctive performance and its multiple aspects of reading.

So , the now of this study is to investigate ,.

“ Sound structure of civil section in the glorious Quran and its impact on significance “

I avail of the chance to keep studying in the field of civil Quran to complete the study already performed in the Master . yet, the aim of this work is to unravel shed light an the sound structure Ali – Imrane which is known as a civil verse .

I reached a range of results and I want to know to what extent they can be general rules to fix used master and determine the sound wordings of the holy Quran in its specific civil part , especially the

acoustic Quran that are less visible , less apparent and less prominent when compared to the Meccan

The latter which needs further study to reveal the advantages of its sound And because the book of Allah serves each other, I try to know to what extent the ability of the auditory system can direct the Quranic significance .

Suffice it say that the research problem of my study is built upon these concerns .

How to reflect the employment of Quran to the aspects of sound ? its characteristics ? its manifestation ? as well as its levels? Can it be a miraculous sound phenomenon in the Holly Quran ?

How does the principle of ease and facilitation projected in the performance and soundly in the civil part of the holy Quran appear ?

How do sound phenomena manifest in Quran ?

To what extent do the supernatural phenomena emerge in the civil Quran?

How do tengim samples appear in the book of Allah ?

Can the syllabification system contribute to the phenomenal performance in directing and demonstrating significance?

In such a case the first step , in fact highlights primarily the sounding part in the glorious Quran , say, priority is given to pronunciation among Arabic lessons , in eluding the most important

stages of sound control of the Holy Quran , then to shed light on the vocal phenomena that are identified earlier by the Arabic linguistic studies .

The first chapter deals with the most overriding phenomena that appear in the civil part . The phenomenon of assimilation such as coalescence , twinning catenation , linking intrusion ,.....and other differences such as, Elision , weakening , reduction,.....

The second chapter deals with the phenomena above from, beginning with rhythm and the study of syllable, stress and intonation and finally the Quranic (rising and falling tone).

In the third chapter ,attempts are made to connect sound with meaning , starting with phonemes (sound alone) , then in combination with other sounds i.e. in a structure or in connected speech that is a technical term used for words that combine to produce complex constructions . Unlike spelling, this has number of interesting consequences concerning the rhythmic organization of stress and intonation.

And finally a conclusion that comprises the most prominent findings .

This study is priced by studies varying from memoirs of magister and doctoral theses, I am interested in the study of the voice in the Holy Quran, whether by putting emphasis on Quranic tests such

as this study or focusing on the book of interpretations and the sound contest there in .

This work includes in its construction procedures of previous studies, as it means the level of speech sound of an important of God 's Almighty book.

viewing thoroughly to the soundness of voice with the help of books of interpretations and reading ,as the publication of Ibn Al – Jazri and disclosure of Makki Ben –Abi- Taleb and the care of achiving utterance reading . And books of interpretation such as the liberation and enlightenment of sheikh Taher Ben Ashour and scouts of Zamakshari , and in the shadow of Quran of Sayid Qutb and the ocean surrounding of Abu Hayyan Al-Tawhidi . Besides I relied on the reference books of linguistics such as the book of sibawih and the characterics of Ibn Al-djini ,

The meaning of Quran of ferra a , the meaning of Quran of Uahass ,

The meanings of readings of Azhar and books of modern phonology, toward the Appuaches of research in the language of Tamam Hassan .

The linguistic sounds of Ibrahim Anis and others.

Despite the ramifications of any study dealing with the Quran at various levels , I have often seen to weakness of analysis of some of the Quranic evidence, books of interpretations and readings all fall into line with one analysis exhibiting the word and its meaning in

meaning in more than one work and more than a science that distracts efforts on very important group among sources and references resulting little or us analysis in most of the times.

Moreover , the issue of how to deal with the phenomena above pattern /prescribed from in the Holy Quran. The task is based on two main pillars, the Quranic performance and the Arabic rules reached by researches , though issues remain purely performance phenomena that need sound mechanism to be adjusted appropriately .

In this work, I have used the descriptive and analytical methodology that is appropriate to the data of the message.

Finally,I would like to extend my thanks to the honorable professor ,dr.ahmed quraish. For his patience, great cooperation and support, and for his advice and guidance, wich he did not spare us until this message reached light .he has great thanks and gratitude.

Fatima Hadjari

05/10/2017

Tlemcen.

Conclusion

The results of this research are :

Quran is regarded as the most important sources of sound themes of the Arabic language.

The voice search of the holy Quran ,in fact ,begins from the moment it descends upon the prophet Mohammed peace be upon him

The maintenance and presentation of vocal level, where has been passed from generation to another ,is thanks to the contribution of the Arab man's illiteracy

The latter which imposes the hearing skill on Arab man

The principle of capacity ,the term in its broadest sense, sought by the Arabic language at all levels is considered the glorious Quran, the greatest incubator of it .

The multiplicity and plurality of readings ,and the absorption .
.Of the Quran the Arab dialects are two main reasons that make Quran possesses the ability to absorb sound phenomenon , and its contrast such as coalescence , resyllabification , opening , aspiration weakening..and the like.

The phonetic phenomena in the holy Quran are governed by a number of rules that achieve the principle of ease facilitation and get ride of similar short sections.

Sound phenomena in Quran seek to create certain homogeneity between sounds (voiced and voiceless/unvoiced) to make tongue movement of one face and consequently to achieve the principle of escape from the heaviest to the last heavy

The second side facilitating and getting away from the weight is violation. The latter which is the sound phenomenon of origins that appear in the everyday speech of the Bedouin tribes for the sake of lightening and weakening.

The Arabic language is clearly demonstrated through the glorious Quran. It has a pattern of rhythm that can accommodate both poetic and prose rhythms. What is referred to by Dr. Tamam Hassan as balanced rhythm is the best characterization of the rhythm in the holy Quran.

In its civil part, Quran witnesses a kind of rhythmic monotony due to the length of its verses and the nature of its legislative subjects for the most part of it.

Syllables carrying stress and pitch (rising falling tones) based on aspirated rhythm taking into account the flow of air and the language system, which is an important means to learn acceptable and unacceptable textual features of the Arabic language.

Linguists determine rules that govern textual connected speech of the Arabic language. Quran is considered as one of the best texts that reflect the sectional structure of Arabic in its best forms.

In Arabic ,it seems somehow difficult to follow stress in its functional definition. However , in terms of phonetics it appears in several forms dealt with in ancient and modern Arabic studies .

The force put on a sound and the increase of its length , that is in fact forms of stress known in the Arabic language and show in Quran readings.

Stress is a pure performance. that can only be determined by examining the spoken function of the language .Quran indeed truly serves this important aspect of Arabic .

The frequent recitation includes a typical reading of a my study that aims at identifying the eloquent forms and how they are placed in Arabic .

Toning is an important distinguishing feature in Arabic , just at it is an important phenomenon in Quran. Quran readers recites take it into consideration. They insist on the necessity of the use of toning that goes in accordance with the nature of the subject. it acts in response to the call of fear or joy and the like . so the presence of toning is essential in conveying different meaning.

Toning studies in Quran accompany rhetorical styles these in fact, project a weak picture in civil Quran when compared the Meccan one .

The way to deal with stress in Quran is still proceeding very cautions steps though studies prove the existence of forms and

patterns of stress that can be used when in need of analyzing stress in Quran in particular as well as the Arabic speech in general. Reading of Quran present a very important and rich field of study through which varieties of performances are shown in Arabic.

Linking voice to significance is an important feature that shows the genres of the Arabic language . it is in fact considered as from of miracles which emphasizes the need for more care and concern as far as significance is concerned

Quran is undoubtedly a linguistic background which does not believe in borders by no means just as no restrictions are put to its linguistic miracles.

Researches and studies will keep on shedding the light on manifestation and forms of its linguistic miracle. The aspect of sound to which Quran greatly serves its study and makes it an ideal model to set the structural rules and usage of Arabic .

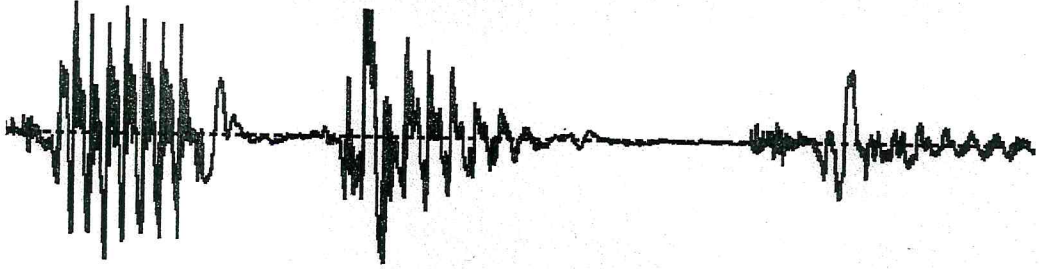
Praise be to Allah , the lord of the worlds

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة سعد دحلب البليدة

- كلية الآداب و اللغات - قطب العفرون -
- مخبر اللغة العربية و آدابها - الصوتيات -

الصوتيات



حولية أكاديمية محكمة متخصصة

تصدر عن مخبر اللغة العربية و آدابها - الصوتيات

البليدة - الجزائر

العدد الرابع عشر - ديسمبر 2013

رقم الإيداع : 2005-2762

ISSN : 1112 - 6426

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعد دحلب - البليدة
كلية الآداب و اللغات - قطب العفرون
مخبر اللغة العربية وآدابها - الصوتيات -

الصوتيات

حولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر
عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة
جامعة سعد دحلب - البليدة - الجزائر

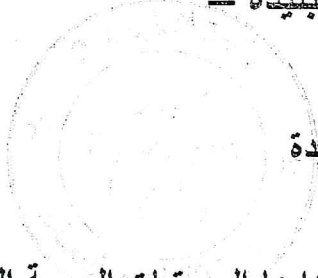
العدد الرابع عشر - ديسمبر 2013

رقم الإيداع : 2005-2762

ISSN: 1112 - 6426

الصوتيات

حولية أكاديمية محكمة متخصصة
تصدر عن مخبر اللغة العربية و آدابها - الصوتيات -
جامعة سعد دحلب - البليدة -



- الرئيس الشرفي: الأستاذ عيادلية محمد الطاهر
رئيس جامعة سعد دحلب-البليدة

- مدير التحرير : أ.د / عمار ساسي.
مدير مخبر اللغة العربية و آدابها-الصوتيات العربية الحديثة

- هيئة التحرير : د/ صادق خشاب د/ نورالدين بلاز
د/ محمد لالوق د/ عثمان مسوس

- التنسيق التقني و الإخراج : أ/ كمال حسايني

*- الهيئة الاستشارية العلمية:-

- أ.د / عبد الرحمان الحاج صالح - الجزائر.
- أ.د/ جعفر دك الباب - سوريا.
- أ.د/ محمد العيد رتيمة - الجزائر 2 .
- أ.د/ عبد العزيز مجي الدين - البليدة .
- أ.د/ أحمد عزوز - وهران .
- د/ ناصر الدين خليل - وهران .
- أ.د/ ماجد أبو ماضي - سوريا .
- أ.د/ مكي ترار - وهران .
- أ.د/ نادية صام - البليدة .
- أ.د/ مصطفى بوعناني - المغرب .
- أ.د/ حسن محمد بشير - السودان .
- أ.د/ خلف الخريشة - الأردن .
- د/ سيد علي صحراوي - البليدة.
- أ.د/ دليلة براكني - البليدة.
- أ.د/ جيلالي بن يشو - مستغانم.
- أ.د/ جمال معتوق - البليدة.
- أ.د/ عبدالرزاق بن عمر - تونس.
- أ.د/ عبدالقادر سلامي - تلمسان.
- أ.د/ محجوب بلمحجوب - البليدة .

عنوان المراسلة : أ.د. عمار ساسي مدير مخبر اللغة العربية و آدابها -الصوتيات العربية الحديثة-
كلية الآداب و اللغات - جامعة سعد دحلب - قطب العفرون-البليدة - الجزائر

Fax : 213 25 43 11 64 Dr.saciamar@yahoo.fr Tél : 213 7 72 93 06 59

فهرس العدد الرابع عشر

1		الإفتتاحية	أ.د. عمار ساسي
الصفحة	عنوان المداخلة	الأستاذ	
04	من أسرار النون في القرآن الكريم- وهران	حدّاش	د. قارة
32	التأليف الصوتي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية لسورة آل عمران)	حجّاري	أ. فاطمة
46	السّوايق و اللّواحق و بناء المصطلّحات: قراءة في المصطلّح الصّوّيّ - جامعة البليدة	هتهوت	أ. محمّد
57	اختلاف القراءات القرآنية في نظر المستشرقين - تيارت	عايش	أ. محمد
68	أثر الظواهر اللّغوية في الاختلاف بين قراءتي ورش وحفص "السّلس الأول من القرآن نموذجاً"-البليدة	بن أحمد	أ. محمد
82	تاء افتعل بين الثبوت والتحول -دراسة تأصيلية - جامعة الملك فيصل- المملكة السعودية	محمد عزمي العفوري	د. حسام محمد عزمي العفوري
111	اللغة في التلفزيون وظاهرة التأثير في الاستعمال (المستوى الصوتي أمودجا) - جامعة البليدة	بوخاوش	أ. سعيد
128	أزمة المصطلح العربي " فيما تمثل أزمة المصطلح في الوضع أم الاستعمال " ؟-البليدة	هاشمي	أ. فضيلة
134	إشكاليّات المصطلح السّيميائيّ - البليدة	تقاجبي	أ. صالح
153	مدخل مصطلحي للعلامة والدليل في الفكر اللساني العربي والفكر الغربي-دراسة تحليلية مقارنة في النحو العربي والدراسات اللسانية الحديثة - جامعة الجزائر 2	معمر شاوش	أ. سعاد
165	اللسانيات النصية و تعليمية التعبير الكتابي وفق النمط الوصفي - جامعة الجزائر 2	بلعري	أ. بهية
181	لغة المدح في هزيتي أبي تمام - الأردن	قاسم	د. محمد صالح
207	جماليات اللون في شعر السّري الرّقاء - جامعة تبوك، المملكة السعودية	المرازيق	د. أحمد جمال
230	الاغتراب ... الشاعر ... و المدينة -جامعة البليدة	بن ناجي	محمد لحضر
237	" هل المخطوطات العربية لدى الغرب نقمة أم نعمة ؟ " - البليدة.	خيراني	سليم
244	فسيفساء المادة الحكائية في: حكاية العشاق في الحب و الاشتياق لمحمد بن براهيم بن مصطفى باشا- البليدة	مستور	رجاء
257	واحدية المكان وتعدد وجهات النظر القط الذي علمني الطيران نموذجاً-جامعة جدار-الأردن	شخاترة	خولة
270	أدب الطفل في الثقافة الشعبية العربية -دراسة تراثية في الذاكرة الجماعية العربية - جامعة المدية	جوابلية	نوال
279	البعد الاجتماعي في أسطورة أنزار- بجاية	بن لباد	سالم
العلوم الإنسانية			
288	عنف فرنسا اتجاه الجزائريين وأثره على حياتهم الفكرية والثقافة خلال الفترة 1830-1940م-البليدة	شيخي	رشيد
299	النظرية الاجتماعية وظاهرة العنف. نموذج نظرية البناء الاجتماعي ونظرية الوصم الاجتماعي	جوزه	عبد الله
321	التّخطيط التّربوي: ماهيته، مبادئه، ومعايره الأساسيّة - جامعة الجزائر 2	فرحاوي	كمال
342	القضاء الدولي الجنائي المؤقت و دوره في تطوير قواعد القانون الدولي الجنائي - البليدة	حموم	جعفر
351	Sul cammino della cultura italiana : Antonio Gramsci – Univ Blida	Abbes	Djawi

التأليف الصوتي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية لسورة آل عمران)

الأستاذة : فاطمة حجاري

1/ المنهج الصوتي لانتلاف الأصوات في اللغة العربية

تجنح العربية إلى طلب الخفة في صياغة كلامها، وتحرص على سلامة نسيجها من كل ما يجعله ثقيلًا ومنفّرًا؛ وما ظواهر الإبدال والإدغام والحذف وغيرها إلا سبيلًا، اتخذته العربية فرارًا من الثّغرة وطلبًا للخفة .

غير أنه وقبل أن تسنح الفرصة لمثل هذه الظواهر لعمل عملها، فإن اللغة العربية اهتمت بتأليف الأصوات داخل بنية الكلمة، بل وسعى علماء العربية إلى ضبط معايير هذا الانتلاف، وأدرجوا ذلك كله ضمن حسن التأليف؛ وعدّوا من شروط فصاحة المفرد، خلوصه من تنافر الحروف، إذ بسببه تكون الكلمة متناهية في الثقل على اللسان ويعسر النطق بها، ومنه ما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال تركتها ترعى الهعنع¹.

وإن كان معيار هذا الحكم يرجع بالنهاية إلى الذّوق، ووقع الكلمة في أذن السّامع وقلبه؛ ولا يوجد أحسن من النّص القرآني مراعاة للخفة والذّوق والموسيقية في تأليف كلماته، وذلك ما سنحاول استكشاف شئ منه، على أنه ينبغي بداية التّعريف على منهج العرب في انتلاف أصواتها. أشار علماء العربية إلى ضرورة مراعاة الانسجام بين أصوات الكلمة وقدموا في ذلك أفكارا مهمة ورائدة، فالخليل (ت175هـ) رفض تجاور الحاء والعين في كلمة واحدة يقول: "لولا بحة في الهاء لأشبهت العين؛ فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة، وكذلك الهاء؛ ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم: حيّهل². فهما لا يأتلفان في كلمة أصلية الأصوات لقرب مخرجيهما³.

فُقرّب المخارج مدعاة للثّغرة والثقل في الصّيغة، وقد فصل ابن دريد (ت321هـ) في ذلك تفصيلا دقيق فقال "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق

¹ - القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت،

ط1414، 3/1414، م1993، ص23، 22/1.

² - السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص153/1

³ - تمهيد اللغة ص65/1.

دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا أو حركات مختلفة؛ ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء، فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاءا في بعض اللغات لقربها منها؛ نحو قولهم في: (آم والله)، هم والله وكما قالوا في (أراق) هراق، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاءا... وإذا تباعدت مخارج الحروف حُسُن وجه التأليف... واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لصعوبة ذلك عليهم؛ وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل أخ¹.

ففي الجمع بين أصوات متقاربة المخرج تكليفُ اللسان جُهدا كبيرا، إذ يظل اللسان يعمل في منطقة واحدة في فترة زمنية متقاربة، ودون وجود فاصل وفي ذلك من الإجهاد الكثير.

وزاد السبكي على ذلك، ما نقله عنه السيوطي (ت911هـ)، "بأن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من صوت إلى صوت لا يلائمه قريبا أو بعدا"²؛ وقد قسّم المخارج إلى ثلاثة مجموعات، العليا، الوسطى، والدنيا، وجاء بياني عشرة تركيبا على النحو التالي:

الأول - الإنحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو (ع د ب)

الثاني - الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو (ع ر د).

الثالث - من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو (ع م ه).

الرابع - من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو (ع ل ن).

الخامس - من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو (ب د ع).

السادس - من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ب ع د).

السابع - من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو (ف ع م).

الثامن - من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو (ف د م).

التاسع - من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو (د ع م).

¹ - ينظر: جمهرة اللغة، ص 09/1.

² - ينظر: الزهر، ص 156/1.

العاشر - من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (د م ع).

الحادي عشر - من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ن ع ل).

الثاني عشر - من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو (ن م ل)¹.

فالواضح من هذه التراكيب ، الحرص على عدم الجمع بين الأصوات المتقاربة في المخرج ، وإيثارهم بناء الكلام من أصوات متباعدة المخرج ، يقول ابن جني (ت392هـ) : "وإذا اختلفت أحوال الحروف حَسُنَ التَّأْلِيفُ"² ؛ وحلَّص إلى أن الأصوات في التأليف على ثلاثة مراتب : "أحدهما : تأليف المتباعد وهو الأحسن.

والآخر: تضعيف الحرف نفسه ، وهو يلي القسم الأول في الحسن .

والآخر: تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين ، فإما رُفِضَ البتة ، وإما قَلَّ استعماله.³ لذلك فأحسن التأليف ما بوعده فيه بين الحروف.⁴

ذلك أن نطق صوتيين متقاربين ، أو متجاورين ينجرُّ عنه ، إضافة إلى الثقل أن يكون الصدى والجرس المنبعث منهما واحدا ، ففي نطق اللسان صوتا بعيد المخرج عن الصوت الأول ، اختلاف في الصدى وتَنوُّع في الصوت والموسيقا .

وهذا ما أكَّده ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) إذ نصرَّ "على أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخرج... و... علة هذا واضحة ، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من الشمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، لقرب ما بينهما وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود ، وإذا كان هذا موجودا في الصفة لا يحسن النزاع فيه ، كانت العلة في حُسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حُسن النقوش إذا مُزجت من الألوان المتباعدة."⁵

ويقصد ابن سنان في هذا النص الكشف عن الاتفاق في طبيعة التناسب في كل من الشعر والرسم ، ومادامت الألوان المتباينة - في تقديره - أفضل من الألوان المتقاربة ، لأن الضد يُظهر حُسنه الضد ، فلا بد أن تكون اللوحة التي تجمع بين ألوان متباعدة يقع بينها تجانس ، أحسن منظرا من الأخرى التي تتشكل من ألوان متقاربة ، وكذلك الأصوات في الكلمات تخضع للمبدأ

¹ - المزهر، ص 157/1.

² - الخصائص، ص 57/1.

³ - سر الصناعة، ص 431/2.

⁴ - ينظر: نفسه، ص 429/2.

⁵ - الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 64.

نفسه ؛ كلما تباعدت مخارجها كانت أحلى في السمع ، من الأصوات التي تتقارب مخارجها ، فحال الأصوات شبيه بحال الألوان سواء بسواء¹.

على أنه يمكن أن يُضاف إلى الاعتبار العضوي و المخرجي ، اعتبار القيمة الصوتية من تفخيم وترقيق ، "فيمكن بهذا أن ندعي مثلا ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاريات وهي أشد الحروف استقلا"².

وقد قدّم الجاحظ (ت255هـ) بدوره إسهامات في هذا الباب بل هو أول البلاغيين الذين تنبهوا إلى هذه القضية ، حيث تناولها في كتابه البيان والتبيين ، عندما تناول الاقتران بين الحروف والألفاظ ، مما قد يحدث بينهما تنافر ، فذكر "أن الجيم لا تقارن الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الدال بتقديم ولا تأخير"³.

وغير بعيد عن ذلك ميز الرماني (ت386هـ) بين التلاؤم في القرآن والتلاؤم في كلام الناس ، وذلك بإضافة مرتبة ثالثة عليا إلى الطرفين الذين تحدث عنهما الجاحظ في مبحث الاقتران (التنافر والتلاؤم) فقال : "التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه ، متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا"⁴.

قال الإمام أبي الحسن الرماني : "مخارج الأصوات مختلفة ، منها ما هو من أقصى الحلق ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك ، والسبب في التلاؤم ، تعديل الأصوات في التأليف ، فكلما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، فإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"⁵.

¹ - ينظر: مصطفى السعدني، البناء اللفظي في لزوميات المعري (دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية ، دت ص32، 33.

نقلا عن ، جابر عصفور ، مفهوم الشعر ص224، 224.

² - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص270.

³ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص52/1.

⁴ - النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - ص270-271 ، نقلا عن محمد العمري ، الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية ، إفريقيا الشرق ، لبنان ، 2001، ص109.

⁵ - ينظر: الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت386هـ) ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام ، محمد خلف الله أحمد ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، ص26.

فأن تكون حروف اللفظة متألّفة غير متنافرة، شرط أساسي لفصاحتها، وذلك بأن تكون سهلة في النطق، غير ثقيلة في السَّمع، وتكون متألّمة إذا كان الانتقال في النطق من حرف إلى حرف معتدلاً، أي لا تكون مخارجها قريبة من بعضها قرباً شديداً، ولا بعيدة بعداً شديداً.

ثمَّ إنَّ البحث في تأليف الأصوات لم يقتصر على النحاة والبلاغيين وإنما تعداه إلى علماء التعمية، فقد توصّلوا إلى حصر الثنائيات التي لا تأتلف من الأصوات العربية على سبيل الإحصاء لا الانتفاء؛ وانتهوا إلى تقسيم الأصوات حسب تجاور بعضها مع بعض إلى:

1- ما لا يقارن بعضه بعضاً بتقدم ولا بتأخير.

2- ما يقارن بتقدم.

3- ما يكرر من الحروف في أوّل الكلمات.¹

فذكروا مثلاً "أنَّ الثَّاءَ لا تقارن، الذال ولا الزاي ولا الصاد والضاد ولا الظاء ولا السين بتقديم ولا تأخير".² ولعل ذلك نتيجة لاتحادها في المخرج مع هذه المجموعة من الأصوات.

"أما الواو مثلاً فإنّها تتصل بجميع حروف المعجم بالتقديم والتأخير ولا يعرض لها ما يعرض لغيرها من الحروف الأصلية التي لا تتغيّر أبداً".³

إن جهود القدماء هذه، ابتداءً من التراكيب التي قدمها السبكي وانتهاءً بجهود علماء التعمية كالكندي وابن عدلان، عززتها الدراسات الحاسوبية الحديثة؛ فقد أبرزت الإحصاءات التي أجراها الباحثون المحدثون ميل الأصوات المتقاربة المخارج إلى عدم التتابع في سياق الكلمة العربية ولا سيما أصوات الشفتين وأصوات الحلق وأصوات وسط الفم، ودلّت على أن أقل الثنائيات التي يتركب منها الكلام العربي هي التي تتكون من صوتين شفهيين أو حلقيين أو شفهي و حلقين.⁴

وعموماً فإنَّ قواعد تتابع كل صوت مع باقي أصوات العربية التي قدمها علم التعمية، تُعد عملاً مميزاً ورائداً، نتيجة تطابقها شبه التام مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة.⁵

¹ - ينظر: علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، ص 132، 136 وغيرها كثير.

² - نفسه، ص 241.

³ - نفسه، ص 248.

⁴ - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 126.

⁵ - ينظر: علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح، ص 29 وغيرها.

كما أن العربية حرصت على الاعتدال في عدد الأصوات التي تتألف منها بيتها وكان الخليل يرى أن أبنية الكلمات ثلاثية، و رباعية وخماسية ، لا تقل عن ثلاثة أصوات " حرف يبدأ به وحرف يحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه " ¹. ويرى ابن جني "أن الثلاثي أخف الألفاظ في الكلام، وأنّ الكلمات كلما كثرت حروفها زاد ثقلها، ومن ثم يتقل استعمالها" ².

ولم يختلف رأي المحدثين عما قدمه القدامى يقول هنري فليش "وفي العربية عدد قليل من الأصول ذوات الصامتين أي الثنائية وهي مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة هي في ذاتها أصولها وذلك نحو (يد...). وهناك عدد كبير من الأصوات ذات الصوامت الأربعة أي الرباعية، وهي مُسجّلة في المعاجم، ولكن بعض الإحصاءات التي أُجريت على النصّ القرآني كشفت عن وجود خمسة عشر أصلا رباعيا فحسب مقابل ألف ومئة وستين 1160 أصلا ثلاثيا ، وهي نسبة ضعيفة في نص يُعتبر أساسيا في تراث اللغة ... والجانب والأكبر من المفردة العربية يأتي من أصل ذي ثلاثة صوامت " ³.

فقلة الرباعي في العربية وإهمال العرب للخماسي-إلا قليل-، سببه الثغرة من الاستتقال وطلب الخفة. ومن هنا قرّر الدارسون القدامى والمحدثون، أنه كلما كثرت أصوات الكلمة قلّ استعمالها. ⁴

فمن الرباعي المجرد في سورة آل عمران وردت كلمة واحدة فقط، هي صيغة (مقنطرة) في قوله تعالى ﴿رَبِّنَا لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ ﴾ ⁵.

كما أنّ للحركات دخلا في تنافر الكلمة أو عدم تنافرها ، فقد تكون اللفظة هي لكن تغيير الحركة قد يؤدي إلى ثقلها على اللسان بخلاف المبنية على حركات خفيفة ، فخفة الحركات تؤدي إلى سرعة نطقها من غير عناء ولا كلفة ، فإذا ما التقت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستكره ، ولم تثقل بخلاف الحركات الثقيلة، فإذا توالى اثنتان منهما في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت لما يعانیه ناطقها من عسر ومشقة ولذا ثقلت الضمة على الواو ، والكسرة على الياء ، لأن الضمة من جنس الواو ، والكسرة من جنس الياء وتفاوت مراتب الحركات خفة وثقلا من حيث هي، فالفتحة أخف الحركات وتليها الكسرة. ⁶

¹ - الخصائص ص، 1/55.

² - نفسه، ص، 1/55، 61.

³ - هنري فليش ، العربية الفصحى ، ص 53.

⁴ - ينظر: بلقاسم بلعج ، لغة القرآن الكريم ، ص 151.

⁵ - من الآية (14) من سورة آل عمران.

⁶ - عميد الواحد حسن الشيخ ، التنافر الصوتي والظاهر السياقية ، مطبعة الإشعاع الفنية، ط 1419، 1/1999م، ص 13.

فالفراء (ت207هـ) مثلا لا يعتمد في تعليه على قواعد النحاة فقط، وإنما يرجع إلى الحس اللغوي والذوق الصوتي، كما يبدو في تعليه لخفض الدال من الحمد يقول: "هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل: إبل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم"¹. والحق أن هذه الحركات المنسجمة وإن تعارضت مع الإعراب في حالة كسر الدال إلا أن لها وجهها مقبولا، إذ أن هذا التركيب لما كثرت تداوله عند العرب جعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحدة، ولا شك أن الكلمة الواحدة يستقل فيها الانتقال من ضمة يتلوها كسرة أو العكس فآثروا الكسرتين حينما مع أن الحمد مبتدأ مرفوع².

هذه هي أهم القواعد التي اختارها العربية لتأليف كلماتها وبناء نسيجها وهي في ذلك مدينة للقرآن الكريم كونه أرقى نص ورد بها، وكونه استوعب كلام العرب كله، وهذا ما سنعمل على استكشاف شيء منه.

2/ المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في سورة آل عمران:

سنعتمد في هذا العنصر على الضوابط العامة التي اعتمدها إبراهيم أنيس لتنافر الأصوات في اللغة العربية، ذلك أن عمل القدامى وعلى الرغم من دقته؛ إلا أن مفهوم تجاور الأصوات عندهم كان غير واضح؛ فقد بنوا قواعدهم على مطلق التجاور، في حين أن الدراسات الصوتية الحديثة تُفرق بين التجاور التام للأصوات وبين التجاور غير التام؛ لهذا يرى إبراهيم أنيس: "أن شيئا هاما قد فات هؤلاء القدامى ولم يفتنوا إليه وهو أنه لمعرفة ثقل الحروف في تواليها يجب أن تذكر دائما أن المجاورة بين الحرفين يجب أن تكون مباشرة فلا يفصل بينهما بحرف أو حركة"³.

وعمل الدراسات الحاسوبية، على الرغم من دقته إلا أنه عمل إحصائي مجارته تتطلب عمليات رياضية وإحصائية، وذلك مما هو غير ميسر الآن ويحتاج إلى دراسة خاصة.

والضوابط التي سنعمل على تتبعها في النص القرآني هي كالتالي:

✓ - ندره تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض، بل لا يكاد يلتقي فيها إلا العين والهاء، ونرى العين أسبق دائما

مثل (يعهد) فإذا اتصل بالكلمة ضمير الغائب المتصل نرى كلا من أصوات الحلق يمكن أن يجاور هذه الهاء مثل

: بمحده ويلغته ويسلخه .

✓ - ندره تلاقي الأصوات القرية المخرج أو الصفة.

¹ - الفراء، معاني القرآن، ص 03/1.

² - أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، القسم 1: النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1978، ص 189.

³ - ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1952، ص 26.

- فتلاقي اللام والراء والنون بعضها ببعض لا يكاد يوجد في اللغة العربية .
- وكذلك تلاقي الميم والفاء والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب الكلمة العربية .
- ندرة التقاء صوتين من أصوات الصفيير، أو بعبارة أدق من تلك الأصوات الكثيرة الرَّخاوة مثل: الزاي- السين - الذال- الثاء - الشين¹ .
- ندرة التقاء صوتين من أصوات الإطباق أو التقاء صوت واحد مع نظيره غير المطبق.
- التقاء أصوات أقصى الحنك بعضها مع بعض نادر أيضا في اللغة العربية وتلك هي : القاق -الكاف-الجيم القاهرية .
- التقاء أصوات وسط اللسان نادر أيضا ، مثل الجيم (المعطشة) مع الشين² .
- وفي ضوء هذه المعايير فإن التلاؤم وعدم التنافر في سورة آل عمران يتحقق كالتالي:
- ندرة التقاء أصوات الحلق^{3*} . وهي (الهمزة- الهاء- العين- الحاء- الخاء- الغين) وفي سورة آل عمران لم يتم الالتقاء بين هذه الأصوات، وإن تم فإنه لا يكون التقاء مباشرا.
- الهمزة مع الهمزة: ﴿ أَفَرَزْتُمْ ﴾⁴، ﴿ أَوْ تَبَخَّكُم ﴾⁵، ﴿ أَسْلَمْتُمْ ﴾⁶، وإن كان التقاؤها غير مباشر، حيث فصل صائت الفتح القصير بينهما .
- وتجاورت الهمزة مع الهاء تجاورا غير مباشر أي بوجود فاصل، عادة ما يكون صائتا ، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ جَزَأَوْهُمْ ﴾⁷، ﴿ جَاءَهُمْ ﴾⁸ .
- أما في قوله تعالى ﴿ تَسْوُؤُهُمْ ﴾⁹؛ فالتجاور مباشر بين الهمزة والهاء على الرغم من اتحاد مخرجيهما ، وهذه هي الحالة التي التي تتصل فيها الكلمة بضمير الغائب ، فعلة هذا الاتصال نحوية دلالية .

¹ - نفسه ،ص 28

² - موسيقى الشعر ،ص 28

*- تمّ الجمع بين الأصوات الحنجرية والأصوات الحلقية والأصوات الأقصى حنكية من منطلق التقارب الشديد في مخرجها، واشترائها في الحيز.

⁴ - من الآية (81) من سورة آل عمران .

⁵ - من الآية (15) من سورة آل عمران .

⁶ - من الآية (20) من سورة آل عمران .

⁷ - من الآية (87) من سورة آل عمران .

⁸ - من الآية (105) من سورة آل عمران .

⁹ - من الآية (120) من سورة آل عمران .

واتصلت الهمزة بالخاء في مثل قوله تعالى: ﴿الْآخِرَةَ﴾¹، ﴿أَخْرَأَكُمُ﴾²، ﴿أَخَذْتُمْ﴾³، ﴿لَاخِوَانِهِمْ﴾⁴ وكله إنما تم بوجود

بوجود فاصل.

هذه هي الأصوات التي وردت مجاورة للهمزة، أما باقي أصوات الحلق، فلا تتبع الهمزة لا بتقدم ولا بتأخير "فحرف (أ) لا تتبعه الأحرف (أ، ع، غ)، ولا تسبقه الأحرف (أ، ح، خ، ع، غ) وفي هذا ينفرد حرف (أ) بأنه الوحيد في اللغة العربية الذي لا يتكرر في موقعين متتالين في الجذر الواحد باستثناء الجذر الثنائي (أأ) على حين تتكرر باقي الحروف، وأيضا حرف (أ) لا يتبع أو يسبق حرفي (ع، غ)⁵.

الهاء : صوت الهاء يتكرر مع نفسه في قوله تعالى ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾⁶، ﴿وَجُوهُهُمْ﴾⁷

واتصلت الهاء بالعين، اتصالا غير مباشر في قوله تعالى ﴿يَعْتَدِلُ﴾⁸، أما بقية الأصوات الحلقية فلم يرد اتصالها مع غيرها من الأصوات، ممن تدانيتها أو تشترك معها في المخرج، سواء أكان الاتصال مباشرا أم غير مباشر .

ندرة تلاقي الأصوات القريبة المخرج أو الصفة :

في اللام والراء والنون : نظرا لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية فإنها ترد مع جميع الأصوات" فلا يتنافر مع أي منها صامت بعينه في كل حالات الجوار القريب ولا يشترك معها في التنافر أي صامت في الجوارين : القريب والبعيد؛ وينفرد صوت النون عنها في إمكان وقوع الصنومات كلها معه في الجوار البعيد، أيًا كان موقع الصامت في الفعل"⁹. فصوت الراء هو الوحيد الذي يشترك تابعا مع جميع الأصوات الأخرى، ولذلك فهو أقوى الأصوات ترددا .

¹ - من الآية (85،77) من سورة آل عمران.

² - من الآية (153) من سورة آل عمران .

³ - من الآية (81) من سورة آل عمران .

⁴ - من الآية (168) من سورة آل عمران .

⁵ - دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص29.

⁶ - من الآية (118) من سورة آل عمران .

⁷ - من الآية (106،107) من سورة آل عمران .

⁸ - من الآية (77) من سورة آل عمران.

⁹ - وفاء كامل فايد، تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)، عالم الكتب، القاهرة،

إلا أن هذه الأصوات الثلاثة تتنافر مع بعضها بعض، ووجودها متجاورة في سورة آل عمران يظهر في الآيات التالية ﴿لَتَنْصُرُنَّهُ﴾¹، ﴿كُفْرًا لَّن﴾²، ﴿يَغْفُرْ لِمَن﴾³، وهذه المواضع لم يتصل الصوتان فيها اتصالا حقيقيا، فصائتي الفتح والضم على التوالي قد ساهما في إلغاء هذا التجاور، مما لا يُجيز القول بالتقاءهما التقاء ثقيلًا ومنفرا.

أما في قوله تعالى ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾⁴، ﴿مِن رَّبِّم﴾⁵، ﴿اغْفُرْ لَنَا﴾⁶؛ فقد اتصلت كل من النون والراء في الآيتين الأولى والثانية، والراء والام في الآية الأخيرة اتصالا مباشرا؛ إلا أن العربية تخلصت من هذا الاتصال غير المستحب بما يعرف بالإدغام بغنة.

تلاقي الميم والغاء والباء بعضها بعض غير معروف في تراكيب العربية⁷:

وفي الحقيقة فإن هذا الحكم فيه شيء من المبالغة، ذلك أن المعاجم العربية نصّت على وجود تراكيب يجتمع فيها صوتان من الأصوات الشفهية، وإن كان كل من صوتي الغاء والباء لا يقعان في جوار قريب، والصوتان يشتركان في الحيز وصفة الانفتاح.

وفي سورة آل عمران لم يرد مثل هذا الالتقاء إطلاقا، وقد ذكر بعض الدارسين "أن الميم يشترك في التنافر مع كل من الأصوات الثلاثة في حالات الجوار القريب، حين يقع الصوت فاء للفعل، أو عينا له مسبوقا بالميم، أو لهما له"⁸، وإن تواجد تواجد في سورة آل عمران؛ ولكنه اتصال غير مباشر وذلك في قوله تعالى ﴿بِمَقَازَةٍ﴾⁹، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾¹⁰

ندرة تلاقي أصوات الصفيير:

يشترك صوت الزاي مع السين في الرخاوة والانفتاح، وينفرد عنه بالجر، ويشترك الصاد مع السين في الرخاوة والهمس، وينفرد عنه بالإطباق، والأصوات الثلاثة تشترك في صفة الصفيير المميزة لهذه المجموعة؛ وهذه الأصوات لم ترد متصلة مع بعضها

¹ - من الآية (81) من سورة آل عمران .

² - من الآية (90) من سورة آل عمران .

³ - من الآية (129) من سورة آل عمران.

⁴ - من الآية (133) من سورة آل عمران .

⁵ - من الآية (136) من سورة آل عمران.

⁶ - من الآية (147) من سورة آل عمران.

⁷ - موسيقى الشعر ، ص 28

⁸ - تراكب الأصوات ، ص 110.

⁹ - من الآية (188) من سورة آل عمران .

¹⁰ - من الآية (159) من سورة آل عمران .

البعض لامن قريب ولامن بعيد في سورة آل عمران؛ سوى أن السّين تكررت مع نفسها مع وجود الصّائت كفاصل بينهما في صيغة واحدة هي ﴿يَمْسَسُنَّهُمْ﴾¹.

ندرة إنتقاء صوتين من أصوات الإطباق أو التقاء صوت واحد منها مع نظيره غير المطبق:

فأما التقاء صوتين من أصوات الإطباق فورد من هذا الباب في سورة آل عمران، صيغة ﴿اضْطَقَى﴾ في ثلاثة مواضع²؛ وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بمدى انتشار الأصوات في السورة الكريمة. وتكررت الصاد مع نفسها من غير تجاور تام في لفظة (القصص) من قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

ولعل ندرة وقوع هذا الالتقاء إنما ناجم عن صعوبة النطق بالصوت المطبق، لما يتطلبه نطقه من التفخيم وما ينجر عنه من عمليتي الإطباق والتحليق، فالنطق بصوت مطبق واحد مكلف، فما بالك النطق بصوتين يشتركان في هذه الصفات إضافة إلى عدم وجود فاصل بينهما .

التقاء أصوات أقصى الحنك: (القاف ، الكاف)

ولم تلمس له وجودا في سورة آل عمران، فمخرج كل من القاف والكاف واحد، إذ القاف صوت لهوي يتم نطقه برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهة؛ والكاف يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي⁴. وعلى الرغم من اشتراك كل من القاف والكاف في الشدة والهمس، إلا أن القاف يتميز بقيمة تفخيمية في حين أن الكاف مرقق، فكل هذه العوامل الصوتية تجعل من اتصال القاف والكاف أمرا ثقيلا على اللسان .

وكذلك فإن التقاء أصوات وسط اللسان (الجيم المعطشة مع الشين) أمر غير وارد في سورة آل عمران وذلك نتيجة للتقارب المخرجي بين الصوتين .

ويمكن أن نلخص نتائج ما سبق فيما يلي :

- التقارب بين المخارج هو أهم ما يجب تجنبه غي تأليف الأصوات في العربية .
- تأليف الأصوات من أصوات متباعدة بدرجات مقبولة هو أهم طرق العربية في التأليف بين أصواتها .

¹ - من الآيات (174،120،47) من سورة آل عمران .

² - من الآيات (42،33،21) من سورة آل عمران .

³ - من الآية (64) من سورة آل عمران .

⁴ - مناهج البحث، ص124.

- هناك أصوات لا يحدث تجاوزها تنافرا شديدا ، إلا أن حالات تقاربها تبقى حالات قليلة نادرة .
- استوعبت سورة آل عمران طرائق العربية في تأليف أصواتها بل زادت على ذلك احتوائها على بعض الحالات القليلة النادرة ، وإن كان مجيئها في وسط النسق الصوتي يجعلها تضيف نوعا من الموسيقية التي يمتاز بها القرآن الكريم عن سواه .
- العلة الأساس لتنافر الأصوات هي تقارب المخارج يضاف إليها اختلاف الصفات الأساسية من إطباق وانفتاح من تفخيم أو ترقيق أما الصفات العامة فلا دخل لها في إحداث التنافر أو الانسجام .
- وعلى العموم فمهما حاولنا البحث أو الاستقصاء فلن نجد أي شكل من أشكال التنافر بين الأصوات في القرآن الكريم عموما ، وفي سورة آل عمران خصوصا باعتبارها مدونة الدراسة؛ إذ أن أصواته تتميز بحسن التلاؤم مع بعضها¹، فقد نزل بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها ، وأوضحها ، وأثبتها ، وأمتنها.²

ومما يتميز به أيضا عن الكلام البشري لحنه الموسيقي الغريب ، فهو لا يشبه أي لحن آخر ، وأوضح دليل على ذلك، أن تسمع للقرآن وسط مجموعة من الأصوات الأخرى فستجد له لحنًا مميّزا لا يمكن أن يلتبس عليك بغيره ، حتى ولو لم تفهم منه شيئا³ .

وليس أدلّ على إعجاز القرآن في أسلوبه ، وانبهار العرب ودهشتهم لذلك التنغيم في التنظيم ، أي تنظيم الأصوات والكلمات والعبارات ، أن من عارضه كمسيلم الكذاب جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه ، فصبّ اهتمامه على موسيقى العبارة ، وطوى عمّا وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ، ودقائق التركيب البياني ، وكأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في موسيقى القرآن ، في أوزان الكلمات ، وأجراس الحروف دون ما عداها.⁴

¹ - ينظر: المعجزة القرآنية، ص 110

² - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الحكيم، ص 67/1.

³ - المعجزة القرآنية، ص 113.

⁴ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 214.

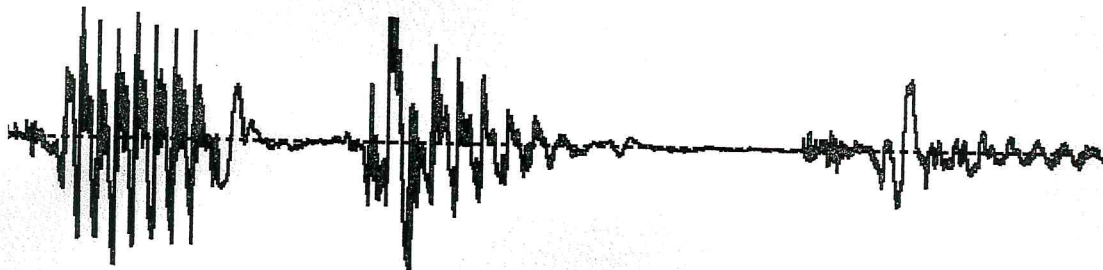
قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الأزهرى، تمذيب اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004
- 2- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1952
- 3- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، القسم 1: النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1978
- 4- بلقاسم بلعرج، لغة القرآن الكريم" دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول"، دار العلوم، باتنة، دت.
- 5- بلقاسم بغدادى، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت
- 6- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق. سورية، ط1، 1996، ط2، 1999م.
- 7- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء. المغرب، 2001
- 8- تمام حسان، مناهج البحث، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
- 9- ابن جني، أبي الفتح (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، دط، دت
- 10- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- 11- الجاحظ أبو عثمان (255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويندي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1421هـ/2000م.
- 12- الخفاجي سعيد بن سنان (ت466هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998
- 13- ابن دريد أبي بكر محمد (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- 14- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية الراقعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 15- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت386هـ)، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر، ط3
- 16- السيوطي، الزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه وصححه ووضع حواشيه، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 17- الطيان محمد حسان، محمد مرياتي، يحي مير علم، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، تقديم شاكرا الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط دت
- 18- علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
- 19- عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظاهر السياقية، مطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 1419هـ/1999م
- 20- الفراء، أبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله (ت207هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب بيروت، ط1، 1955، ط2، 1980.

- 21- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار مطبعة نخضة مصر ط2، جمادى الآخرة 1406هـ / فبراير 1986م
- 22- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط3، 1414هـ/ 1993م
- 23- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية، إفريقيا الشرق، لبنان، 2001، ص109
- 24- مصطفى السعدني، البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية.
- 25- هنري فليش، العربية الفصحى العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد-، تعريب وتحقيق :عبد الصبور شاهين، ط المشرق، بيروت، ط2، د.ت
- 26- وفاء كامل فايد، تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)، عالم الكتب، القاهرة،

**Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la
Recherche Scientifique.
Université Saad Dahleb - Blida -
Faculté des Lettres et des Langues
Laboratoire de la Langue Arabe
et Littérature - Phonétique**

LA PHONÉTIQUE



**Revue Annuelle Spécialisée Editée par le Laboratoire
de la Langue Arabe et Littérature - Phonétique
Blida - Algérie**

**N° : 14 - Décembre 2013
Dépôt légal : 2762-2005
ISSN : 1112-6426**



مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

ح س خ أ ل و ي ق ف غ د ت م ن

مجلة

الممارسات اللغوية

A
G
D
Y
L
T
N
B
S
C
V
F
M
X
W
R

^
*
+
%
@

H
K
Q
I
.
U
X
I



مجلة أكاديمية محكمة

ISSN : 2170-0583

العدد : 20

يصدرها مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

مجلة الممارسات اللغوية مجلة علمية عالمية محكمة

الهيكل الإداري للمجلة

- المدير الشرفي: أ د ناصر الدين حناشي،
- مدير المختبر: أ د صالح بلعيد،
- رئيسة التحرير: الجواهر مودر،
- هيئة التحرير:
- ميدني بن حويلي + ريش بوثلجة + فتيحة حدّاد + حياة خليفاتي
- + عالجة أيت بوجمعة + عيني بطوش + عالجة أوطالب .
- الهيئة الاستشارية :
- محمد العربي ولد خليفة : رئيس البرلمان الجزائري؛
- أبو عمران الشيخ : رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر؛
- عبد الرحمان الحاج صالح : رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري؛
- محمود فهمي حجازي: رئيس جامعة نور مبارك في طشقند؛
- محمود أحمد السيد: نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق؛
- سالم شاكر: باحث في المازيغيات في inalco بفرنسا؛
- وفاء كامل فايد: أستاذة اللغويات في جامعة القاهرة؛
- علي القاسمي: خبير في الأسيسكو وباحث في المصطلحات والمعاجم؛
- عبد السلام المسدي: أستاذ كرسي في جامعة تونس؛
- Valérie Orlando, Professor, University of Maryland, U.S.A.
- Kathryn Lafever, Professor, University of Miami, U.S.A.
- Zerar Sabrina, Maitre de conférences, University of Tizi-ouzou, Algiers.
- المدير الفني: أ د صلاح يوسف عبد القادر.

مجلة الممارسات اللغوية

مجلة الممارسات اللغوية مجلة علمية عالمية محكمة

قواعد النشر في المجلة

- 1- مجلة (الممارسات اللغوية) لسانُ حال المختبر، فتستقبل كلَّ الأبحاث/ المقالات/ التحقيقات/ سبر الآراء/ بيانات التسايل/ حصائل الاستبانات... ذات العلاقة بالممارسات اللغوية؛
- 2- ترحب المجلة بكلِّ من يرغب نشر بحثه الذي يدخل في إطار اختصاص المجلة (الممارسات اللغوية)؛
- 3- تنشر المجلة في طيّ أوراقها ملفات خاصة حول موضوع واحد، كما تنشر موضوعات متخصصة في عنوان مستقل عن المجلة، يصدر في شكل كتاب متخصص؛
- 4- تُنشر مجلة (الممارسات اللغوية) البحوث المكتبية والدراسات الميدانية، والنصوص المحققة أو المترجمة أو مراجعات الكتب المتعلقة بالعربية وآدابها؛
- 5- يقدّم البحث في صورة ورقية، يذكر الباحث: اسمه ولقبه ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها، أو المهنة التي يمتنها؛
- 6- تُرسل البحوثُ إلى رئيس تحرير مجلة (الممارسات اللغوية) بجامعة مولود معمري بتيزي وزو في نسخة ورقة بريدية مصحوبة بنسخة قرصية، أو تُرسل عن طريق بريد المخبر الإلكتروني وهو labeling@yahoo.fr

- 7- تُنشر المجلةُ البحوثَ الأصيلةَ المعدّةُ أصلاً باللغة العربية، كما تُنشر البحوثُ المحرّرةُ باللغات: المازيغية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية، شرط أن يتصدّرها ملخصٌ باللغة العربية؛
- 8- تنشر المجلةُ البحوثَ ذات اختصاصِ المجلةِ في بعدها العام؛ بعد أن تخضعَ للتحكيم ولا تردّ إلى أصحابها سواءً قبلت أم لم تُقبل؛
- 9- يتولّى تحكيم البحثِ محكّمان أو أكثر حسب هيئة التحرير؛
- 10- يُشترطُ في البحثِ المقدم للنشر ألا يكون قد نُشر سلفاً، إلا إذا كان البحثُ قد أُضيف فيه نسخةٌ مزيدةٌ ومُنقّحةٌ أو من الأبحاث التي تستحقّ النشرَ مرّةً ثانية؛ على أن يشيرَ صاحبه إلى مكان وتاريخ صدوره؛
- 11- كلّ بحثٍ منشورٍ في مجلة (الممارسات اللغوية) لا يُنشر في قناةٍ أخرى إلا بالإشارة إلى أسبقية صدوره في هذه المجلة، ويشير إلى ذلك في صدر القناة التي ظهر فيها؛
- 12- يُكافأ صاحبُ البحثِ المنشورِ بخمس (5) نسخٍ من المجلة التي نُشر فيها بحثه؛
- 13- على صاحبِ البحثِ التقيّد بشروط استقبال البحث وهي:
- التقيّد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها من توثيق واستخدام للمصادر والرسوم، والتفريق بين التهميش للكتب والتهميش للمجلات، واستعمال علامات الوقف، وكلّ متعلّقات المنهجية...
 - كتابة البحثِ بخط simplified Arabic بينط 13؛
 - طول الكتابة 24 بعرض 12؛
 - توضع الرسوم والبيانات ضمن إطار 24 x 12؛
 - المسافة بين السطور 1.0؛
 - الهوامش في آخر البحث متسلسلة ومكتوبة آلياً، بينط 12؛

14- يلتزم صاحبُ البحثِ بالتعديل حالةً ما أقرَّ المحكّمون نشره بشرط
التعديل؛

15- الأبحاثُ المنشورة في مجلة (الممارسات اللغوية) تعبّر عن
أصحابها، ولا تعكس توجهاتِ المختبر أو جامعة مولود معمري، أو وزارة
التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة الجزائرية؛

16- ترسل الأبحاث عن طريق البريد على العنوان التالي: السيد رئيس
تحرير مجلة الممارسات اللغوية/ مخبر الممارسات اللغوية. جامعة مولود
معمري. تيزي وزو. الجمهورية الجزائرية.

روابط الاتصال:

– البريد الإلكتروني: laboling@yahoo.fr

– الهاتف الثابت: 026213291

– الناسوخ: 026411400

الفهرس العام

الصفحة	العنوان	الرقم
07	دور لسانيات المدونة الحاسوبية في ترقية ونشر المصطلح أ/ كمال لعناني، ج/ تيزي وزو	01
21	من وظائف الصوت و جمالية الإيقاع في النص الشعري الجزائري نماذج من قصيدة "فتاة الظهر" لسعد مردف د. محمد زهار، ج/ المسيلة + أ الصالح قسيس، ج/العناصر	02
45	اكتساب اللّغة الثانية وأثره على اللّغة الأولى أ: معزوزن سمير، ج / بجاية	03
69	الإبداع والتلقي والفعل الجنسي عند أبي تمام أ د أحمد يوسف علي. ج/ قطر	04
83	مشروع أحمد المتوكل في النحو الوظيفي -الوظائف الدلالية-	05
	أ، ياسين بوراس، ج/ تيزي وزو	
95	الأصوات اللغوية وتنوّعاتها في القرآن الكريم (دراسة إحصائية تحليلية لسورة آل عمران) أ/ فاطمة حجاري، ج/ تلمسان_	06
123	دور التكرار في انسجام الخطاب القرآني (بحث في جهود المحدثين) أ . مراد ليتيمي، ج/ بومرداس	07
157	لغة الوعي في الخطاب الشعري عند مظفر النواب (بين قيمة الإنسان و مطلب الحرية) أ سهام حشايشي، ج/ سكيكدة	08
187	دلالة التنغيم في القرآن الكريم سورة الزمر نموذجا الأستاذ: زهر الدين رحمانى	09

219	البيان والنحو في فكر ابن الأثير الأستاذة: زينب عمارة	10
243	أبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول الأستاذ: عباس حشاني، ج/ محمد خيضر - بسكرة	11
261	دلالة السياق وأثرها في تأويل الخطاب دراسة في الموروث اللساني العربي الأستاذ: بن زحاف يوسف، المركز الجامعي غليزان	12
273	أثر التنغيم في توجيه دلالة الجملة أ/ بودالية رشيدة، ج/ ألكي محند أولحاج - ولاية البويرة-	13
293	المصطلحات النحوية عند الطاهر الإدريسي الحسني ومنهجه في استعمالها، من خلال كتابه (الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجرو). أ. جريو فاطمة، ج/ جامعة حسبية بن بو علي الشلف	14
319	اللغة من الحيز النفسي السائد إلى الحيز العقلي البائد الأستاذ: صابري بوبكر الصديق، ج/ محمد البشير الإبراهيمي برج بو عريريج	15
01	Racism and Gender in James Baldwin's Selected Essays Z. Tafroukht & A. Khelifa Faculty of Letters and Languages Mouloud MAMMERI University of Tizi-Ouzou	16
17	Re-evaluation of Prophet Mohammed's Image in Victorian Literature. Ouiza Amziani Zerar Sabrina Mouloud Mammeri University Department of English	17
27	Humanism , the Reformation and the Debate over the Nature of Women in the Elizabethan and Jacobean Periods Mouloud Mammeri University Department of English Gariti Mohamed	18

الأصوات اللغوية وتنوعاتها في القرآن الكريم (دراسة إحصائية

تحليلية لسورة آل عمران)

أ/ فاطمة حجابي، ج/ تلمسان

راه
ري

11.

ماء:

في

:

فعل

لا يختلف اثنان في كون الدرس الصوتي هو أولى مستويات الدرس اللغوي ولقد أثبتت الدراسات قديمها وحديثها عظم جدواه في تفسير الكثير من القضايا النحوية والصرفية والدلالية، ولكن قبل أن تتدخل الصوتيات في تفسير مختلف القضايا اللغوية فإنها تمر بمرحلة فقه لعلم الأصوات، أي أصوات اللغة من مخارج وصفات وكل ما يتعلّق بتحقيق النطق السليم لأصوات اللغة. واللغة العربية أوفر حظ من معظم لغات العالم كون نظامها الصوتي أحيط بعناية فائقة منذ أن نشأت الدراسات اللغوية العربية، فكان أول كتاب خصص للأصوات اللغوية كعلم مستقل كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني (ت392هـ) ولا يخفى على أحد أنّ علة هذا الاهتمام إنما راجع للاهتمام أساسا بالأداء السليم لأصوات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم صوت العربية، وبه ضبط النطق الفصيح، ومن أجله يراعى الأداء السليم لا سيّما أنّ من الثواب ما هو مرتبط بالتلاوة السليمة الحسنة لسوره وآياته، من هنا كان النظر إلى النظام الصوتي في القرآن الكريم ضرورة ملحة للمختص في الصوتيات يستأنس في النظر إليه بأحكام علم التجويد، وكبداية أحاول في هذا البحث دراسة الأصوات في سورة آل عمران من خلال إحصاء مدى تواتر الأصوات في السورة الكريمة، ثم النظر إلى كيفية وصول قارئ القرآن إلى الأداء السليم للصوت اللغوي دون أن يميل إلى تنوع صوتي قد يعرض له

أثناء نطق أي نص لغوي آخر ثم لا يتخرج من النطق به، وبصيغة أخرى هل اعترف القرآن الكريم بالتنوعات الصوتية ثم كيف تعامل علماء التجويد مع الأوضاع التي تهيئ حدوث تنوع صوتي؟

- الدراسة الإحصائية لأصوات سورة آل عمران: إن الغرض الأساس من وراء الدراسة الإحصائية لأصوات سورة آل عمران إنما هو معرفة النسيج الصوتي للقرآن الكريم، وعلة شيوع استعمال صوت لغوي ما أو قلة استعماله ومدى ارتباط ذلك بخصائصه الصوتية، مع مقارنة ذلك بالإحصاءات التي اهتمت بمتن اللغة.

الأصوات الصامتة:

الجدول رقم 01:

الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية	الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية
أ	705	6,17	ض	66	0,57
ب	575	5,03	ط	50	0,43
ت	556	4,86	ظ	35	0,30
ث	51	0,44	ع	368	3,22
ج	92	0,80	غ	73	0,63
ح	171	1,49	ف	388	3,39
خ	104	0,91	ق	267	2,04
د	240	2,10	ك	484	4,23
ذ	222	1,94	ل	1705	14,92
ر	488	4,27	م	1244	10,89
ز	68	0,59	ن	1250	10,94
ش	86	0,75	هـ	745	6,52

5,54	633	و	1,96	224	س
3,93	450	ي	0,72	83	ص

- الجدول رقم 08 :

النسبة المئوية	عدد التواتر	الصوائت من حيث موضع اللسان
80,96	7969	الصوائت الأمامية (الفتحة والكسرة)
19,03	1873	الصوائت الخلفية (الضمة)

- الجدول رقم 09 :

النسبة المئوية	عدد التواتر	الصوائت من حيث درجات الانفتاح
58,25	5733	الصوائت المتسعة (الفتحة)
41,79	4109	الصوائت الضيقة (الكسرة والضمة)

التحليل والتعليق: تقترب نسبة شيوع الصوامت بين ما توصلت إليه في إحصاء الأصوات في سورة آل عمران وبين ما قدمه الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز وبين إحصائيات الكندي في رسالته وإحصائيات الحديثة مثل إحصائية حلمي موسى لجذور ومعجم الصحاح¹، فقد احتلت اللام والميم والنون أعلى المراتب إضافة إلى الهاء والهمزة من الأصوات الحلقية ثم الواو الصامتة، وقد ذكر ابن دريد: "أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقل ما يستعملونه لثقلها على ألسنتهم الظاء"². وذلك ما أكدته جميع الإحصائيات، حيث تحتل الظاء المرتبة الأخيرة، إضافة إلى كل من الصاد، والثاء والضاد والزاي والغين.

فأمّا احتلال اللام والنون والراء المراتب الأولى، فذلك أمر متوقع نتيجة لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية، من جهر ووضوح، وقوة إسماع إضافة إلى قربها من الأصوات الصائتة، وقد ذكر إبراهيم أنيس أنّ نسبة شيوع النون وأخواتها في اللغة العربية تُعدّ أكبر النسب، ففي كل ألف حرف نجد حوالي 117 نونا و124 ميما و127 لاما³، ويعتل الكندي شيوع اللام مقارنة بالياء والواو وكذلك الهاء بكون "المصوّتة في اللسان العربي إنّما تظهر في الخط إذا كانت عظاما، فأمّا صغارها فإنّها لا تظهر في الخط، فلذلك توجد بعض الحرف الخرس - أعني التي ليس بمصوّتة - في اللسان العربي أكثر من بعض المصوّتة"⁴. أمّا شيوع الباء والكاف والتاء، فيعتل ابن عدلان ذلك بكون التاء والكاف تستعملان للخطاب لذا كثرتا في الكتاب العزيز⁵. والملاحظ أيضاً احتلال الهاء والهمزة المراتب الأولى، وقد نصّ المحدثون على الاطراد الكبير للنطق بالأصوات الحلقية⁶، وهذا ما تزكّيه إحصائيات كل من علم التعمية والفيروز أبادي وحلمي موسى وإحصائي لأصوات سورة آل عمران⁷.

* تحتل الأصوات المجهورة نسبة عالية، تقدّر بحوالي 65,67% في حين تصل نسبة الأصوات المهموسة إلى 33,94% وهذه النتائج تقترب من النتائج المتحصل عليها في حساب نسبة الأصوات المجهورة والمهموسة في معجم الصحاح، حيث تصل نسبة الأصوات المهموسة إلى حوالي 30,12% ونسبة الأصوات المجهورة إلى حوالي 69,87%⁸، ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من العوامل منها:

- أن تعداد الأصوات المجهورة أكثر من تعداد الأصوات المهموسة فهي خمسة عشر (15) صوتا مجهورا، مقابل اثنتا عشر (12) صوتاً

مهموساً، وعلل إبراهيم أنيس ذلك بأن الأصوات المجهورة هي ممّا يكسب اللغة موسيقيتها ورنينها لذلك تظهر بصورة كبيرة ومستمرة في الكلام، وإلاّ دخلت اللغة حيز الهمس والإسرار نتيجة لفقدائها موسيقيتها المتركزة في الأصوات المجهورة⁹، كما أن الأصوات المجهورة يندرج ضمنها مجموعة من الأصوات ذات الخصائص التي تكسبها ميزات أكبر مما يجعلها أكثر شيوعاً نحو أصوات القلقلّة، والأصوات المائعة وأنصاف الصوائت، إضافة إلى أنّ الصوت المجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس، فالمجهور يسمع من مسافة، قد يخفى عندها المهموس، وحين يتحدث اثنان بعُدت بينهما المسافة يحس السامع منها بوضوح (الذال) إذا ما قورن بنظيره المهموس وهو التاء¹⁰. ففي البيئة الصحراوية التي تنتشر فيها الأصوات في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق ولا يحول دونها حائل، يلجأ إلى توضيح الأصوات بطرق عدّة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحاً في أذن السامع¹¹. وقد أكد استقراء كلام العرب أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام تزيد عن 25% في حين إنّ (أربعة أخماس) 4/5 الكلام يتكون من أصوات مجهورة¹².

ثم إن العلماء قد اهتموا بمعرفة مقدار الجهر في كلّ صوت على حدة، فقرّروا أنّ صوت الراء أكثر الأصوات الصامتة جهراً والأصوات الأنفية (النون والميم) أقل من ذلك جهراً، وأقلّ الأصوات جهراً هي: الذال والذال والباء فهي أقرب إلى الهمس¹³.

* الأصوات المائعة، جميعها أكثر تردداً من كل الأصوات الشديدة والرخوة¹⁴ باستثناء صوت الباء الشديد الذي تفوق نسبة تردده نسبة تردّد صوت الراء، حيث تصل إلى حوالي 5,03% وتصل نسبة

الأصوات المائعة في سورة آل عمران إلى 41,02% وهي نسبة قريبة مما توصل إليه في إحصاء هذه الأصوات في البنية العربية حيث بلغت 42,85%، وهي نسبة عالية ومهمة، إذ أنّ هذه الأصوات تتميز بقوتها التصويتية العالية، لأنّها تتمتع بخاصية الجهر، وتكاد مع الصوائت وأنصاف الصوائت تشكل نسبة عالية للقوة الإسماعية الصوتية¹⁵ فهي تعدّ حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة والصوائت، ففيها من صفات الأولى، أنّ مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضا من صفات الصوائت أنّها لا تكاد يُسمع لها أي نوع من الحفيف وأنّها أكثر وضوحا في السمع¹⁶، إضافة إلى أنّها تظهر بصور متعدّدة، وهو ما لاحظناه من تنوعات صوتية لكل من النون واللام والميم والراء وهذا دليل على كثرة تداولها والنطق بها.

* تشكل أصوات الاستعلاء نسبة كبيرة جدا تصل إلى 93,8% مقابل نسبة ضعيفة جدا للأصوات المستقلة هي 5,6% وذلك أمر متوقع، ذلك أنّ الأصوات المستعلية تتطلب مجهودا كبيرا لإنتاجها فهي تحدث نتيجة تصعّد اللسان إلى الحنك الأعلى¹⁷ مما يؤدي إلى خروج الصوت من أعلى الفم، وذلك أمر مكلف ويتطلب مجهودا عضليا في حين أنّ الأصوات المستقلة يخرج الصوت معها من قاع الفم لانخفاض اللسان عند النطق به إلى الحنك الأسفل،¹⁸ وذلك مما يسهل على أعضاء النطق تأديته.

* ونفس القضية مع الأصوات المطبقة، والأصوات المنفتحة، حيث تصل نسبة الأصوات المطبقة إلى 2,02% في حين أنّ نسبة الأصوات المنفتحة هي 97,56%

"فاللغة العربية بصفة عامة قد مالت في تطورها إلى التخلص من أصوات الإطباق أي الصاد، الضاد، الظاء، الطاء، إذ نسبة شيوع هذه الأصوات في النص القرآني ضئيلة جدا، فنسبة شيوع الصاد ثمان (8) مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة والضاد ستة (6) مرات، والطاء أربع (4) مرات والظاء ثلاث (3) مرات في حين أن صوتا كالتون مثلا نسبة شيوعه مثلا حوالي 112 مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة"¹⁹.

* أما الصوائت الثلاثة (طويلة أو قصيرة) فإن نسبة ورودها في النطق العربي تختلف، إذ تجد الفتحة أكثر الصوائت ورودا،²⁰ تصل نسبتها في سورة آل عمران إلى حوالي 58,25% تليها الكسرة بـ 22,71% ثم الضمة بـ 19,03% وقد ذكر الكندي "أن الحروف المصوتة التي هي موضوع لكل نوع من الكتب هي أكثر في كل لسان من التي ليست بالمصوتة، وقد يعرض في الألسن أن تكون بعض المصوتة فيها أكثر من باقي المصوتة"²¹.

إن الأصوات اللغوية تتجمع في وحدات أكبر منها تبعا لقوة إسماعها، وأن تجمعها في تلك الوحدات، يكون حول أقواها إسماعا، وأن أقواها إسماعا داخل تلك الوحدات يكون في أغلب الأحوال لا كلها صوتا صائتا،²² وعلى العموم فإن تصنيف جيسبرسن للأصوات من حيث قوة الإسماع ودرجة الوضوح، يمكن أن يكون أحسن تعليل لمدى شيوع صوت من الأصوات، وقد تدرّج في تصنيفه من الانخفاض إلى الارتفاع:

- المهموسة الانفجارية مثل: ت/ك.

- المهموسة الاحتكاكية مثل: ش/س/ث/ف

- المهموسة المزدوجة مثل: تش
- المجهورة الانفجارية مثل: ب/د/ الجيم القاهرية.
- المجهورة الاحتكاكية مثل: ف/ذ/ز/ الجيم الشامتة
- المجهورة المزدوجة مثل: الجيم الفصيحة
- الأصوات الأنفية والتكرارية مثل: ر/ل
- الحركات الضيقة مثل: الضمة والكسرة.
- وأوضح الأصوات جميعا هي الصَوَائِت المتسعة كالفتحة المفخمة²³.

إنّ الصياغة القرآنية وإن كانت صياغة خاصة إلا أنّها تسير وفق ما اعتاده اللسان العربي وألفه، فعلى الرغم من وجود اختلاف في نسبة شيوع الأصوات بين النص القرآني ممثلا في سورة آل عمران والنصوص العربية الفصيحة إلا أنّه اختلاف طفيف لا يعدو أن يكون تقدّم صوت على صوت آخر بمرتبة أو مرتبتين، أمّا تقدّم مجموعة من الأصوات كاملة كتقدّم الأصوات الحلقية على الأصوات اللثوية فذلك ما لم نقف عليه في دراستنا هذه.

- الأصوات اللغوية وتنوّعاتها الصَوْتِيَّة الواردة في سورة آل عمران: إنّ الحديث عن جميع الأصوات اللغوية في سورة آل عمران لا يسعنا المقام لبلوغه لذا سنكتفي بالأصوات التي تعرف بإمكانية ورودها وفق تنوّعات صوتية تغير من وضعها الأصلي، ذلك أنّ الصوت اللغوي إن كان مشتملا على فون (أو صوت موضوعي) فهو في الكثير الأعمّ يشتمل على مجموعة من الفونات المتشابهة أو التنوّعات الصوتية، التي يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة (أولا - وسطا - أخيرا... الخ) وعلى

الأصوات المجاورة له (قبل صائت - قبل صامت - قبل صائتين - ملاحق الصوت مجهورا أو مهموسا... الخ)²⁴. وعادة ما تتمتع التنوعات الصوتية بخصائص هي كالآتي:

- التحقق المادي، أي أنها أصوات يمكن سماعها، كما يمكن نطقها.

- اختلافاتها الموقعية، أي إنها تختلف باختلاف المواقع التي تحل فيها وإن كان هذا الاختلاف محدودا عادة.

- التقارب الأصواتي من حيث المخرج والصفة، بحيث يشبه كلّ تنوع سائر التنوعات الصوتية الأخرى التي تنضوي معه تحت نفس الصوت.

- التوزيع التكاملي، أي أنّ كلّ عضو من أعضاء الصوت يأخذ موقعا أصواتياً لا يشاركه فيه الآخر، بحيث يكون كل عضو مكملا بحلوله موقعا معينا للعضو الآخر الذي ينتمي إلى نفس الصوت، فيتحقق بذلك التوزيع التكاملي للتنوعات الصوتية للصوت ذاته.

- التغيّر الحرّ، وهو يقتضي جواز إبدال صوت بآخر دون تغيير معنى الكلمة، وهي خصيصة من خصائص التنوعات الصوتية، لأنه لو ترتب على هذا الإبدال تغيير في المعنى لكانت العلاقة بين الصوتيين علاقة صوت بصوت آخر²⁵

هذه هي أهم مميّزات التنوعات الصوتية وعلى أساسها حاولنا تتبع التنوعات الصوتية لمجموعة من الأصوات في سورة آل عمران. فمن ذلك صوت الباء: ويتم نطقه بانطباق الشفتين إحداهما مع الأخرى، وهو يتواجد في سورة آل عمران بسورة مكثّفة، إذ يقع في

بداية الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ، إذ هو صوت لا يكف مجهودا عضليا كبيرا لإخراجه. ومن تنوعاته الصوتية مهموس الباء وهو ليس بالصوت الأساسي من أصوات اللغة العربية،²⁶ ويتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها الباء، فيما عدا أن ذبذبة الوترين الصوتيين معه تكون ضئيلة مما يمنع حدوث الجهر. وقد يحدث في بعض مواقع (الباء) في الكلام، كأن تكون (الباء) مسكنة في آخر الكلمة أو تكون في نهاية المقطع المفرداتي²⁷، من مثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾²⁸، حيث وردت الباء في نهاية المقطع ، وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾²⁹ إذ وردت الباء مسكنة في آخر الكلام. وفي هاتين الآيتين حرص قراء الذكر الحكيم على الضغط على صوت الباء في صيغة (ابتغاء) وصيغة (هب) وذلك بقلقلته، حفاظا على صفة الجهر فيهما، فمهموس الباء صوت لا وجود له في القرآن الكريم، ولهذا نصّ العرب على وجوب تحريك الباء بصوت إذا كانت ساكنة حتى يتحقق الانفجار (الشدة) والجهر التام؛³⁰ وهو ما عبّر عنه القدماء بظاهرة القلقلته، وخصّوها بمجموعة من الأصوات هي: (ق، ط، ب، ج، د) فهي "تلك الأصوات التي تخفى في الوقف وتحفظ في مواضعها فيسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وإذا شددت ذلك وجدته".³¹ وقد أدرك النحاة أنّ الخاصية الصوتية التي تشترك فيها هذه المجموعة من الأصوات راجعة لكونها شديدة ومجهورة، هذه الخاصية في هذا الصوت الذي يتبع هذه الصوامت عندما تكون (ساكنة)، والذي يحدث عندما يتبعها صوت صائت قصير، أو صوت صائت طويل؛³² والأرجح أن يكون

هذا الصوت صائتا مركزيا ضعيفا³³. كما أن للباء تنوعا صوتيا آخر، يحدث نتيجة لمجاورته الأصوات المفخمة، فهو مفخم تفخيما ظاهرا إذا ما جاوره صوت مفخم تفخيما كليا³⁴، كنحو قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾³⁵ وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾³⁶ فالملاحظ أن هناك فرقا واضحا في قراءة القراء لصوت الباء في لفظة (بصير) ونطقهم لنفس الصوت في لفظة (بالعباد) وقل مثل ذلك في (الصَّابِرِينَ) (بالأسحار) فالصوت المفخم يلقي بظلاله على صوت الباء ويمنحه صفة التفخيم. ويقل تفخيمه نسبيا إذا جاور صوتا من الأصوات الموصوفة بالتفخيم المشروط وهي الخاء والغين والقاف، التي يشترط لتفخيمها تفخيما (بين بين) أن تكون مثلوة بفتحة أو ضمة طويلة كانت أم قصيرة،³⁷ من ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾³⁸. ﴿بَغْيًا﴾³⁹ فالباء تفخم مع (الحاء والغين والقاف) ولكنه تفخيم نسبي، لا يظهر بصورة واضحة ظهوره مع أصوات الإطباق، كما أنه مشروط بأن يكون مثلوا بفتحة أو ضمة أما في نحو ﴿بَغَيْرِ﴾⁴⁰ فإنّ قراء الذكر الحكيم يحرصون على عدم تفخيمها. ومن الأصوات الأسنان نجد صوت الذال، وقد أورد سيبويه أن "بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والشاء".⁴¹ والذال صوت لغوي قد نصّ القراء على وجوب إظهاره وتلخيصه عند الكاف في نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾⁴². وإلا انقلب تاء للمواخاة التي بين التاء والكاف في الهمس،⁴³ وكذا يُفعل في نحو قوله تعالى: ﴿اذْكُرْ﴾⁴⁴. إذ يحرص القراء على إظهارها خاصة عند سكونها أو اتصالها بصوت مهموس حتى لا تفقد جهرها. ومن الأصوات الأسنان اللثوية: صوت التاء

فكل الذي يتطلبه إنتاج هذا الصوت، هو أن يقف الهواء وقوفا تاما حال النطق به، عند نقطة الالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، ويضغط الهواء مدّة من الزمن، ثمّ ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء، فيحدث صوتا شديدا ولا يتذبذب الوتران الصوتيّان حال النطق بالتاء،⁴⁵ ورأى علماء العربية أنّ هذا الصوت خفيف، لا يصعب التكلم به بسرعة لذلك سموه بالصوت المهتوت، "لأنّ الهتّ في الكلام سرده بسرعة"⁴⁶. وقد يصحب التاء شيء من الإجهار في بعض السياقات؛ كما إذا جاءت صامته متلوة بصوت مجهور⁴⁷ وذلك غير وارد في تلاوة الذكر الحكيم، ففي نحو قوله تعالى ﴿نَتْلُوهَا﴾⁴⁸ ﴿نَتْلُوهُ﴾⁴⁹، ﴿تَتْلَى﴾⁵⁰ ينطق بالتاء مهموسة دون أن يدخل عليها شيء من الجهر. كذلك صوت الدال ومن خواصه أنّه صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يأخذ مجراه في الحلق والفم، حتّى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت شديد نسميه الدال⁵¹. وفي تلاوة القرآن الكريم عامة وفي سورة آل عمران خاصّة يحرص القراء على تمكين جهر الدال، لاسيّما إن التقى بالنون خوفا من أن يصير غنة مدغمة في النون نحو: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ﴾⁵²، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ﴾⁵³. كذا إن التقى بالخاء والحاء والفاء وهي حروف مهموسة، ينبغي أن يُتعمّد جهره وإلا صار تاء كقوله: ﴿ادْفَعُوا﴾⁵⁴، ﴿قَدْ خَلَّتْ﴾⁵⁵ كذلك يمكن النطق بها متى وردت ساكنة وفي نهاية المقطع نحو ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾⁵⁶. وإذا كان بعد الدال ألف لفظ بها مرققة،⁵⁷ نحو قوله تعالى:

﴿مَعْدُودَاتٍ﴾⁵⁸. ومن الأصوات الأسنان اللثوية كذلك، السين والصاد والزاي ومخرجها عند القدامى هو من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى⁵⁹ ووصفها المبرد بأنها "حروف تتسل انسلالا"⁶⁰. ونعتها الخليل بالحروف الأسلية" لأنّ مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان"⁶¹. وذكر الأخفش العضو الذي يشترك مع طرف اللسان في إنتاج هذه الأصوات يقول: (ثمّ الصاد والسين والزاي، ولها من وسط اللسان شباته*) ومن فويق الثنايا سراته⁶²، أي أنّها تشكل بارتفاع طرف اللسان باتجاه الأسنان العليا. فصوت السين أسناني لثوي رخو مهموس مرقق، ينطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا، ومقدمه يلتصق باللثة؛ مع رفع الطبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليستّ المجرى الأنفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين؛ مع خفض مؤخر اللسان وفتح الوترين الصوتيين في وضع التنفس المهموس.⁶³ وقد حرص القراء على تحقيق هذا الصوت لئلا يلتبس بمقاربه من الأصوات، "فإن أتى بعده صوت من أصوات الإطباق في كلمة، يلزم إنعام تلخيصه والتوصل إلى سكونه في رفق وتؤدة، وإلا صار صادًا بالاختلاط".⁶⁴ نحو قوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾⁶⁵ وكذلك إن أتى قبله أو بعده قاف توصل إلى اللفظ به في حال سكونه وتحريكه برقة ورفق نحو ﴿بِالْقِسْطِ﴾⁶⁶. "وكذلك إن أتى ساكنا وبعده جيم، أنعم بيانه، ولخص لفظه ومنع من الجهر، وإلا انقلب زايا لما بين الزاي والجيم من الجهر"،⁶⁷ وذلك نحو قوله: ﴿يَسْجُدُونَ﴾⁶⁸ وإن اتصل براء توصل إليه برقة ورفق وأخلص تفخيم الراء، وإلا ربما انقلب صادًا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾⁶⁹.

- الأصوات اللثوية: وتتشكل هذه المجموعة من ثلاثة أصوات هي،
 الراء واللام والنون فأما النون، فمخرجها من طرف اللسان بينه وبين
 ما فوق الثنايا ⁷⁰ وللنون ما يليه من الخيشوم وهو أقصى الأنف ⁷¹
 فالنون في كتاب سيبويه نوعان أصلية وفرعية ووسم الأخيرة بالنون
 الخفيفة، في حين وسمها المبرد بالتي لا صورة لها وهذه الأخيرة هي
 التي تشكل الغنة، التي ليست في حقيقتها الصوتية إلا تأنيفا لبعض
 الأصوات ⁷². وسمّاها ابن جني بالنون الساكنة ⁷³ فهذه الغنة عبارة
 عن "صوت مركب في جسم النون، ومخرجه من الخيشوم، وهو
 مؤخرة الأنف المنجذب إلى داخل الفم، وليس بالمنخر." ⁷⁴ فالنون
 صوت أسناني لثوي أنفي مجهور. ⁷⁵ والنون بهذا الوصف، وحدة
 صوتية لها وظيفة مستقلة في البناء الصوتي للكلمة، ولكن هذه النون
 من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابلية للتغيير في الأداء النطقي
 الفعلي ⁷⁶ فمن ذلك:

- النون اللثوية: فهي صوت أنفي مجهور، ينتج عندما يلتقي صوت
 النون الأصلية بأحد الأصوات الأسنانية اللثوية (التاء، الدال، الطاء،
 الضاد) وقد عدّها القراء مخففة مع هذه الأصوات، ⁷⁷ كما أنه ينتج عند
 التقائها بأحد الأصوات اللثوية (السين، الزاي الصاد) فيصبح مخرج
 النون من مخرج الصوت التالي لها، ⁷⁸ نحو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَغْنِي﴾ ⁷⁹
 ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ⁸⁰ ﴿فَانظُرُوا﴾ ⁸¹ ﴿وَأَنْصُرْنَا﴾ ⁸² ﴿أَنْزِل﴾ ⁸³ على أن
 اتصال طرف اللسان مع اللثة في هذه الحالة لا يكاد يحدث، إذ
 سرعان ما يعود اللسان للأسفل بعد ملامسة خفيفة للثة .

- النون الغارية: وهي صوت أنفي مجهور، ينتج عندما يلتقي صوت
 النون الأصلية بأحد الأصوات الغارية وهي (الجيم، الشين، الياء)

فيتأخر مخرج النون إلى حيث مخرج الصوت التالي لها⁸⁴. نحو قوله تعالى: ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾⁸⁵ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾⁸⁶ ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾⁸⁷ ﴿مَنْ يَبْتَغِ﴾⁸⁸ ﴿لَنْ يُقْبَلَ﴾⁸⁹ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾⁹⁰ ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ﴾، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾⁹¹ ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ، أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾⁹² ﴿مَنْ يُرِدْ﴾⁹³ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ﴾⁹⁴ وهذه ملاحظة صحيحة إلى حد بعيد.

- النون اللهوية: صوت أنفي مجهور يرد قبل صوت القاف، ويُنطق به برفع مؤخر اللسان، وسحبه إلى الخلف حتى يتصل باللهاة تمهيدا لنطق صوت القاف،⁹⁵ نحو ﴿مِنْ قَبْلُ﴾،⁹⁶ ﴿انْقَلَبْتُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ﴾.⁹⁷

- النون الأسنانية: وهي صوت أنفي مجهور، يُنطق به بإخراج اللسان، أي بوضع طرفه ضدَّ أطراف الأسنان العليا، وخفض الطبق، وإحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين؛ وهو صوت النون قبل الذال والتاء والظاء، ولذلك يمكن وصفه بالتفخيم إذا وليه الظاء وبالترقيق إذا وليه الذال والتاء⁹⁸ نحو ﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾⁹⁹ ﴿أُنْثَى﴾.¹⁰⁰

- النون الطبقية: صوت أنفي مجهور، يتلوه الكاف في اللغة الفصحى، ويتمّ النطق به برفع مؤخر اللسان إلى الطبق وخفض الطبق إليه، حتى ينفتح المجرى الأنفي، ويكون ذلك مع إحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين،¹⁰¹ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُ﴾¹⁰² ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾¹⁰³ ﴿الْمُنْكَرِ﴾¹⁰⁴ ﴿مِنْكُمْ﴾¹⁰⁵.

إنّ اتصال النون مع مجموع هذه الأصوات يشكل الحكم الرابع من أحكام النون الساكنة ونعني به الإخفاء يقول ابن الجزري: "وأما الحكم الرابع وهو (الإخفاء) وهو عند حروف المعجم وفي جملتها خمسة عشر حرفا هي: التاء والتاء، والجيم والذال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد والظاء، والطاء والفاء

والقاف، والكاف... واعلم أن الإخفاء عند أمتنا هو حال بين الإظهار والإدغام، قال الداني: وذلك أن النون والتنوين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب، ولم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الإظهار فيجب إظهارها عندهن من أجل البعد".¹⁰⁶ ومخرج هذه النون في عرف القدامى من الخياشم فقط، فلا دخل للسان في إنتاجها.¹⁰⁷ وإن كانت الدراسات الحديثة قد لاحظت عمل اللسان في إصدار صوت النون الساكنة على نحو ما لاحظنا في التنوعات الصوتية لهذا الصوت، على أن عمل اللسان معها يبقى متواضعا لا يظهر بصورة واضحة. كذلك يظهر في النطق نوع من النون يتميز بأنه صوت شفهي أسناني أنفي، مجهور، مائع "وهو ينتج عندما ما تتجاور في النطق (نون واء) تجاورا مباشرا، كما في كلمة (أنف)، كلمة (انفك) حيث تُقلب النون ميمًا مخرجها هو الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"¹⁰⁸.

وهي بهذا الوصف عبارة عن صوت الميم هذه الأخيرة صوت من الأصوات الشفهية وإن كان الهواء يتسرب معها عبر الأنف، فهي ترجع إلى الخياشم بما فيها من الغنة فلذلك تسمعا كالنون، لأنّ النون المتحركة مشربة غنة، والغنة من الخياشم¹⁰⁹. وهذه الميم هي نتيجة ما يعرف بالإقلاب في علم التجويد، وقد وردت في مثل قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾¹¹⁰ وفي قوله عز وجل: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾¹¹¹ ومنه: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾¹¹² ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾¹¹³ ﴿يُنْفِقُونَ﴾¹¹⁴ ﴿لَا نَفْضُوا﴾¹¹⁵ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾¹¹⁶. وذلك ما لاحظته في نطق صوت النون من تلاوة

المجيدين من القراء في هذه المواضع، حيث تُسمع غنة الميم إلا أن انطباق الشفتين لا يتحقق، بل يخرج هذا الصّوت من اتصال الشفة السفلى بأطراف الثّنايا. ومنه صوت الراء وهي في معظم اللغات مكررة أو ترددية، يتمّ نطقها في مقدمة اللسان مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين¹¹⁷ وعدّت من الأصوات المائعة لأنّ اللسان قد يتجافى معها بعض التجافى نتيجة للتكرار الذي فيها فيجري معها الصوت¹¹⁸. والراء المائعة ترجع إلى ذبذبة في الأجزاء المطاطة التي يشتمل عليها التجويف الحنكي، وإلى ذبذبة اللسان أولاً وقبل كلّ شيء، وهناك الراء الأسنانية الناتجة عن ارتجاج طرف اللسان، والراء الحلقية التي فيها ظهر اللسان هو الذي يقوم بالارتجاج، وأخيراً هناك الراء التي من اللهاة الناتجة من اهتزاز اللهاة، وهي الراء المسماة بالدسمة وأحد الأصوات التي يصعب إنتاجها على من لم يستحوذ عليها بالطبيعة.¹¹⁹

فهذه التتوّعات الصوتية للراء لا تعني العربية بل هي شكل من الأشكال الصوتية تختلف باختلاف اللغات. أما في العربية فالراء تكون تارة مرققة وتارة مفخمة، فمن الناحية الصوتية تملك العربية راءان (راء مرققة، وراء مفخمة) ولكن من ناحية الفونولوجيا العربية تملك راء واحدة¹²⁰ "والتفخيم أصل في الراء على ما ذهب إليه الجمهور، لتمكّنها في ظهر اللسان، وقال آخرون ليس لها أصل في تفخيم ولا ترقيق، وإنما يعرض لها ذلك بحسب حركتها، أو مجاورتها¹²¹. فالراء إذا تحركت بالفتح أو الضم أو سكنت ولم يقع قبلها كسرة لازمة من نفس الكلمة التي هي منها فهي مفخمة على حال ما حُدّد من الفتح الخالص بإجماع من القراء، وكذلك حالها إذا

وقعت طرفا في الكلمة في الوصل والوقف جميعا، وسواء وقف على مضمومه بالسكون أو بالروم أو بالإشمام.¹²² فالمفتوحة نحو قوله سبحانه تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾¹²³ والمضمومة ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾¹²⁴ والساكنة ﴿مَرَجِعُكُمْ﴾¹²⁵. واتفق القراء على ترقيق الراء المضمومة والمكسورة في الوصل وأما في الوقف فإن أهل الروم يرققونها، وأهل الإسكان ينظرون إلى ما قبلها، فإن كان قبلها مكسورا أو راء ساكنة قبلها كسرة رققوا، فإن لم يكن قبلها شيء من ذلك فخموا، إن كانت الراء لازمة أو كسرة إعراب،¹²⁶ فالراء داخل التركيب تخضع للكثير من التغيرات حتى يتحقق الانسجام والابتعاد عن الثقل.

وأخيرا اللام، وهي "تخرج من حافة اللسان، من أدناه إلى منتهى طرف اللسان وفوق الضواحك والنَّاب والرباعية والثنية".¹²⁷ ووُصفت بأنها صوت منحرف "ويعني به ذلك الحرف الشديد الذي يجري فيه الصوت لانحراف اللسان معه"¹²⁸ فاللام المائعة صوت جانبي (حافي) ويتميز بأن طرف اللسان يرتفع في النطق بها حتى يعتمد على الحنك وتتخفض حواف اللسان بطريقة تسمح للهواء بأن يمر من جوانبه.¹²⁹ واللام على هذا صوت أسناني، لثوي، مجهور، مائع¹³⁰ والأصل في اللام الترقيق، وذلك أن اللام لا تغلظ إلا لسبب، وهو مجاورتها صوت استعلاء وليس تغليظها مع وجوده بلازم، بل ترقيقها إذا لم تجاوره لازم¹³¹، فهي تفخم إذا جاورت أصوات الإطباق، لكي يعمل اللسان عملا واحدا في التفخيم¹³². من ذلك في قوله تعالى ﴿وَأَصْلَحُوا﴾¹³³ ﴿ظَلَمُوا﴾¹³⁴ ﴿يُظْلَمُونَ﴾¹³⁵ ﴿ضَلَالٍ﴾¹³⁶ كما أنها تفخم من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة.¹³⁷ وعلى العموم، فإن تفخيم كل من صوت اللام والراء إنما هو من الأمور العارضة

للصوت، أو ما يسمى بالتنوعات variants وفقاً للمصطلح الصوتي ومن ثمّ لم تشأ الأبجدية العربية أن تستحدث لهما رمزين كتابيين مستقلين.¹³⁸ وإن كان للفخر الرازي رأي آخر حيث أصرّ على وجوب التفريق بين اللام المرققة واللام المفخمة من منطلق استقلال كل منهما عن الأخرى يقول: "نسبة اللام الرقيقة إلى اللام الغليظة كنسبة الدال إلى الطاء وكنسبة السين إلى الصاد فإنّ الدال تذكر بطرف اللسان والطاء تذكر بكل اللسان وكذلك السين... ثم رأينا أنّ القوم قالوا أنّ الدال حرف والطاء حرف آخر، وكذلك السين حرف والصاد حرف آخر، فكان الواجب أيضاً أن يقولوا: اللام الرقيقة حرف واللام الغليظة حرف آخر، وأنهم ما فعلوا ذلك ولا بدّ من الفرق".¹³⁹ ولقد تفتّن الرازي إلى ضرورة التمييز بين المنطوق والمكتوب، وأنه لو ترك الأمر للمنطوق لآزداد عدد أصوات العربية عن ثمانية وعشرين صوتاً المتعارف عليه وكأنه يشير بذلك إلى ما يعرف في الدراسات الصوتية الحديثة بالأبجدية الصوتية. فهذه إذن نماذج من الأصوات اللغوية في سورة آل عمران وتنوعاتها الصوتية والملاحظ أن علماء التجويد تفتنوا إلى التغيير الذي يمكن أن يلحق الصوت عند وروده في سياق صوتي معين، لذلك نجدهم قد نبّهوا على تلك المواضع وحذّروا من الوقوع فيها ولذلك فعلم التجويد لا يؤخذ إلاّ بالمران والمشافهة والتلقين المباشر.

إنّ القرآن الكريم ساهم بشكل كبير في ضبط المنظومة الصوتية للغة العربية ذلك أن الأصوات اللغوية هي أكثر عناصر اللغة عرضة للتغيير، وذلك ما نراه ملموساً وواضحاً في التطور اللهجي، إلا أنّ الفصحى ضمنت لأصواتها الصيانة من التحريف متى ارتبطت

بقراءة الذكر الحكيم، فقراءة القرآن الكريم بمجموع ضوابطها ومعاييرها تعدّ المعيار السليم في نطق الأصوات، ويجري على أساسها الوصف العضوي لمخارج الأصوات، بل إنّ أسلوب القدامى في الحث على تحقيق صوت من الأصوات والتحذير من إفنائه في مجاوره في حالة ما إذا كان أقوى منه، نبّه على فكرة وجوب أن يُشكّل الصوت الفاني - إن صحّ التعبير - بالسكون بحيث يتّصل الصوت بما جاوره اتصالاً مباشراً لا يفصل بينهما فاصل، لذلك فالقراء حريصون على تمكين النطق بالصوت الساكن على اعتبار أنه في حالة ضعف، كما أن موقع الصوت في البناء المقطعي، قد يؤثر في شيء من خصائصه الصوتية.

الهوامش:

1- الفيروز أبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ص 158/1. ومحمد مراياتي ويحي مير علم ومحمد حسان طيان، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب تقديم شاكر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ص 128/1 وعلي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978 ص 109 وما بعدها

2- ابن دريد، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 11/1.

3- محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت

الرنينية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 2008، ص 82

4- ينظر: علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، رسالة الكندي، ص 137، 236/1.

- 5- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، رسالة ابن عدلان، ص 275/1.
- 6- هنري فليش، العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد) تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ط المشرق، بيروت، ط2، د.ت، ص 37.
- 7- ينظر الجدول الخاص بإحصاء الأصوات الصامتة.
- 8- علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص 115.
- 9- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، ط4، 1978، ص 21.
- 10- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط3، ص 90.
- 11- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض ط 1420 هـ/1999 م، ص 176.
- 12- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 21.
- 13- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس اللصوتي الحديث ص 62.
- 14- علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ص 28.
- 15- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، عمان، الأردن ط 1988 ص 85.
- 16- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 27.
- 17- ابن جني، سرّ الصناعة، دار الصفاء، عمان، ط1، 1998 ص 76/1.
- 18- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 273.
- 19- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 111.
- 20- هنري فليش، العربية الفصحى، ص 36.

- 21- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، رسالة الكندي، ص 215/1.
- 22- خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث الإربد، الأردن، ط1، 2006، ص 159.
- 23- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982 ص 100.
- 24- أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة ط2، 1403هـ/1983م، ص 144 وينظر عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، 1987، ص 124.
- 25 - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى في العربية، دار المدار الإسلامي ط2 2007 ص248، 249
- 26 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 45.
- 27 - بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، د.ط. د.ت، ص 114.
- 28- من الآية (07) من سورة آل عمران.
- 29 - من الآية (08) من سورة آل عمران.
- 30- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) دار المعارف، دط، دت، ص 101.
- 31- ابن يعيش، شرح المفصل، ص 128/10.
- 32 - محمود السعران، علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت، دت، ص 160.
- 33 - صلاح الدين صلاح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة دار الأتحاد العربي، ط1، 1981م، ص 35.
- 34 - كمال بشر، فنّ الكلام، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 231.

- 35- من الآية (17) من سورة آل عمران.
- 36- من الآية (20)، (15) من سورة آل عمران.
- 37- كمال بشر، فن الكلام، ص 231.
- 38- من الآية (37) (35) من سورة آل عمران.
- 39- من الآية (19) من سورة آل عمران.
- 40- من الآية (21) من سورة آل عمران.
- 41- سيبويه، الكتاب، ص 433/4، والزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (ت:340هـ) الجمل في النحو حقه وقدم له: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط5، 417هـ/1996م ص 411، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص53.
- 42- من الآية (191) من سورة آل عمران.
- 43- الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد (371هـ-444هـ) التحديد في الإتيان والتسديد في صنعة التجويد، تحقيق ودراسة: أحمد عبد التواب الفيومي، مكتبة وهبة، ط1، 1993 ص 310.
- 44- من الآية (41) من سورة آل عمران.
- 45- كمال بشر، علم اللغة العام، ص 101.
- 46- العيني، شرح المراح في التصريف، ص 174.
- 47- كمال بشر، علم اللغة العام، ص 101.
- 48- من الآية (108) من سورة آل عمران.
- 49- من الآية (58) من سورة آل عمران.
- 50- من الآية (101) من سورة آل عمران.
- 51- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 48.
- 52- من الآية (144) من سورة آل عمران.
- 53- من الآية (123) من سورة آل عمران.

- 54 - من الآية (167) من سورة آل عمران.
- 55 - من الآية (137)، (144) من سورة آل عمران.
- 56 - من الآية (18) من سورة آل عمران.
- 57 - المكي القيسي، الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 201.
- 58 - من الآية (24) من سورة آل عمران.
- 59 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 160/1 وينظر: الإشبيلي ابن عصفور (597-669هـ) الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ط 1 1996، ص 424، والسيوطي جلال الدين (ت: 911هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع شرح وتح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ/2001م ص 292/6.
- 60 - المقتضب، ص 224/1.
- 61 - العين، ص 42/1.
- (*) - الشبابة: الحدّ والطرف، ابن منظور، لسان العرب، ص 389/3.
- 62 - الأندلسي أبي حيان (ت: 743هـ) تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، د.ط.، 1986م، ص 30.
- 63 - مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 128.
- 64 - التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد ، ص 319.
- 65 - من الآية (18) من سورة آل عمران.
- 66 - من الآية (21) من سورة آل عمران.
- 67 - الداني، التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد، ص 320.
- 68 - من الآية (113) من سورة آل عمران.
- 69 - من الآية (134) من سورة آل عمران.

70 - سر الصناعة 60/1.

71- الكتاب، ص 433/4 وينظر شذا العرف في فنّ الصرف، ص 147.

72 - سمير شريف إستيته، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات الغوية (منهج لساني معاصر) عالم الكتب الحديث، إربد، 2005، ص 37.

73 - سر الصناعة ، ص 61/1.

74 - السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ص 294/6.

75- كمال بشر، علم اللغة العام، ص 150.

76- محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية، تقديم: سمير شريف إستيت عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1428 هـ/2008م، ص 170.

77 - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 227.

78- نفسه ، ص 227.

79- من الآية (116) من سورة آل عمران.

80- من الآية (126) من سورة آل عمران.

81- من الآية (137) من سورة آل عمران.

82- من الآية (147) من سورة آل عمران.

83- من الآيات : (4، 7، 84) من سورة آل عمران.

84- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 227.

85- من الآيات (03) ، (48) ، (65) من سورة آل عمران.

86- من الآيات (13) ، (37) ، (74) ، (129) من سورة آل عمران.

87- من الآية (73) من سورة آل عمران.

88- من الآية (85) من سورة آل عمران.

- 89- من الآية (85)، (91) من سورة آل عمران.
- 90- من الآية (92) من سورة آل عمران.
- 91- من الآية (111) من سورة آل عمران.
- 92- من الآية (124) من سورة آل عمران.
- 93- من الآية (145) من سورة آل عمران.
- 94- من الآية (160) من سورة آل عمران.
- 95- ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 135.
- 96- من الآية (93) من سورة آل عمران.
- 97- من الآية (144) من سورة آل عمران.
- 98- مناهج البحث في اللغة، ص 133 - 134.
- 99- من الآية (15) من سورة آل عمران.
- 100- من الآية (36) من سورة آل عمران.
- 101- ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 135.
- 102- من الآية (67) من سورة آل عمران.
- 103- من الآية (97) من سورة آل عمران.
- 104- من الآية (114) من سورة آل عمران.
- 105- من الآية (142) من سورة آل عمران.
- 106- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3- 2006، ص 21/2.
- 107- نفسه ص 22/2.
- 108- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1408هـ/1987م.
- 109- المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخاق عزيمة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1926، ص 1/224.

- 110 - من الآية (49) من سورة آل عمران.
- 111 - من الآية (61) من سورة آل عمران ، كما وردت لفظة أنفسهم في الآيات التالية (69) (117)، (135)، (154)، (161)، (164)، (165)، (168)، (178)، (186) من سورة آل عمران.
- 112 - من الآية (47) من سورة آل عمران.
- 113 - من الآية (83) من سورة آل عمران.
- 114 - من الآية (134) من سورة آل عمران.
- 115 - من الآية (159) من سورة آل عمران.
- 116 - من الآية (180) من سورة آل عمران.
- 117 - ماريو باي، أسس علم اللغة ، ص 86.
- 118 - ابن عصفور، المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجبوري، ط1، 1972، ص 7/2.
- 119 - جوزيف فنديريس، اللغة ، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، د.ت ، ص 53.
- 120 - مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1418هـ/1998م ، ص 19.
- 121 - البنا الدمياطي (ت: 1117 هـ/1705م) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ط 1 ، 1407 هـ/1987م ، ص 295/1.
- 122 - الداني، التحديد في الإتيان، ص 333.
- 123 - من الآية (159) من سورة آل عمران.
- 124 - من الآية (120) ومواضع أخرى من سورة آل عمران.
- 125 - من الآية (55)، ومواضع أخرى من سورة آل عمران.

- 126- ابن شريح، أبي عبد الله محمد (ت: 338 هـ/476م) الكافي في القراءات السبع تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للنشر، طنطا، د.ت، ص 56.
- 127- ابن خالويه عبد الله الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ت، ص 19.
- 128- الكتاب، 4/435.
- 129- فندريس، اللغة، ص 53.
- 130- كمال بشر، فنّ الكلام، ص 219.
- 131- البنا الدمياطي ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ص 307/1.
- 132- القيسي أبي محمد المكي بن أبي طالب ، (ت437 هـ) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 1428 هـ/2007م ، ص 270/1.
- 133- من الآية (89) من سورة آل عمران.
- 134- من الآية (135) من سورة آل عمران.
- 135- من الآية (161) من سورة آل عمران.
- 136- من الآية (164) من سورة آل عمران.
- 137- النشر في القراءات العشر، 1/170، ينظر من الآيات (41)، (5)، (7)، (11) ومواضع أخرى من سورة آل عمران.
- 138- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، ط1 ، 2005م، ص 71.
- 139- الرازي فخر الدين (ت606) التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية مصر. د.ط، د.ت، ص 100/1.

المجلة
العلمية
الغوية

مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر

Revue des pratiques langagières

Revue académique indexée

N° 20

جامعة مولود معمري تيزي وزو



مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر

ISSN: 2179-0592